صباح الخير

أيها العشاق

أشرف مصطفى توفيق

الكتاب: صباح الخير.. أيها العشاق
الكاتب: أشرف مصطفى توفيق
الطبعة: ٢٠١٩

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

APA

http://www.apatop.comE-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

توفيق ، أشرف مصطفى
صباح الخير.. أيها العشاق
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٢١٦ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٥ – ٩٢٣ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع ٥١٠٨ / ٢٠١٩

صباح الخير.. أيها العشاق

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

"وكانت فاطمة تثير الرجال أو على وجه الدقة تثير الرجولة في الرجال، وكأنماخلقت لتثير الرجولة،حتى الأطفال كانت تثير الرجولة الكاملة فيهم، فكانوا إذا رأوها قادمة من بعيد أحسوا برغبة مفاجئة في تعرية أنفسهم أمامها،فرفعوا جلابيبهم

من قصة ليوسف إدريس ـ مجموعة "حادثة شرف".

"كنت أرى أن العيب فينا، لا في الحب، وأن الحب حركة طبيعية تعبر بها الحياة عن نفسها، وإننا نحن الذين عقدناه وصلبناه على صليب الخرافة. لم أكن مقتنعاً أن الجنس مغارة ملعونة، كل من لامس بابها الحجري سقط ميتاً"

من كتاب "والكلمات تعرف الغضب" ـنزار قباني

ووجدت هذا المعنى في الصفحة الأولى من "ألف ليلة وليلة" أنه بسبب الخيانة الزوجية..خيانة زوجة الملك "شهريار" أو زوجة "أخيه الملك شاه زمان" أُلف ولا يدري أحد من أَلف..رواية أو قصة أو ملحمة (ألف ليلة وليلة) فالملك شهريار اشتاق لأخيه الأصغر شاه زمان، واستعد للرحيل، وفي آخر لحظة تذكر شيئاً،وكان لابد أن يتذكر هذا الشيء. وعاد إلى القصر ليجد زوجته بينذراعي خادم زنجي!! فقتل الاثنين..لم يتوقف ليسأل لماذا؟!وإنما مضى فى سفره لبلد أخيه، ليجد عند أخيه نفس

ماعنده: العار والخيانة..وأستمر مع الصفحات الأولى من"الألف ليلة وليلة": سافر الأخ حزيناً إلى أخيه فوجد الثاني يستعد لرحلة صيد، ولكنشهريار لتعبه من السفر اعتذر عنها،وتصادف أن نظر "شهريار" من نافذة أخيه الأصغر بعد خروجه للصيد،وكانت صدمة،وجد زوجة أخيه ومعها عشرة من الخدم الزنوج يتبادلون عناقهاجميعاً..بوغت أن مصيبته هو أهون!فزوجته كانت فى حضن عبد واحد..

ومن هذا الهوان والخيبة سافر الأخوان بلاد الله لخلق الله ليريا إن كان هذا ماتفعله النساء مع كل الرجال أو أن هذا هو حالهما فقط؟ففى بداية "الألف ليلة وليلة" كان الحب والخيانة فى قنينة واحدة، بل قبل بداية ألف ليلة،وقبل أن تفتح شهرزاد فمها،كانت خيانة الزوجات وعبر عن ذلك فى الليالى:

"وإذا بباب القصر قد فتح وخرجت منه عشرون جارية وعشرون عبدًا وامرأة أخيه تمشي بينهم وهي غاية في الحسن والجمال حتى وصلوا إلى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوامع بعضهم وإذا بامرأةالملك قالت: يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقي العبيد فعلوا بالجواري ولم يزالوا في بوس وعناق ونحو ذلك حتى ولى النهار"

ونفس المعالجةنجدها بعد ذلك بعدة قرون في بدايات تاريخ القصة العربية عند طاهر لاشين في مجموعته القصصية المسماة: "يُحكى أن" ففي قصة "حديث القرية"،حيث يسرد حكاية عباس الأبهة الذي كان

يعملموظفا،وأعزبوكيف استدرج زوجة "عبد السميع الإسكافي" وكانت رائعة الجمال رغم فقرها وفقر زوجها، لتعمل عنده خادمة. إلى أن كانت إحدى الليالي حيث أمره الموظف بأن يذهب إلى عمدة القرية برسالة وأن يعود بالرد في الصباح وبنفس نص القصة:

"سار عبد السميع على جسر السكةالحديد يفكر، وحالة من الشك تملأقلبه وكان القمر يضيء له الطريق،فأبصر بين القضبان قطعة من الحديد بطول الذراع،فتملكته الرغبة في أن يعود للدار، وحاول التغلب على هذه الرغبة فلم يستطع، كأن قوة خفية تجره للعودة...وأخيراً عاد ورأى سيده في مكان الزوجية من امرأته فهوى بقطعة الحديد على رأسيهما فماتا فوراً"

فلماذا عند السفر؟!ولماذا يعود الزوج فجأة!! ولماذا لا أحد يسأل فيلحظة ضبط العاشقين!!إنه التمهيد الذي جعل شهريار يقتل كل ليلة فتاةبعدأن يتزوجها..خيانة واحدة، وامرأة واحدة تكفي لوضع السيافمسرور في كل بيت ورواية وقصة وقصيدة شعر، ولم يسأل أحد لماذا؟!وما هو الحب؟! وكيف جاء الجنس ليكون له هذا السلطان؟! وكيف يأتي حب على حب؟! وجنس على جنس؟

وفي إيطالياظهرت قصص "الديكاميرون"،وقام بها جيوفاني بوكاشيووكلها تحكي عن لحظة دهاء لنساء خائنات، إنه"كيدهن"حكاية "المرأة المنتصرة" يقول إن رجلاً علم بخيانة زوجته، فتركها تذهب للقاء عشيقها وتظاهربالنوم، وعندما عادت وجدته قد أغلق الباب من الداخل،

فأقسمت بأن تلقي بنفسها من البئر المجاور للبيت حتى يسامحها، وسمع الزوج بالفعل صوت ارتطام بقاع البئر،فهرع إلى الخارج لإنقاذها، ولكن الخائنة كانت ذكية فألقت حجراً في ماء البئر، أحدث الصوت الذي أزعج زوجها، وعند خروجه عادت للمنزل وأغلقت الباب.. ونادت على الجيران وقالت لهم: "يا ناس.. يا هوه.. يرضيكم أن يتركني هذا الزوج الظالم وحدي ويذهب ليحتسي الخمر في الحانات؟!وها أنا أعلمكم بحاله حتتشهدوا!!!"

ويأتي الزوج من البئر مبلولاً يريد التدثر فيصدقها الجيران ويعتقدون أنه انزلق في البئر من أثر الخمر!

وشاء التاريخ أن يظهر الكاتب الفرنسي بلزاككاتب له اهتمامات بالحب والجنس والقتلويضع هذه الاهتمامات في الرواية ففي روايته "زنبقة الوادي" يتحدث عن الشاب فيلكس الذي يقع في حب اثنين في مرة واحدة: كونتيسة من زوجات النبلاء تهبه القلب والنفس وتحرمه الجسد،ونبيلةإنجليزية هي النقيض المقابل لها امرأة عملية تعطيه الجسد، والشاب ممزق لا يستطيع أن يترك واحدة دون الأخرى ويقول عن كل منهما كلاماً مولعاً.إذن أصبح الكلام عن الحب مخلوطاً بالجنسوفي قصة "امرأة في الثلاثين" يعرض لنا مشكلة أخرى للحب هي مشكلة السيدة جوليا ابنة دوق من أبناء الملكية ترعرعت بين أحضان التربية الإقطاعية وتزوجت أحد النبلاء، وكان لها نظرة رومانتيكية في الحياة واكتشفت أن الحب شيء والفراش شيء آخر، وأنها تربت في سياج الأحلام ولا تعرف

غير هذه الهالة النورانية الغربية.وعلى يد بلزاك ظهر ثالوث العلاقة بين الرجل والمرأة، فلم يعد الرجل والمرأة فقط، فقد ظهر الرجل الآخر والمرأة الأخرى.وقرر "بلزاك" أن الجنس بين أبناء الطبقة النبيلة جعل للعلاقة بين الرجل والمرأة عدة أشكال: الزواج الشرعي ـ الزنا ـ والبغاء ـ العلاقة غير الشرعية إذا ما ظهر في حياة الزوجة حب آخر.وكان أسوأ ما قاله بلزاك إن الحب أيضاً يموت أو لا خلود في الحب وهذه هي الخطورة أو هذا هو العذاب.

ولأن الحب يموت والجنس لايموت أوالرغبة المحمومة لا تنتهي جاء فرويد وقال عبارة: "لن تعرفوا شيئاً بغير معرفة الجنس!!"إذا كان الحب هو العلاقة بين الرجل والمرأة، فإن ذلك لم يكن هو الحال عند بداية العالم.كان الرجل البدائي يلتقي بالمرأة البدائية ويبدد رغبته الملتهبة معها ثم يتركهابعد اتصاله الجسدي بها لمهام أخرى متعلقة بالصيد والقنصفإذا عادت له رغبته مرة أخرى بدد رغبته مع امرأة أخرى؛ فالعلاقة هي مجرد اللقاء الخاطف بين أي رجل وأي امرأة..وهنا يظهر المشاع وانعدام العلاقاتالحميمة فى الرغبة أوالغريزة؟!إن الحميمية لا تظهرإلا بالانتقال من الزواج الجماعي إلى الزواج الفردي ـ بالاستقرار ـ فالجنس سابق على الحب في التاريخ البشري؛ ولذا ففي بدايات الوقوع في الحب يكون الدافع للجنس موجوداً ومحركاً لكل شيء فيه، فعلاقة الحب انبثقت يوم أن قرر الرجل أن يستدعي الأنثى بالحسنى ويقدم لهاعقداً من العظم،واشتدت حينما قررت المرأة أن تكون لهذا الرجل وحده وتنتظره حتى يعود من الصيد.

واستخدم فرويد في ذلك رموزاً دينية وأساطير،حيث استخدم في التحليل النفسي تعبير "الأنا" و"الأنا العليا" و"سلطة ما فوق الأنا والعقل" و"العقل الباطن"، وهي تعبيرات عن الذات والضمير والآلهة والمدفون في مكنونات النفس.

وفي مجموعة "بيت من لحم" ليوسف إدريس نفس المعنى بل المعنى أوضح "الجنس هكذا بلا سبب،إنه عذابنا الذي أصابتنا به لعنة الآلهة منذ آدم.. أو نحن نعذب به.. كما كانت آلهة الأولمب تعذب تنتالوس بأكثر من عذاب وأكثر من صورة.. ولكن الإله العبقري الحقيقي.. عذبنا بشيء واحد "الجنس + وانفخ يا إبليس".يرضخ الجميع للقانون، وتدور لعبة الخاتم في صمت لا يخرقه أحد، تزوجت الأرملة من المقرئ "الضرير" والبنات الثلاث جائعات محرومات جنسياً، والخاتم هو الوسيلة الوحيدة المتاحة للشيخ الضرير، لمعرفة "حلاله" وبالخاتم "الشرعي" الذي يحلل الحرام تبدأ القصة:

(الخاتم بجوار المصباح،الصمت يحل فتعمي الآذان،في الصمت يتسلل الإصبع، يضع الخاتم في صمت أيضاً المصباح، والظلام يعم، في الظلام، أيضاً تعمي العيون.الأرملة وبناتها الثلاث/ والبيت حجرة/ والبداية صمت.الأم وبناتها، وكلهن مبصرات، صامتات. أما الشيخ الضرير، ولأنه ضرير، فإنه يضحك، وينكت، ويغني حتى يستبدل الإحساس بالبصر الضائع، كان أول الأمر يقول لنفسه إنها طبيعة المرأة التي تأبى البقاء على حال واحد؛ فهي طازجة صابحة كقطر الندى مرة ومنهكة مستهلكة كماء

البرك مرة أخرى، ناعمة كملمس ورق الورد مرة، خشنة كنبات الصبار مرة أخرى، الخاتم دائم وموجود صحيح، ولكن وكأنما الإصبع الذي يطبق عليه كل مرة إصبع، إنه يكاد يعرف، وهن بالتأكيد كلهن يعرفن، فلماذا لا يتكلم الصمت)..

لماذا لا ينطق؟ولكن السؤال يباغته ذات عشاء، ماذا لو نطق الصمت؟ ماذا لو تكلم؟مجرد التساؤل أوقف اللقمة في حلقه، ومن لحظتها لاذ بالصمت تماماً، وأبى أن يغادره. بل هو الذي أصبح خائفاً أن يحدث المكروه!!!ويرى "كاترين كويام" أن هذه القصة هي المعالجة العصرية لما جاء في التوراة في سفر التكوين عن لوط.. وقالت البكر للصغيرة: "أبونا قد شاخ،وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض هلمي نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه، فنحيي من أبينا نسلاً" فسقتا أباهما خمراً

أما في "الحرام"فلاحظ لحظة القرار بالجنس عند يوسف إدريسكيف يربطه بظروف السقوط الاجتماعي ولا يعطيه أبعاد العاطفة والحب ويعمد إلى إبراز قطبي العلاقة فيه،وكأنها ممثلة للخير والشر

"وفي إحدى لحظات الدلع عند المريض، طلب الزوج من عزيزة: نفسي في البطاطا يا عزيزة.. وذهبت عزيزة، أخذت تضرب بالفأس دون جدوى لمحها مُحَّدابن صاحب الحقل،فأقبل يساعدها في البحث عن البطاطا، ونجح فعلاً في أن يعثر لها على حبة.ولكنها في لهفتها لم تفطن إلى الحفرة التي كانت وراءها، وعلى هذا سقطت فيها وما كادت تحاول أن

تقوم حتى كان مُحَّد إلى جوارها في الحفرة يساعدها. مرة واحدة وجدت نفسها في حضنه وقد أطبق عليها بذراعيه ليرفعها..ليقع الحرام"

أما القصة التي أثارت زوجة يوسف إدريس نفسه فهي قصة "لأن القيامة لا تقوم" والتي وردت في مجموعة "لغة الآي آي – ص ١١٥" فهي قصة طفل يراقب خيانة أمه مع عشيقها،ولأنه دُرس له فى الكُتَاب حديث نسب للنبى مُحَّد فى معناه أن انطباق السماء على الأرض أهون عند الله من أن يأتى أحدكم بالزنا مع زوجة جاره،يصف الطفل اللقاء بأنه شيطاني متوحش وينظر للسماء فى سؤال:لماذا لا تقوم القيامة؟!!

ونجدفي قصة"الأوتوبيس ٩٩٩" أو سنويزم أو الأوباش عن اللعبة الجنسية البشعة في الأتوبيس والتي انتهت أخيراً في ١٩٩٢ بحادث فتاة "العتبة". فضيحة مجتمع فى عز الظهر.ماذا يقول عنها د/ يوسف إدريس:"اللعبة تتم في صمت، ولا أحد يخرج على قواعدها، والقاعدة أنك ما تشوفش، وإذا شفت كأنك ما شفتش، وإذا حصل لغيرك مالكش دعوة، وحتى إذا حصل لك، حل عبقري.. مش كده؟"إن القهر الجنسي غير الإنساني، الذي تتعرض له المرأة في الأتوبيس، لا يعني أحداً وعندما يثور الأستاذ الجامعي الدكتور عويس ثورة محدودة لإرضاء فضوله يعاقب فقد تدخل فيما لا يعنيه،كيف المجتمع يعنينا جميعا. الأخلاق تعنينا، ولذا جاءتكل التحاذير والنصائح ضد الجنس،حتى لا تخرب البيوت وتضيع الأسرو ظهرت عبارة:الألفة _ العشرة _ المودة.فالجنس سابق على الحب فى التاريخ البشري ولذا يجب تلطيفه بالحب، مزجة بالمودة خلطه

بالخصوصية،ولذا كانت عبارة الرسول ﷺ بليغة حينما قال: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"

فلم يكن شيئاً هيناً أن أكل آدم وحواء من التفاحة..

المؤلف

١

وتزوجت أم كلثوم قصائد رامي

جاءت من قرية (طماي الزهايرة)،وجاء من بعثته في (فرنسا).تركت وراءها عيدان الذرة وسنابل القمح الصفراء تسابق القطار للقاهرة، بعد أن علت شهرتها أقاليم الوجه البحري (كانت تقرأ القرآن ولا تعرف كيف تكتبه!)، وجاء من (باريس) وهو يجيد ثلاث لغات: الفرنسية والتركية والعربية

في سنة **١٩٢٤** عاد الشاعر أحمد رامي من بعثته في فرنسا، وأراد مصطفى أمين أن يحتفل به فدعاه إلى قضاء سهرة في حفلة تغني فيها المطربة الجديدة "أم كلثوم"، ولم يتحمس رامي، بل لم يرن الاسم في أذنه وبخاصة أنه يضع البايب في فمه ويلبس الرانجتون الرسمي.. فماذا يشجعه على أن يسمع قصيدة، "أي قصيدة" من صوت جديد.

وعندما رأى "أم كلثوم" لأول مرة لم يعجبه شكلها، فوجئ بها تضع العقال فوق رأسها وترتدي الجبة وتضع على بطنها حزامًا!! وقال للملحن أبو العلا مُحَمَّد همسًا في أذنه: أعوذ بالله..هذه فقيهة..وليست مطربة!!.

وبدأت أم كلثوم تغني فإذا برامي يستهويه غناؤها ويسري في وجدانه، وإذا به يسعى إلى مقابلتها بعد أن فرغت من وصلتها الأولى.. وقالوا لها: الشاعر أحمد رامي واصل من فرنسا، وعاوز يقابلك. وكانت أم

كلثوم صاحبة قفشة وخفة دم فقالت: وإيه اللي رماه علينا سي رامي!! وذهب إليها واستجابت أم كلثوم للمقابلة وقال لها: هذه أول مرة أطرب لمغن بعد سلامة حجازي!! وقالت له: إذا كنت بتعتبر منيرة المهدية وفتحية أحمد من الرجال فأنا من المطربات!!

وأصبح بعد ذلك اللقاء كل يروي عن الآخر.. رامي يحكي نوادر أم كلثوم وقفشاتها وخفة دمها، وهي تغني شعره!! وانتهى اللقاء الأول بأن ترك أحمد رامي إحدى قصائده مع الملحن أبو العلا مُحَمَّد لتغنيها أم كلثوم وكانت كلماتها تقول:

الصــــب تفضـــحه عيونـــــه	وتـــنم عـــن وجـــد شـــئونه
إنا تكتمنــــــــا الهـــــــوى	والــــــداء أقتلــــــه دفينـــــــه

وغنتها أم كلثوم، واعتبر رامي هذا كثيرًا، أو أنه تودد وتحبب من جانب أم كلثوم فألف لها أغنيتها الثانية (خايف يكون حبك لي شفقة علي) وتعتبر أول قصيدة يكتبها رامي لأم كلثوم، حيث إن قصيدته الأولى كانت مجرد وجهة نظر لرامي في قصيدة التراث "الصب تفضحه عيونه" فأراد أن يسمعها بطريقة أخرى بعد التعديل.. وسمعت الأوامر أم كلثوم وغنت التعديل.. مما يدل على أن التودد والتحبب كان من جانبها، أو كانت المسألة مشاركة متساوية على الأقل، ولكن، هل أحب رامي "أم كلثوم" في ذلك اليوم كما قال وردد في أحاديث كثيرة؟! هل أحبها كما يحب الرجل المرأة؟!

تقول د. نعمات أحمد فؤاد، في كتابها "أم كلثوم وعصر من الفن": "الأقرب إلى العقل والمنطق أن أقول لا؛ فهو في ذلك الوقت شاعر ومتعلم في مصر والخارج مملوء بالآمال والمطامح، وهي فتاة ريفية بسيطة لم تخلع العقال والقفطان بعد، حتى الفن لم تثبت فيه قدمها إنها في أول الطريق. المسألة فيما أحسب، أنه شاعر رومانتيكي، وهو بطبيعته مرهف الحس والعصر وقتها مذهبه السائد في الأدب "الرومانسية" والمذهب السائد في السلوك الفروسية، فرامي جاء من فرنسا ورواية "غادة الكاميليا" في رأسه، فرامي كان يحب الحب في أم كلثوم، ولكنه فيما بعد ما لبث أن أحبها حبًا "ثانيًا"أصيلاً.. كبيرًا..

وفي سنة ١٩٢٦ أعلنت شركة جرامافون عن أول أسطوانة لأم كلثوم وأسمتها "مطربة الشرق" وكان الإعلان يقول: هذه المنظومات التي نظمها الأستاذ أحمد رامي ولحنها الأستاذ القصبجي نقلتها بصوتها الرائع على أسطوانات شركة الجرامافون ليمتد، فخر الموسيقى ومطربة الشرق، ومدهشة الغرب الآنسة أم كلثوم.

وفي سنة ١٩٢٧ كانت أم كلثوم ورامي قد قدما في وفاة زعيم مصر سعد زغلول قصيدة: "إن يغب عن مصر سعد" ورأى بعدها كل من طه حسين والمازني وشوقي والعقاد أهمية ثقل هذه الموهبة فعلموها أو بدأوا في ذلك وكان رسولهم معها الشاعر "أحمد رامي".

وفي سنة ١٩٢٨ غنت أم كلثوم في أسيوط على مسرح يطل على حديقة مهجورة تسكنها الثعابين المعروفة وقتها في الصعيد، وحينما جلجلت أم كلثوم أطربت، لا البشر وحدهم، ولكن الأفاعي أيضًا وتسللت وتسلل فحيحها بدوره إلى أم كلثوم التي نظرت حولها فارتاعت وفرت هاربة وأغمي على فرقتها: محمد العقاد وكريم حلمي، وانكفأ القصبجي، ولكن رامي هب فجأة وانتشل أم كلثوم وفر بها وقالت له: ده أنت شديد وأنا مش عارفة!!

ونشرت مجلة "روز اليوسف" في عددها رقم ١١٩ في ١٩٢٨/٣/٢ تحت عنوان "مغنية الأفاعي" تتنبأ بالحب بينها وبينشاعرها (أحمد رامي) "الذي حملها وفر بها كالبطل وسط الثعابين!!".

ومنذ سنة ١٩٢٨ أوقف رامي "يوم الاثنين" على أم كلثوم وهو يوم أجازة دار الكتب التي يعمل فيها رامي موظفًا، فكان يحمل لها دواوين الشعر ويبصرها بمواطن الجمال الفني، وكان لهذا اليوم بينهما لقاءات وذكريات، وظل يوم الاثنين خالصًا لأم كلثوم حتى بعد زواجه، ولم تستطع زوجته استخلاصه منها فاعترفت به وهي تقول: النهاردة الاثنين يوم أم كلثوم بقى!! ويقول لها المقربون: آه ضرتك!! ها ها..

وفي سنة ١٩٢٩ نشرت صحيفة سورية أخبارًا غريبة عن أم كلثوم نقلتها عن خادمتها أو دادتها وهي أنها تستحم باللبن الحليب!! في ذلك الوقت كان رامي قد كتب لها: "إن حالي في هواها عجب" ولحنها

القصبجي بعض الطقاطيق هي: "يا ستي ليه المكايدة" ولحنها أحمد صبري، و"صحيح خصامك ولا هزار" ولحنها القصبجي، و"ياريت كنت النسيم اللي يداعب شعورك" ولحنها القصبجي، وعلقت مجلة آخر ساعة على الأشعار والأخبار مرة واحدة وقالت: إن رامي يستعد لكتابة طقطوقة جديدة بعنوان "يا ريتني كنت الحليب اللي بتستحمي فيه"!!

وثبت بعد ذلك أن الذي أعطى هذه المعلومات لجريدة "الإخاء" و"الصحافي التائه" في سوريا هو أحد جيران أم كلثوم، فأشارت عليه مرة وهو يسير في الشارع، وقالت: أهه ده جار "ثومة" اللي بيقولوا عليه!! فأدغمت الكلمة في بعضها حتى أصبح وكأنه جرثومة!!

وظلت الصحافة وراء رامي وأم كلثوم حتى وقعت بينهما جفوة كبرى في ١٩٣٦ حينما نشرت روزاليوسف في عددها رقم ٢٢٦ كاريكاتيرا لرامي يقدم لثومة قصيدة ملفوفة قائلاً: إلى ثومة.. أقدم هذه القصيدة. فيرد عليها عبد الوهاب حائلاً بينه وبينها: حاثب يا سي رامي أنت بتعطيها قثيدتي أنا!!.. وعبد الوهاب كان ألدغفى السين!

والموضوع أن رامي كتب قصيدة ليس لها خاصية معينة تركب على أي صوت جميل، وقد أهداها لعبد الوهاب سنة ١٩٣٢ ثم عاد وأهداها لأم كلثوم سنة ١٩٣٣ وطبعًا الكاريكاتير بالغ في نطق عبد الوهاب لحرف "الثاء"!!

وتقول د. نعمات أحمد فؤاد: إن الحملة أصابت الهدف فقد استدعت أم كلثوم الشاعر وقالت له:

– أنا متأسفة اللي عرفتك! مش عايزة أعرفك بعد كده!!

وأصاب السهم قلب الشاعر المحب فأدماه فقال شعرًا.. يشبه شعر كامل الشناوي في حالة مشابهة!!

من أنت حتى تستبيحي عزتي فأهين فيك كرامتي ودموعي

لقد ثار ثورة عارمة (من أنت؟!) أجهز عليها بكلمتين!! ثم قرر رامي أن يوضح لها دور الشعر وأثره وعزته ومن هي بغير هذا الشعر. أو بغيره؟! فقال:

إني كسوتك من خيالي حلةً وشيت صفحتها بزهور ربيعي

ونشرت من روحي عليك غلالة كالليل أذن فجره بطلوع

وأمضى رامي في عزلته ثمانية شهور يتمزق في صمت، ويسعى إليه الموفقون فيأبى، وجاءت رحلة أم كلثوم للعراق وأرسلت له من يطلبه للسفر معها، وظلت أم كلثوم لم تفقد الأمل حتى حان موعد قيام الطائرة ولم يحضر فآمنت أن أمرًا أكبر مما تصور. وطالت الجفوة حتى جاء يوم مرضت فيه وقرر طبيبها أن تُستأصل الزائدة الدودية لها وكانت هذه

العملية وقتها خطيرة. وذهب رامي لها في المستشفى وأطعمها بيده وبكى وبكت وتدفق رامي شعرًا:

غلبـــت أصـــالح في روحـــي عشـــان مـــا ترضـــى عليـــك

مـــن بعـــد ســـهدي ونـــوحي ولـــــوعتي بـــين إيـــديك

ويمكن تتبع قصة حب رامي لأم كلثوم من تتبع أغانيها؛ فقد حدث أن سافرت أم كلثوم إلى رأس البر لقضاء الصيف كعادتها، وعندما عادت كتب لها أغنية (شرف حبيب القلب بعد طول الغياب) وحينما دعته أم كلثوم بعد ذلك لقضاء بعض أيام الصيف معها في رأس البر كتب "حسن طبع اللي فتني علم القلب الغرام" وعندما سافرت أم كلثوم إلى الخارج لأول مرة كتب أغنية "البعد علمني السهر"، وطقطوقة "أنت فاكراني ولا نسياني" و"ليه تلاوعيني وأنتي نور عيني" هي رسائل قلب رامي إلى أم كلثوم وهي في أوربا.

وفي سنة ١٩٥٢ سنحت لحظة ودّ وبوح، خلال فنجان قهوة محوجة جمع بينهما فأبدع أغنيته:

جـــددت حبـــك ليـــه بعـــد الفـــؤاد مـــا ارتاح

حـــرام عليـــك خليـــه غافـــل عـــن اللـــي راح

وكانت السيدة عطا الله زوجة رامي تسمع الإذاعة وإذا بها تسمع أم كلثوم تغني جددت حبك ليه!! ولم يكن رامي أخبر زوجته بهذه القصيدة، فتحركت الغيرة في قلبها وتصورت أن رامي عاد إلى حب أم كلثوم بعد انقطاع وحملت ملابسها وذهبت لبيت أبيها!!

وحول زواج رامي هناك أكثر من قصة؛ فمصطفى أمين في كتابه "شخصيات لا تنسى" يقرر أن رامي ذهب لأم كلثوم وقال لها إنه قرر أن يتزوج وأنه يريد أن يكون زوجًا وأبًا وأن عليها أن تختار؟! ولكنها قالت له: إنها تريد أن تحضر الفرح وتغني فيه، ولكنه اعتذر وقال لها أن أهل العروس يعرفون أني أحبك، وإذا حضرت الفرح سيتحول إلى مأتم!!

أما القصة الثانية فتقولها د. نعمات أحمد فؤاد، وهي أن رامي تزوج وأم كلثوم في رحلة في أوربا وأنها حين عادت أنهوا إليها النبأ همسًا وكان آخر خبر تتوقعه – لا في هذا الوقت بالذات ولكن ما امتدت الحياة – وحينما التقت برامي قالت له: أحقًا تزوجت يا رامي؟! فقال لها وكأنه يعتذر أو يتهرب من السؤال المعاتب: "أصلها قريبة لي.. حاجة على قدنا". والإشارة مفهومة!!

ويبدو أن زوجته منذ اليوم الأول شعرت بأنها زوجة وليست حبيبة؛ فهي في العشرين ورامي في الأربعين وقال لها أهلها منذ اليوم الأول: "حتعملي إيه في أم كلثوم؟!" وقالت: وماذا تفعل ملايين النساء مع

أزواجهن عشاق أم كلثوم؟. ولكنها كانت تعلم أن كل الرجال "كوم" ورامي "كوم ثاني"!!

وفي ليلة الزفاف حضرت أم كلثوم، وقالت مهما تقولوا عليّ، هذه المناسبة لا تفوتني. وغنت من ألحان القصبجي:

يا نجم مالك حيران بين الغمام والليل بادي

فضلت وياك سهران والروح على البعد تناجي

وفي ليلة زفاف "أم كلثوم" قرر رامي أن يردها لها، فهو يعرف أن العريس هو الدكتور الحفناوي طبيب الجلد، وأنه ولد في مدينة أسيوط، وفي حفلتها قال لها قصيدة (أغار من نسمة الجنوب) أي أنه يغار من الدكتور اللي جه من أسيوط وقالت له: سأغنيها يا رامي.. وغنتها سنة **١٩٥٤** ولحنها لها السنباطي.

وحينما مات رامي وجدوا في إصبعه خاتمًا واحدًا ووحيدًا مكتوب عليه k ٥.أي أم كلثوم، والخاتم عمره في يده ٤٠ عامًا!! وقد قال رامي في حديث له مع د. نعمات أحمد فؤاد نشرته في كتابها السابق الإشارة إليه:

– هل أحببت غير أم كلثوم؟!

– حبيت.. كثير ولكن في كل مرة كنت لما أحب أحب جزءًا منها.. قد يكون سمار السمراء.. قد يكون عينيها.. خفة روحها.. جزء منها.. إنها الأصل.. إنها الكل.. الكل في الكل.. إنها موسوعة.. أم كلثوم!!– رق الحبيب وواعدني.– هجرتك يمكن أنسى هواك.– غلبت أصالح في روحي.– يا مسهرني.– لسه فاكر.

إن نزار قباني يقول أن أم كلثوم امرأة رامي، أم امرأة شاعر آخر هو رامي!! فهو يقول إن أم كلثوم قد غنت له أغنية واحدة من شعر وطني "أصبح عندي الآن بندقية" وأنه قدم لها في السبعينات قصيدة كان عنوانها (اغضب كما تشاء) تقول كلماتها:

اغضب كما تشاء..

واجرح أحاسيسي كما تشاء

حطم أواني الزهر والمرايا

هدد بحب امرأة سواي

فكل ما تقوله سواء

وكل ما تفعله سواء

فأنت كالأطفال، يا حبيبي

نحبهم.. مهما لنا أساءوا

اذهب.. إذا أتعبك البقاء

فالأرض فيها العطر.. والنساء

وعندما تحتاج إلى حناني

فعد إلى قلبي متى تشاء

ولكنها قالت: قصيدتك جميلة.. ولكنها – بكل أسف – تعارض مبادئي، ومواقفي، ونظرتي للحب. إن أم كلثوم لا تسمح لنفسها، ولا تسمح لها تقاليدها أن تقول لرجل تحبه اذهب شمالاً ويمينًا. وادخل في علاقة غرامية مع ألف امرأة.. ثم إذا تعبت (عد إليّ متى تشاء) لأنني حاضرة للصفح في أي لحظة. لا لست أنا هذه المرأة.. وليس هذا الحب عندي.

وقلت لها: أحترم مشاعرك ونظريتك؛ فأنت امرأة لا تعرف الضعف الإنساني أو البشري في حياتها تقاوم وتقاوم.. إنك امرأة من صنع شاعر آخر هو رامي الذي يحب امرأة ولا ينالها.. أنا شاعر يحب كل يوم ولا يوقف دقات قلبه!! وقالت له: أريد قصيدة من بتوع رامي.. يا نزار.

ولم تكن أم كلثوم كاذبة حينما قالت ما قالت لنزار.. فقد أصيبت بالغدة الدرقية وهدد المرض عينيها ولم يجد الأطباء بدًا من المصارحة، فأنذروها أن الخطر في طريقه إلى عقلها وعينيها، وأن علاجها يتطلب أن تتزوج وترضي بشريتها..

وقالوا لها: رامي. وقالت: أي رجل إلا رامي.. إنه رجل للحب وليس للعلاج!!

وخطبت لمحمود الشريف الملحن المعروف الذي لحن "القلب ولا العين – وحلو وكداب – وعيني بترف" وغيرها.. ولكن الزواج لم يكتمل!! لم يرض الشعب ولا السميعة ولا الناس عن ذلك!!

إنهم كانوا يريدون رامي.. ولكن.. هذا كان الحب المستحيل!!

٢

وأحبها بكتاب طوق الحمامة

الحب له علامات مميزة تبدو في سلوك المحبين وتظهر في تصرفاتهم، وكثيراً ما تفضح سرهم وتكشف مشاعرهم أمام الناس حتى ولو حاولوا إخفاء هذه المشاعر في قلوبهم ونفوسهم..والكاتب الأندلسي القديم ابن حزم يصف في كتابه "طوق الحمامة" هذه العلامات؛ فيقول إن أولها إدمان النظر، وانتقال العين حيث ينتقل المحبوب، والميل حيث يميل، والإقبال بالحديث عليه والإنصات له، واستغراب كل ما يأتي به وكأنه عين المحال، وأخرق للعادات، وتصديقه وإن كذب.. وموافقته وإن ظلم.. والشهادة له وإن جار..

ومن هذه العلامات أيضاً السير نحو المكان الذي يوجد فيه وتعمد الجلوس بقربه والدنو منه، والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقته، والتباطؤ في المشي عند القيام عنه..

ومنها اضطراب يبدو على المحب عند رؤية محبوبه أو عند سماع اسمه فجأة، وتعمد استدعاءه لاسمه، والتلذذ بالكلام عن أخباره، وحب الوحدة، والأنس بالانفراد، وحب أهل المحبوب وقرابته وخاصته حتى ليكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه..والبكاء من علامات المحب.. ومن المحبين من هو غزير الدمع.. هاملالشئونه.. تجيشه عينه.. وتحضره عبراته

متى شاء.. ومنهم جامد العين عديم الدمع..ومن آياته مراعاة المحب لمحبوبه، وحفظه لكل ما يقع منه، وبحثه عن أخباره حتى لا تسقط عينه عنه دقيقة.. وتتبعه لحركاته.. وتعمد لمس يده عند المحادثة.. ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة.. وشرب فضلة ما أبقى في الإناء.. وتحري المكان الذي يقابله فيه!!

وجمع أحمد رامي كل هذه المعاني ووضعها في أغان لأم كلثوم منذ أول قصيدة تركها لأستاذه الشيخ أبو العلا مُحَمَّد، وغنتها.

الحـــب تفضـــحه عيونـــه وتـــنم عـــن وجـــده شـــئونه

إن تكتمنـــــا الهـــــوى والـــداء أقتلـــه دفينـــه

ويمكن تتبع قصة حب رامي لأم كلثوم من تتبع أغانيها، فقد حدث أن سافرت أم كلثوم إلى رأس البر لقضاء فصل الصيف، ثم عادت وكتب لها رامي أغنية "أشرق القلب بعد طول الغياب" وأغنية "قلبي عرف معنى الأشواق" وفي أيام سعادته بهذاالحب كتب "حسن طبع اللي فتني علم القلب الغرام وروحي وروحك في امتزاج" وعندما سافرت أم كلثوم إلى الخارج للمرة الأولى كتب أغنية "البعد علمني السهر".

وكانت أم كلثوم في بعض الأحيان هي التي تعطي الشاعر أحمد رامي وغيره من الشعراء موضوع الأغنية، وذات يوم أحبت أم كلثوم ووصل بها الحب إلى قمة سعادتها فأعطت رامي فكرة أغنية "افرح يا قلبي"!

وكان يحدث في بعض الأحيان أن يكون رامي في قمة التعاسة والشقاء، فكان يعترض على موضوع الأغنية السعيدة "الدنيا حلوة لأنك فيها أشجارها بترقص.. أرضها بتغني!.."

واحتج رامي وقال: "أنا شايف الدنيا سودة.. أشجارها بتلطم.. وأرضها بتبكي!" ورفض رامي أن ينظم القصيدة المطلوبة، وخاصمته أم كلثوم وأصر على ألا يجعل الدنيا تضحك وقلبه يبكي!

وعندما قرر رامي أن يتزوج ذهب إلى أم كلثوم وقال لها إنه قرر الزواج، وقالت أم كلثوم إنها تريد أن تحضر حفلة زواجه وتغني فيها، واعترض أحمد رامي، وقال إن أهل العروس كلهم يعرفون أنني أحبك، وإذا حضرت الفرح سيتحول إلى مأتم!

وكانت أم كلثوم أول من زار عروسه في منزل الزوجية، وعندما رزق بابنه الأول مُحَّد ذهبت أم كلثوم وغنت له في السبوع، وحدث بعد ذلك أن نظم رامي أغنية "جددت حبك ليه.. بعد الفؤاد ما ارتاح"، وذهب رامي كعادته في يوم الخميس ليسمع أم كلثوم، وهناك غنت أم كلثوم للمرة الأولى فأطربت وأبدعت.وكانت السيدة "عطا الله" زوجة رامي تستمع إلى الإذاعة، وإذا بها تسمع أم كلثوم تغني جددت حبك ليه!!ولم يكن رامي أخبر زوجته بهذه القصيدة، وتحركت الغيرة في قلبها وتصورت أن رامى عاد إلى حب أم كلثوم بعد انقطاع.ويبدو أن زوجته منذ اليوم الأول شعرت بأنها زوجة وليست حبيبة فهي في العشرين حينما جاء إليها رامي وهو في

الأربعين وقالوا لها منذ اليوم الأول "حتعملي إيه في أم كلثوم" وقالت: "ماذا ستفعل ملايين النساء مع أزواجهن إن كل البلد تعشق أم كلثوم"، ولكنها كانت تعلم أن كل الرجال "كوم" ورامي "كوم ثاني".

وفي ليلة الزفاف حضرت أم كلثوم وغنت من ألحان القصبجي:

يا نجم مالك حيران بين الغمام والليل بادي

فضلت وياك سهران والروح على البعد تناجي

ولكن الزوجة بعد فترة قصيرة لم تحتمل هذا الشاعر القلق التوتر الذي يقوم أثناء الليل ليدون بيتا من الشعر، أو ليقرأ شيئاً أو لأرق وقالت له: "لكل منا حجرة نوم خاصة".وكان هذا غريباً أن يكون شاعر الشباب له حجرة نوم بلا زوجة؟!

رغم أنه هو الذي علمنا:"وعندما نحب.. نرى من نحب في كل الأماكن.. في كل الأشياء.. في كلمات الأغاني.. وقصائد الشعر.. وأمواج البحر.. وتذاكر السفر.. وأطباق الطعام.. ورائحة العطر.. وإعلانات الثياب.. وأوراق الشجر.. وأفلام السينما.. وفناجين القهوة.. وكراسات الرسم.. ودخان السجائر.وعندما تختفي صورة من تحب من هذه الأشياء.. يكون الحب في ذمة التاريخ.. يكون قد دخل الثلاجة.. إن الانتقال من النار إلى الجليد يعني أن الحب يمكن أن يموت.. وعلامات الموت أن يفقد

من يحب القدرة على الجنون.. على الحنين.. أن يسترد الوعي.. فيرى الأشياء منفصلة عمن أحب"

وأعطى رامي أم كلثوم أول أغنية نظمها وكانت أغنية "خايف يكون حبك لي شفقة علي".. ولم تكن موجهة لأم كلثوم فقد نظمها عام ١٩٢٤ في جارته الفرنسية الحسناء التي لم تكن تعرف العربية وكانت أمه تدعو له أن يتوب الله عليه من الشعر؟!.

ولكن الله لم يتب على رامي من الشعر فقد عرف أم كلثوم، وعرف من اليوم الأول أنها ملهمته، وكان حبه لها عجيباً، عفيفاً، نظيفاً بريئاً! كان حبه أشبه بالتقديس، مكث خمسين سنة يتحدث عنها، كأنها بين ذراعيه. وكانت كلمة الحب لا تكفي لتعبر عن حقيقة المشاعر الحارة التي كانت بين أم كلثوم ورامي.

كان يتحدث إليها في التليفون كل يوم مرتين، مرة في الصباح ومرة في المساء، وكانت خصصت له يوم الاثنين من كل أسبوع وهو يوم أجازة دار الكتب التي كان موظفاً بها، لتكون يومه دون سواه، في ذاك اليوم لا تقابل أم كلثوم أحداً سوى أحمد رامي، له الصباح والظهر والعصر والمساء، وكان الحديث مزيجاً من الحب والأدب والشعر والضحك، وقد قال مرة: أنه يحب أم كلثوم كما يحب الهرم، لم يلمسه، ولم يصعد إليه ولم يدخل فيه، ولكنه كان يشعر بعظمته وشموخه والفن العجيب الذي صنعه.. هل سمعت عن رجل تزوج الهرم أو تزوج نهر النيل؟.

وكانت قيمة حبه لأم كلثوم أنه كان حباً بلا غرض وبلا مصلحة، وأذكر أن أم كلثوم قالت: أن الشاعر أحمد رامي مكث عدة سنوات يقدم لها قصائده وأغانيه مجاناً دون أن يتقاضى ثمناً، وقالت له ذات يوم: إنك مجنون لأنك ترفض أن تأخذ ثمن أغانيك..

قال رامي: نعم أنا مجنون بحبك، والمجانين لا يتقاضون ثمن جنونهم، هل سمعت أن قيساً أخذ من ليلى ثمن أشعاره التي تغني بها؟.. قالت أم كلثوم: لكن لن تأخذ مني مليماً.. شركة الأسطوانات هي التي ستدفع أجرك، وعندئذ فقط قبلرامي أن يأخذ أجراً عن أغانيه التي كان من الممكن أن تدر عليه ألوف الجنيهات..

فرامي هو الذي جعلنا نعتقد أن "الحب بدون أمل أسمى معاني الغرام" فأم كلثوم أرادت أن يكون شاعرها، لا أن يكون حبيبها فأوهمنا هو وفريد الأطرش بأن الفاشل في الحب هو الحبيب الخالد أو الحبيب المزمن؛ فحول فشله إلى حكمة وعجزه إلى استشهاد، وقصر ذيله إلى فضيلة!!فالحب اندماج كامل بين الروح والجسد والحياة، وهذا الاندماج حالة.. أو حقيقة.. وليس تعريفاً للحب.. فلا تعريف للحب.. فالحب لا يخرج من الكتب أو القواميس أو الموسوعات.. الحب لا تصنعه إلا التجارب..ولكن الكاتب الصديق مصطفى أمين يقول يمكن أن تكون أم كلثوم أحبت رامي وهناك عدة حوادث تؤكد ذلك؟!

وكانت أم كلثوم لا تعرف أن هذا الشاعر الذي تتغنى الدنيا بأغانيه بقي في الدرجة الخامسة ١٩ سنة! ولما علمت بذلك ذهبت بنفسها إلى وزير المعارف وقالت له:

– كم تتصور مرتب شاعر الشباب الذي يردد الملايين أغانيه؟

قال وزير المعارف:

– طبعاً هو في الدرجة الأولى

قالت أم كلثوم:

– إنه في الدرجة الخامسة فقط.

وأمر الوزير بترقية رامي إلى الدرجة الرابعة! وقد رقي رامي إلى الدرجة الرابعة سنة ١٩٤٣، وأحيل إلى المعاش عندما بلغ الستين، وعلمت أم كلثوم أن معاشه لا يتجاوز سوى بضعة جنيهات، فذهبت إلى رئيس الوزراء وطلبت أن يعين أحمد رامي مستشاراً في الإذاعة.. حدث كل هذا دون أن تخبره أم كلثوم أنها هي التي طالبت بإنصافه..

وقد يدهش هذا الجيل إذا علم أن رامي كان في شبابه شاباً رائع الجمال، ولكنه أصيب بمرض الجدري فشوه وجهه، ولم يؤثر هذا الحادث على علاقة أم كلثوم برامي، بل زادها اهتماماً به، وإن كان هذا الحادث قد جعله ينقطع عن زيارة أم كلثوم، ولكنها كانت تزوره في بيتهوتحاول إخراجه من عزلته، وتؤكد له أنه لا يزال أحمد رامي الوسيم رغم ما حدث في وجهه من تشويه.

٣

بين أم كلثوم ومنيرة المهدية مات الصحفي

"يا بلح زغلول يا حليوة يا بلح،"في أثناء ثورة ١٩١٩ أصدر القائد العام البريطاني أمراً عسكرياً بسجن كل من يذكر اسم زعيم الثورة سعد زغلول ستة أشهر مع الشغل وجلده عشرين جلدة، وهنا غنت منيرة المهدية أغنيتها المشهورة "يا بلح زغلول يا حليوة يا بلح، عليك بنادي في كل نادي، يا بلح يا حليوة يا بلح" وانتشرت الأغنية، وأصبحت على لسان النساء والرجال والباشوات والفلاحين حتى تحولت إلى ما يشبه النشيد الوطني تحدياً لأمر قائد جيوش الاحتلال! والمعنى أن المهم الرمز، وزغلول موجود.. سعد موجود..

وفي مذكرات كل من: عبد الخالق ثروت باشا، وإسماعيل صديقي باشا ما يفيد أنهما كانا يترددان على الفنانة منيرة المهدية!!ثم أن منيرة المهدية لها أغان مشهورة "أسمر ملك روحي" و"عصفوري يامة عصفوري" وهي قادرة على غناء أغان صعبة لسيد درويش وداود حسني، وهي أول من صرف على المسرح، وألف فرقة مسرحية مثلت على مسرح "بريتانيا" روايات: "كلها يومين" لحنها سيد درويش، و"كليوباترا" ولحنها سيد درويش وأكملها مُحَمَّد عبد الوهاب!!

وأصبحت منيرة المهدية المطربة الأولى في مصر بلا منازع، وفجأة جاءت أم كلثوم إلى القاهرة، وأحست منيرة المهدية أن العرش الغنائي يهتز تحتها وسمعت أن الجماهير جنت بغناء أم كلثوم فلم تصدق ما سمعت، وفي إحدى الليالي ارتدت ملاية لف سوداء، ووضعت على وجهها برقعاً، وارتدت شبشباً في قدميها حتى تبدو كبنات البلد وصحبت معها الممثل مُحَمَّد بهجت، وذهبت إلى مسرح رمسيس حيث كانت تغني أم كلثوم، واشترت منيرة تذكرة في أعلى التياترو، وهي أرخص مقعد في المسرح، وجلست منيرة المهدية تسمع أم كلثوم والجمهور يهلل وشهدت سيطرة أم كلثوم العجيبة على المستمعين، وهي تتحكم فيهم بصوتها الخلاب وتجعلهم يرقصون في مقاعدهم، ويترنحون على نغماتها، ويهبون واقفين مصفقين لها هاتفين بحياتها.

ولم تحتمل منيرة المهدية أن تحضر أكثر من الوصلة الأولى من غناء أم كلثوم فتركت المسرح غاضبة ساخطة على غباء الجمهور وجحوده وقلة ذوقه، عادتإلى عوامتها في النيل وهي تكاد تجن سخطاً وغضباً، وأخذت تفكر كيف تقضي على هذه الفتاة الصغيرة التي تجرأت على تهديد عرشها، وأصبحت تهدد سلطانها؛وهداها شيطانها إلى حيلة غريبة للقضاء على المنافسة الخطيرة.

فقد قال لها أولاد الحلال أن سر أم كلثوم في شلتها: مصطفى أمين وكامل الشناوي، إنه الإعلان والصحافة، وإنها كما شاهدت لا صوت ولا

صورة، وإنما بربجندة خايبة، ولكن الغريب أنها صدقت هذا الكلام رغم أنها ذهبت ورأت وسمعت!!

وسألت من معي من الصحفيين وقالوا لها سيطرت على الكل: يا ست الستات كل الصحفيين بتوع الليل والسهر، ولكن بتوع الجد ممكن ييجي منهم..

وأشار عليهما بعضهم إلى اثنين: فكري أباظة وعبد المجيد حلمي، وسألت من أكثرهما استقامة وقلة خبرة وقلة شهرة وحاجة.. وتعجّب الجميع، ولكنهم قالوا لها: عبد المجيد حلمي رئيس تحرير مجلة "المسرح" وقلمه عنيف وهو صعيدي وشاب لم يسبق له نزوات ولم يعرف عنه مغامرات في عالم العشق والهوى.

وقررت منيرة المهدية أن تقع في غرام الصحفي الشاب، ودعته إلى الغداء في عوامتها وبعد ساعة واحدة كان يجلس تحت قدميها يبادلها عبارات الشوق، وهي تلقي البترول على قلبه المشتعل فتندلع النيران!

وخرج عبد المجيد الطيب من عند منيرة وهو مقتنع بأنه حبها الأول والأخير، وأصبحت مجلة المسرح هي مجلة منيرة المهدية سلطانة الطرب في مصر والشرق! وبدأت مجلة المسرح تهاجم أم كلثوم وقالت في ١٧ يناير سنة ١٩٢٧، أم كلثوم لها مئات العشاق ولا أدري ماذا يحبون فيها، فهي ليست على شيء من الجمال ولا خفة الروح ولا سلامة الطبع.

وفى ٣١ يناير سنة ١٩٢٧ كتبت مجلة المسرح تقول "إن أم كلثوم نجمها قد غرب" وفي ٣١ يناير أيضاً كتبت مجلة المسرح تقول "أم كلثوم قدمت وهي بنت صغيرة شكوى لمحكمة السنبلاوين بأن شاباً من القرية اغتصبها" ووعدت بنشر نص الحكم ولم تنشره أبداً لأنه كان خبراً مختلقاً، ولكن هذا الخبر كاد ينجح في إعادة أم كلثوم إلى قريتها فقد قرأه والدها الشيخ إبراهيم وأقسم ألا تبقى أم كلثوم بالقاهرة بعد أن بزغ نجمها، ولكن الأب أصر لولا أن صديقاً للأسرة حضر في تلك اللحظة واستطاع أن يقنع الشيخ إبراهيم بالبقاء في القاهرة الملعونة.

وفي يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٧ كتبت مجلة المسرح تقول "أم كلثوم يلذ لها أن يتطاحن الأصدقاء ويهان الناس في سبيلها، وكانت مثالاً للزراية بعظمة الرجال والعبث بعقول الشبان والاستهتار بقلوب أولئك الذين أوقعهم سوء الحظ في حبالها، أليس فيهم من طلق امرأته من أجلها؟ أليس فيهم من أصبح هزأة للناس من أجلها؟ أليس فيهم من قاطع أهله وأصدقاءه من أجلها؟ أليس فيهم من أخذت ثروته في التلاشي من أجلها؟!

وهي ماذا صنعت من أجلهم؛ حتى ولا شفقة ولا رحمة؛ أيها الرجال، اسمحوا لي أن أهزأ أنا بدوري منكم جميعاً، ليس في نفوسكم شمم ولا إباء، ليست فيكم نخوة ولا رجولة ليس لكم شرف ولا كرامة، إن أنتم إلا ألاعيب تحركها امرأة طائشة يلذ لها العبث المجرم والاستهتار الكامل، اختفوا من أمامنا أننا نحتقركم جميعاً؛ انقذوا أنفسكم أولاً ثم تعالوا إلينا،

طهروا أيديكم وأنفاسكم ثم اختلطوا بنا، يا رجال الشهوات الميتة والنفوس التي لا تشعر ولا تحس، ما أنتم إلا عبيد امرأة بلا قلب".

ولكن هذه الحملة العنيفة القاسية على المعجبين والمتحمسين للمطربة الشابة أم كلثوم لم تصرف الناس، وفجأة جاء أولاد الحلال وقالوا: لنغير ونعدل.. سنضرب أم كلثوم من المسرح وبسرعة أقنعت الست منيرة عبد الوهاب بإكماله لحن سيد درويش "كليوباترا".. ونجحت الفكرة مرحلياً عندما نشر الأستاذ فكري أباظة مقالاً في الأهرام بعنوان "معجزة الموسم" ويكتب عن ذلك الأستاذ "مصطفى أمين" في كتابه "شخصيات لا تنسى"، رغم أن مصطفى أمين أحد من قال عنهم ولاد الحلال لمنيرة المهدية كلاماً كثيراً!!قال فيه: "منيرة وعبد الوهاب يغردان تغريد البلابل، والجمهور يضج ضجيج الإعجاب العنيف بعد أن أخذت منه الدهشة كل مأخذ، واستولى عليه ذهول الخاشع أمام السحر الحلال مجرم في حق نفسه وحق الفن من لا يشهد رواية كليوباترا في الحال مجرم في حق النبوغ والعبقرية من لا يبادر بإذاعة خبر هذا النصر الحاسم، والنجاح البالغ عنان السماء!".

وأبدت منيرة إعجابها الشديد بفكري أباظة، وغار عبد المجيد من فكري أباظة وكتب مقالاً في مجلته يقول فيه: "وقامت الدنيا، وتحدث الناس عن هذا الإعلان الغريب، وقال يومها الناس كم تقاضى فكري أباظة ثمناً لهذه الكلمة؟ ولكن الناس لا يعرفون الحقيقة، انتهى الفصل الأول من رواية النجاح الباهر، ودخل مع الجمهور فكري أفندي أباظة وظل واقفاً ينظر إلى السيدة منيرة وهي تحيي هذا، وتبتسم لذاك، فهذا

ينحني لها، وذلك يقبل يدها اليمنى! حتى انتهى الدور إلى فكري أباظة، ومرت به السيدة بكل عظمة، فانحنى حتى كاد يمس الأرض بجبهته، فقدمت إليه يدها فقبلها، لا كلمة ولا ابتسامة! هذا هو الثمن الذي تقاضاه فكري أباظة ليكتب تلك الكلمة".

واشتعلت نار الغيرة العمياء في قلب الصعيدي الشاب عبد المجيد وفي يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٧ كتب يقول لمنافسه:

"هي امرأة واحدة نحبها نحن الاثنان يا صديقي، أهو القدر يعبث بنا أم نحن نعبث بها، أم هي تلعب بنا جميعاً؟ قلت لي في مقابلتنا الأخيرة أنها باحت لك بغرامها، وأنها تحبك من دوني ولولا أنها تخشاني لنفرت مني وأبعدتني عنها، ألم تذكر أنها قالت ذلك؟ وفر عليك جهدك فقد سمعت منها هذه الألفاظ عنك.. إذن هي تعبث بنا جميعاً، أحدنا تخشاه والآخر تجد مصلحتها في استرضائه، ومع ذلك فأنت تعبدها وتطمع فيها وتغار عليها، أما أنا فأحبها بلا عبارة ولا طمع ولا غيرة".

وفي ٧ مارس سنة ١٩٢٧ كتب عبد المجيد حلمي إلى حبيبته يقول:

"كان الشرط ألا نتراسل، مهما جد في غرامنا، ومهما وقع لنا، ولكني أحب أن أقص في غيبتي مالا أستطيع ذكره أمامك، نذالة في الرجل يا سيدتي أن يغدر، ولكنها طهارة أيضاً ألا يكون مخادعاً ولا غشاشاً، وأنا اليوم أغدر بك، ولكني لا أغشك ولا أخدعك.. كنت أنت النار التي أشعلت جسمي، ولا أقول قلبي. ولكن هذا القلب كان يدق حين يشعر

بالالتهاب. فظننت أنني أحبك، ظننت أنني لا أستطيع أن أعيش إلا لك أو من أجلك وفي سبيلك، وفي ذلك النهار الممطر الذي قضيناه معاً في منزلي، فجأة دفعتك عني كشيء قذر تمرغت فيه برهة ثم عافته نفسي فتنصلت منه أصبحت "لا شيء" في حين أنك منذ دقائق كنت "كل شيء" كنت أعتقد أنني أحبك وأنني لا أستطيع فراقك كنت أغار عليك حين تمدين يدك بالسلام لمخلوق ما وكنت أحترق حين أراك تبتسمين لشخص آخر كنت لا أطيق مجرد التصور أن رجلاً غيري نظر إليك وابتسم لك.. أما الآن فلا أتمنى على الله إلا أن يبعدني عنك إلى الأبد".

وقالت منيرة المهدية: "هذا الحشرة.. يتركني أنا.. يترك ست الستات.. لست المرأة التي يتركها رجل أنا الذي أترك".. وجن جنون برج الحمل، برج منيرة المهدية، آه من برج الحمل.. وآه من امرأة يبدأ اسمها بحرف ميم إذا قررت الانتقام والثورة.

وجاء أولاد الحلال.. وقالوا لها: "بشبشي له.. اسحري له".. وقالت: "إيه الكلام الفارغ ده.." وقالوا لها وصفة معروفة بعض الآيات وبعض الطلاسم تكتب على ورق بالزعفران وتغسل بالماء ويشرب منها المحبوب!! أو شيء من (أطره) قطعة قماش منديل، وتعرف اسم أمه ونعمل له عمل.. وقالت الاثنان معاً.. ابن الـ... وابن الـ....

وفي ٢١ مارس سنة ١٩٢٧ كتب عبد المجيد يقول "كنت لا أبصر امرأة يا صديقي إلا هزأت منها واستهترت بها، فأصبحت الآن لا أبصر

امرأة إلا أحببتها وتمنيت أن تكون فريسة أعبث بها، وكما تسقط المرأة وتصبح تتاجر بنفسها وجسمها وتنتقم من الرجال جميعاً، لأن أحدهم كان علة شقائها وهاوية سقطتها، كذلك أريد أن أنتقم من النساء جميعاً، لأن إحداهن كانت سبب شقائي وعلة بلائي".

وفي ٢٨ مارس سنة ١٩٢٧ يكتب "وصلتني رسالتك منذ ساعات.. ورقة بيضاء فيها سطران وكلمتان.." افتح الدرج الأسفل في مكتبك، هناك وردة ذابلة أعدها إلي هذا كل ما تطلبين، حقاً لم يبق غير هذه بعد أن أخذت كل شيء، ألم تأخذي قلبي سالماً فترديه عليلاً؟ ألم تأخذي جسمي صحيحاً، لتعيديه سقيماً؟ أليست عواطفي وشعوري معلقة عليك في الحياة؟ إذن لم يبق شيء سوى الوردة الذابلة تستعيدينها؟.. هذه الوردة التي كانت كل سلوتي والتي أجمع فيها أحب تذكارات الهناء، وأقسى ذكريات الألم، ولكن سأعيدها إليك أيضاً.

وفي يوم ١٨ إبريل سنة ١٩٢٧ كتب إليها يقول "أصدقائي يصورونك لي بصورة بشعة، وما يزيدني ذلك إلا حباً فيك، وشغفاً بك وحنيناً إلى لقياك، أن حديث السوء عنك يصيب جرحاً في عاطفتي فيذيبها، المرأة التي أحبتها يحتقرها الناس!؟"

وفي يوم ١ مايو سنة ١٩٢٧ كتب عبد المجيد لها يقول: "أنت طاغية في حبك الأبله، طاغية في تفكيرك الجنوني، طاغية في عبثك الأثيم، طاغية

في استهتارك السخيف، طاغية في إحساسك والشعور، ومصرع كل طاغية رهيب. فهل هذا بسبب الحب.. أم بسبب السحر؟.. أم بسببها معاً؟!

وسقط عبد المجيد حلمي صريع الحمى والحب، وارتفعت درجة حرارته، وأصبح يهذي ويذكر اسم منيرة.. منيرة وحدها، وأفاق من غيبوبته ليكتب يوم ٦ يونيو ١٩٢٧: الآن وقد مضت علي الأيام الستة وأنا فريسة المرض، بدأت الخيالات تمر أمامي تباعاً وفي من الأيام السوداء، أعيد على ذكرياتي الماضي بعيدة وقريبة، فيشتد الألم وتزداد قواي انحلالاً، تآلفت علي عناصر الطبيعة تريد أن تصرعني وتألبت لتغلبني ووقفت لها أحتمل ولا أدفع، وأصبر فلا أجزع، حتى ثقل الحمل ودنا المصرع"

واشتد الألم على عبد المجيد وذهب أصدقاؤه إلى منيرة المهدية يتوسلون إليها أن تذهب إليه ترد له الروح، فقد كان يطلبها وهو يهذي وكان يتوهم أنها إذا جاءت بقرب فراشه أعادت له الحياة، ولكن منيرة رفضت وقالت: إن عبد المجيد مريض بالسل وهي تخشى أن تصاب بالعدوى.

وقد اغتاظ محررو مجلة المسرح وأصدقاء عبد المجيد فنشروا لمنيرة المهدية صورة على غلاف المجلة في شكل قاتلة وفي يديها مسدس، وكتبوا تحتها "السيدة منيرة المهدية كما تريد أن تكون" وضاقت منيرة بحصار أصدقاء عبد المجيد ونقاد المسرح وشباب الصحافة فسافرت فجأة إلى سوريا، وأراد عبد المجيد أن يلحق بها ومنعه أطباؤه فاضطر أن يسافر لها،

ووصل إلى سوريا مرهقاً متعباً وأدخل المستشفى وعاد أصدقاء عبد المجيد يتوسلون إلى منيرة أن تزور عبد المجيد في المستشفى فرفضت، وازدادت العلة عليه فعاد إلى القاهرة في أوائل يوليو ١٩٢٧ ثم تضاعفت العلة وأصيب بضعف شديد وأصر أن يسافر إلى أسيوط موطنه الأصلي ليموت هناك، وفعلاً سافر إلى هناك وأسلم الروح ودفن هناك. ويكتب عنها مصطفى أمين في "أخبار اليوم" بتاريخ ١٩٨٦/١/١٨ تحت عنوان: "المطربة التي قتلت الصحفي.. والصحفي الذي دفن المطربة" يقول:

وفي يوم ١٠ أكتوبر ١٩٢٧ كتبت مجلة الناقد: "الذي قتل عبد المجيد هو ظهور نكران الجميل والخيانة والغدر، هوجم عبد المجيد من الخلف وأرسلت له السيدة منيرة المهدية أختها لتذهب له وتقول إيه يا سي عبد المجيد.. أنت عيان بالسل.. مش تسافر؟ لحسن تعدينا.. دول الممثلين مش راضيين يشتغلوا..

وفي ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ "كتبت الناقد" تقول:

"كانت منيرة المهدية تؤثر في عبد المجيد ببكائها وتطبع شعرها لكي يهاجم خصومها، واليوم وقد قضي المسكين فإن في السماء إلهاً يمهل ولا يهمل وسيسألك: ماذا فعلت بعبد المجيد؟ احترمي الموتى يا شر مثال للخيانة والغدر!!".

وفي يوم ١٧ أكتوبر ١٩٢٧ كتبت مجلة الناقد تقول أيضاً:

"كانوا في القدس، وطلبت منيرة إلى عبد المجيد حلمي على لسان مراد عبد الرحمن خادمها أن يسافر لأن الفرقة لا تريده خوفاً من العدوى.. وأقسم له الممثلون أنهم لا يخشون منه شيئاً، ورأت منيرة ذلك فكلمت قنصل مصر في القدس لكي يأمر عبد المجيد حلمي، لم يعبأ عبد المجيد العنيد، وهو المشهور بصلابة رأيه، أرسلت منيرة إليه أن مكتب الصحة يطلبه وألا يعمل حجراً لفرقة منيرة يا للفظاعة والبشاعة ليس هو الطاعون ولا الوباء الأصفر، ولما ذهب عبد المجيد إلى مكتب الصحة أظهروا دهشتهم لذلك، وثاروا أنهم لم يطلبوه ولا داعي لذلك أبداً"

وهبت العواصف من كل مكان تقتلع منيرة المهدية من عرشها، البعض لعنها، والبعض هاجمها والصحفيون أهملوا أخبارها، والجمهور قاطعها ومضت منيرة تقاوم الصحف كلها والمجلات كلها والنقاد كلهم، كل أصدقائها تخلوا عنها حكموا عليها بغير محاكمة رفضوا أن يسمعوا شهودها أبوا أن يكون لها حق الدفاع عن نفسها!

كان عبد المجيد معبوداً بين الشباب فقاطعوا مسرحها، وأطلقوا عليها اسم القاتلة وذهب بعض الناس إلى الشوارع ينتزع إعلاناتها الملونة أو يعمي عينيها الجميلتين المطلتين من إعلانات الحائط.

إن منيرة المهدية لم تقتل هذا الصحفي وحده، ولكنها تعودت على أن تقتل قلوباً كثيرة، فلقد أحبت وتزوجت من بطل المصارعة "حسن كمال" ثم هجرته وطلقته لأنها تحب أخاه الأصغر وبعدها تزوجت هذا

الأخ الأصغر"إبراهيم كمال"، وسقطت أم الأخوين ميتة بعد سماعها بهذا الزواج.. ولكن من يقاوم هذا الطول والعرض والشخصية والإغراء والعصبية. إنها مدت يدها ليسلم عليها رئيس مجلس الشيوخ حسين رشدي باشا ووجد الرجل نفسه يقبل يدها ليحدث أزمة برلمانية يقف فيها بسذاجة يقول "ليس في الدستور المصري مادة تمنع رئيس مجلس الشيوخ من أن يقبل يد مطربة".

كانت منيرة المهدية تحب شيئاً واحداً، هو منيرة المهدية، أن أي واحد أحبها قال هذه العبارة: "أنا وهي نحب شخصاً واحداً.. هي!!"..

وإذا احتاجت لشيء لم تفصل بين الحب وما تحتاجه، وتفعل هذا قبل الحب تمسح وتكنس وتكوي وتهب كل شيء ولها صوت مؤثر وكلام مؤثر وخطاباتها قصيرة ولكن فيها مقاطع من أغانيها.. أو أغاني الآخرين ولكن فجأة تتوقف عن خدمتك، وتبدأ في كنسك من حياتها وكويك بغيرتها

أما الصحفي عبد المجيد حلمي فهو صاحب هذه العبارة "قلبها من ذهب، جامد، لامع، بارد!!" ولكنها الوحيدة التي تصنع الحب بالكتابة بالزعفران والسحر على الورق الأبيض هل أحبت الصحفي أم كرهت أم كلثوم!

أما أم كلثوم فقد فعلتها معها بذكاء، وعلى عينك يا تاجر وبمنتهى البراعة والطيبة أرادت أن تنهيها للأبد، وبالعقل لا بالسحر، قررت أن تتركها تغني ليقارن الجمهور!!

وعن ذلك يحكي "مصطفى أمين"، وفجأة سألتها:

– وإيه حكاية عبد المجيد؟

– قالت في استغراب: عبد المجيد مين؟

– قلت: عبد المجيد حلمي مجلة المسرح.

– قالت: آه.. آه.. عبد المجيد دي حكاية بسيطة، كان يحبني حباً جنونياً وكنت أعطف عليه لطيبته وبراءته، ولكني لم أحبه لأن غيرته كانت كالإعصار تحطم كل شي أمامها!

ومضت الأيام وانقطعت منيرة المهدية عشرين سنة عن الغناء، وذات مساء اتصلت بي أم كلثوم تليفونياً وقالت لي: "إنني أدعوك معي في حفل ساهر اشتريت بنوار في صالة بديعة وستغني منيرة المهدية، وأنا أريد أن أشجعها وأصفق لها" وألحت إلحاحاً عجيباً أن أصاحبها.

وذهبنا وغنت منيرة المهدية، ويا ليتها ما غنت، كان صوتها أشبه بالأسطوانة المشروخة، فقد صوتها حلاوته وبحته ورخامته وجاذبيته، وكانت أقرب إلى ملكة محنطة في تابوت ترى فيها الماضي الخالد ولا تجد من أثر الحاضر سوى التراب، وكانت أم كلثوم تلهب يديها بالتصفيق وتزغدني في كتفي لأشاركها في التصفيق، وخيل إلي أننا وحدنا الذين كنا نصفق وأن الجالسين في الصالة انهمكوا في الحديث عن ذكريات سلطانة الطرب وبريقها الفتان، ظهرت التجاعيد تملأ وجهها بقسوة ووحشية، انطفأت روحها التي كانت تملأ المسرح حيوية!لم تكن منيرة المهدية! كانت شبح

منيرة المهدية!فعلتها أم كلثوم وأخذت بثأرها بعد أربعين سنة من واقعة أول مقالة كتبها الصحفي المسحور المتيم عبد المجيد ضد أم كلثوم وعشقاً لمنيرة المهدية!!

٤

وتزوجا عرفيا.. بشهادة رجاء النقاش

مصطفى أمين صاحب القلم الساحر والصحفي المخضرم.. أم كلثوم صاحبة الحنجرة الذهبية وكوكب الشرق.. حينما التقيا صنعا صداقه غريبة.. شفتان في فم الصحافة والفن!!

جاءت أم كلثوم من قرية "طماي الزهايرة" تاركة من خلفها عيدان الذرة وسنابل القمح الصفراء وقد غطت شهرتها أقاليم الوجه البحري حتى إن الشيخ زكريا أحمد ذهب ليسمعها في منزلها فلم يملك إلا أن يلحن لها قطعة غنائية، وقرر الوجيه عز الدين يكن بك، أن يحضر الفلاحة ذات الحنجرة الخاصة لإحياء ليلة في قصره بحلوان، وكانت هذه الفرصة التي تنتظرها.

وهناك على باب المحطة كان ينتظرها حنطور البيه، وعلى باب المحطة أيضاً كان الصحفي الداهية مصطفى أمين قد أرسل كاميرا وصحفياً ليكون مع هذه الظاهرة التي جاءت من الوجه البحري للعاصمة، وعاد الصحفي بصورة وقصة غريبة فما أن رآها عز الدين بك وعائلته في زيها الفلاحي البسيط حتى ثار ورفض أن تغني وفشلت كل المحاولات لتطردها العاصمة في أول لقاء بينهما!!

ويتعاطف مصطفى أمين مع الفلاحة القادمة ويشعر بحاسته الصحفية أن هذهالمرأة الممشوقة المختلفة سيكون لها مستقبل في الغناء وحينما يعرف بأنها من مواليد ٤ مايو سنة ١٩٠٤ يراهن فهي من مواليد برج الثور الذي يحكمه الزهرة والذي أصحابه كلهم قد خلقوا من أجل الفن.. إن لمصطفى أمين حسابات خاصة جداً وتلعب الصدفة والقصد دورها فيحدث مصطفى أمين، أحمد رامي الشاعر العائد حديثاً من باريس عن ذلك الصوت فيكون أفضل ثنائي غنائي "رامي/ أم كلثوم"ويظل وراءها حتى عام ١٩٤٦ حيث بدأت الصداقة رسمياً وبشكل مكثف..

ففي إحدى ليالي الخميس كانت أم كلثوم تحيي حفلاً خاصاً بأحد نوادي القاهرة وكان بالصدفة مصطفى أمين ضمن الحاضرين، لقد أصبح لا يترك حفلة لها في القاهرة إلا ويحضرها وفوجئ الجميع بمقدم الملك فاروق عندئذ ارتبكت أم كلثوم، ووجدمصطفى أمين نفسه على المسرح يطمئنها، وبالفعل واصلت الغناء حينما رأت مصطفى أمين يجلس بعد مصافحته للملك مع حاشيته، وغنت أم كلثوم وتألقت حتى أنها تجرأت وذكرت اسم الملك في الأغنية فبدلاً من قولها "يا ليلة العيد آنستينا" استبدلت بهذا المطلع.. "يا مجية الملك فرحتينا" فما كان من فاروق إلا أن نادى مصطفى أمين وطلب منه أن يطلع المسرح ويعلن أن الملك أنعم على أم كلثوم "بوسام الكمال للفنون" لتصبح من ذلك التاريخ صاحبة العصمة!!

وأصبح مصطفى أمين منذ هذا التاريخ صديق وفقيه أم كلثوم، حائطها الذيتلجأ إليه، وقرينها الذي تستشيره كثيراً.. وحدث أن ضباط الفالوجا المحاصرين لم يجدوا سوى صوت أم كلثوم فأرسلوا لها رسالة يطلبون منها أن تغني لهم في حفلتها المذاعة "غلبت أصالح ف روحي" وكان الحفل سيقام بعد أيام قليلة، وكانت وصلات الحفل كلها محجوزة الوصلة الأولى لزوجة الأمير فيصل، والثانية لزوجة الملك الغازي وأم الملك فيصل الثاني، والثالثة لإحدى الأميرات المصريات.. بل أن الأغنية المختارة من ضباط وجنود الفالوجا لم تكن من بين أغاني الحفل وسألت مصطفى أمين وقال لها: أكبر نصر لك أن تكسبي الجيش!!وقالت له: قد يزعل.... وقبل أن تكمل قال لها مصطفى أمين: الوقت الآن يجعل الجيش هو الحصان الذي يجب ألا يزعل!!

واستدعت الفرقة الموسيقية وعملتبروفة لأغنية "غلبت أصالح ف روحي" وغنتها في بداية الحفلة "الوصلة الأولى" ثم أهدت لرجال الفالوجا أغنية جديدة لها معنى أعجب الرجال المعاصرين وهي"أنا ف انتظارك" فهي تريد لهم الخير والعودة قريباً.وكانت هذه النصيحة لها أثرها وبداية تعلق الجيش بأم كلثوم فما أن رجع رجال الفالوجا من الحصار حتى طلبوا أن يقابلوا "الست" ليشكروها.

وفي سنه ١٩٤٩ كانت الحفلة في فيلا أم كلثوم وكان مصطفى أمين معها يستقبل أبطال الفالوجا وأعد كل شي بدقة!! وفي هذه الحفلة رأت أم كلثوم عبد الناصر لأول مرة وتبادلا النظرات وكانت بداية لتعلق كبير بين

زعامة السياسة وزعامة الطرب! ويقول عنذلك مصطفى أمين "وبين الحين والحين كنت ألاحظ نظرات متبادلة بين أم كلثوم وعبد الناصر. ولم أستطع وقتها أن أترجم هذه النظرات في حينها، فربما كانت نظرات لقاء قادم ومصير مشترك بين زعيمين"

وحينما تغير الزمن وقبض على مصطفى أمين "في قضية سياسية في عصر عبد الناصر لم يستطع أحد أن يكلم عبد الناصر بخصوصه، حتى أن عبد الناصر فاتح عبد الوهاب بخصوص ذلك في حفل بمناسبة **٢٣** يوليو "عيد الثورة" فقال له: "أنا عايزك تغني كويس، رغم إني عارف إنك زعلان علشان مصطفى أمين"ولكن عبد الوهاب قال:"أبداً يا فندم.. السيئ يلقى جزاءه ثم أضاف لم يكن صديقي إلا من مدة قليلة".

أما أم كلثوم فكان موقفها مختلفاً فقد جلست أكثر من مرة في جلساتخاصة مع عبد الحكيم عامر وعبد الناصر، وفي كل مرة كانت لا تضيع الفرصة فتفتح موضوع مصطفى أمين،وتذكرهما بوطنيته وبأياديه الطاهرة وكيف أنه لم يدخل مليماً حراماً إلى أخبار اليوم حتى أنها استعملت تعبيراً رجالياً جداً مع عبد الناصر جعلته يشيح عنها بوجهه فقد قالت بالنسبة لمصطفى أمين: "أضمنه برقبتي ياريس!!"

ولذا قال مصطفى أمين: عرفت الصداقة في حياتي، وأنا أؤمن بصداقة النساء فهن اللاتي وقفن معي..كانت أم كلثوم بعشرة رجال،وكانت شادية أفضل من معظم الرجال؛ ففي السجن اعتمدت

عليهما تماماً، وكانتا عند حسن الظن!!فقد كتب إلى أم كلثوم يقول لها: أحتاج إلى مائتي جنيها فوراً،وأحب أن أنبهك أن مساعدتك لي قد تعرضك لوضع أموالك تحت الحراسة وأنه لن يتضايق إذا رفضت لأنه يقدر الضعف الإنساني والظروف المحيطة..وأنهى الرسالة بعبارة: إني قد أستطيع أن أرد المبلغ بعد عشر سنوات، وقد لا أستطيع أن أرده!!.

وأرسلت أم كلثوم خمسمائة جنيها وقالت إنها مستعدة أن ترسل حتى خمسة آلاف وقد فوجئ "مصطفى أمين" بطبيب السجن يقول له بأن أم كلثوم كلفته بأن يستمع لها يوم الخميس ففي قصيدتها الجديدة ثلاثة أبيات هدية لمصطفى أمين، وكانت قصيدتها "الأطلال"

وسمع أم كلثوم تقول:

أعطـني حـريتي أطلـق يـديا	إنني أعطيت ما استبقيت شيئا
آه من قيدك؟ أدمى معصمي	لم أبقيـه؟ ومـا أبقـى عليـا

ولهذا كتب الأستاذ مصطفى أمين في كتابه "شخصيات لا تنسى" تحت عنوان: "أم كلثوم.. الأخرى".. يقول:عرف الناس أم كلثوم، وأنا عرفت أم كلثوم الأخرى، عرفوا الأسطورة وعرفت الإنسانة، عرفوها بخيلة وعرفتها كريمة. عرفوها فوق المسرح والأضواء مسلطة عليها وصوتها يملأ الدنيا متعة وهناء. وعرفتها في غرفتها الصغيرة في الطابق العلوي من بيتها منزوية فوق كنبة صغيرة تبكي في صمت!!

وله الحق أن يقول أكثر من ذلك.. لماذا؟!.. فهي لم تنس تنظيمه حملتها معه خلف الزعيم عبد الناصر أيام النكسة وقتها جمعت الذهب لمصر وللمجهود الحربي.

ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن وقعت أم كلثوم في غلطة عمرها فقد توجهت إلى منزل الرئيس السادات بالجيزة وكما يقول الصحفي حنفي المحلاوي في كتابه "عبد الناصر وأم كلثوم.. علاقة خاصة جدا" أنه في صالون الاستقبال حيث كانت موجودة السيدة جيهان السادات انطلقت أم كلثوم بصوتها المرح المشوب بالحزن ناسية بروتوكولات الرئاسة. "مبروك يا أبو الأنوار"وكان لهذا الجملة وقع الصاعقة على وجه وجسد زوجة الرئيس السادات؛ فقالت لأم كلثوم في لهجة حازمة: "اسمه الرئيس مُحَّد أنور السادات.. وتعلمي كيف تخاطبي الرؤساء!!"

وتكهرب الجو، وضاع أمل أم كلثوم في عرض أمر مصطفى أمين على الرئيس السادات، وعلى الرغم من الصراع الذي بدا واضحاً بين جيهان السادات وأم كلثوم منذ هذا الموقف إلا أن أم كلثوم من أجل عيون "مصطفى أمين" داست على كل مرارة في نفسها؛ ففي أحد الأيام صحبت أم كلثوم بنات الكاتب الكبير مصطفى أمين: رتيبة وصفية إلى بيت الرئيس السادات، وقابلت معهما السيدة چيهان، وقالت إنها مريضة ويزيد في مرضها أن يكون مصطفى أمين خلف القضبان في قضية هو مظلوم فيها، ووعدت جيهان السادات بعرض الأمر على الرئيس وأنها ستفعل كل ما

يجب حتى يفرج عن مصطفى أمين وأفرج عن مصطفى أمين بعد ١٣شهراً من الزيارة عام ١٩٧٤!!

وهذه العلاقة الخاصة بين أم كلثوم ومصطفى أمين جعلت الكثيرين يعتقدون أنه قد تزوجها في فترة من فترات حياته، وسأله البعض هذا السؤال؟! وأجاب مصطفى أمين: لم أتزوجها؟! لقد كنا أكثر من مجرد صديقين.. نلتقي كل ساعة.. بل كل دقيقة.. ولو من خلال التليفون!! وبقي السر.. ما معنى الإجابة.. وإلى ماذا يشير!!وسار وراء تلك الأجابة ناقد وصحفى كبير هو "رجاء النقاش" وفى ٢٠٠٣ فجر قنبلة فى كتاب "التماثيل المكسورة" من بيروت قال فيه: تزوجها، وعندي العقد العرفي وأقوال سبعة من أقرباء ام كلثوم. ونشر عدة صور لمصطفى أمين وثومة لا يمكن إلا أن تكون لزوجين.كأن يكون مصطفى بك بالبيجامة وثومة بجلابية منزلية، أو أن يكونا معا بالمطبخ.

وحين عاتبه البعض على كتابه واتهمه بالكذب عاد لمصر ونشر فى الأهرام مقالة فى ٢٠٠٥ بنفس المعنى مابينهما زواج عرفي على سنة الله ورسوله وبعلم أهلها،وقال فى نهايتها وعلى المعترض اللجوء للقضاء.وبدهاء ودبلوماسية من"سناء البيسي" أصدرت عددا عن "أم كلثوم"بنصف الدنيا٢٠٠٦لم تقل فيه كلمة عن الزواج ولكن نشرت عدة صور لأم كلثوم ومن بينها صورها مع مصطفى أمين، والصور أوضح وعددها أوفر وفى مجلة الكتاب،وفى مصر لا لبنان.

١

النساء دائما مشكلة الرجل الوسيم

قال الصحفي "فرانسيس لارا":"لو أن عدد النساء اللائي عرفهن كيندي هو ثلث ما تسرده عنه الإشاعات لظل الرقم خياليًا، وأغرب ما في الأمر أنهن لم تثرثرن علنًا حول مغامراتهن!!".وقال مارثن فنكر،وهو أحد المسئولين عن حراسة كيندي:"شهيته حيال النساء كانتمرضية،ولو أراد المرء تدوين قائمة بكل نسائه لعجز!".

"المعروف أن جون كيندي كان إنسانًا رومانسيًا بكل معاني الرومانسية، وأن الجنس عنده لا يمثل أي شيء بجانب كلمات الحب الساخنة، ولقد أشبعته جاكلين حبًا، ولكن من المعروف عنها عشقها الجارف للجنس.. ويبدو أنها كانت تمارسه خفية من وراء زوجها، ثم تعرفت جاكلين على أوناسيس المعروف عنه أنه وحش جنسي متعجرف، وتعلقت به!!".

فالرجل وسيم رومانسي أشبعته زوجته حبًا ولكن كلا منهما يسعى للجنس مع أطراف أخرى بعيدًا عن شريكه! ترى أي خلل في العلاقة وفيمن يكمن؟!.. المرجح أن يكون الخلل في شخص الزوج "كيندي".. ذلك إذا ما روعيت فرضية أن تحقيق إشباع جنسي من قبل الزوج لزوجته

في مقابل ما حققته له من إشباع عاطفي يجعل الزوجة مكتفية من زوجها ليس لها حاجة في غيره..

أما والحال أن بها عشق جارف للجنس احتمل معه أنها تمارسه من وراء زوجها، وأنها وجدت في أونانيس الوحش الجنسي المتعجرف غايتها، فهذا في حد ذاته يعد بمثابة دلالة على إخفاق كيندي – الرومانسي – جنسيًا.. وهو نفسه السبب الذي يمكن أن يعتمد دليلاً على أن شهيته حيال النساء وتعدد علاقاته النسائية لم تكن من كونه زئر نساء صاحب مخزون هائل من الطاقة يحوجه لمثل تلك الكثرة من النساء، وإنما كانت بدافع الضعف ومحدودية الاقتدار الجنسي، وهي حالة يميل صاحبها للاعتقاد في عجزه عن دوام السيطرة على الساحة الجنسية لامرأة واحدة تكتشف مع تكرار المواقعة محدودية قدرته الجنسية..ومن ثم فهو لا يميل للإبقاء على علاقة من هذا النوع من امرأة بذاتها، وإلا كان اختار من بين أجمل النساء محظية له واكتفى بها..

كانت مغامرات جون كيندي النسائية قد ازدادت حدة وشراسة، بينما كانت "جاكي" تلعب دور الزوجة الوفية المخلصة خلال حملة انتخابات الرئاسة. لقد انغمس كيندي من حين لآخر في سلسلة متوالية من العلاقات الغرامية..وتشير ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكية (FBI) إلى العديد من هذه العلاقات، ومن بينها علاقة غرامية لكيندي مع اثنتين من المضيفات الجويات في ولاية كاليفورنيا.

ويشير تقرير آخر لمكتب التحقيقات الفيدرالية إلى المطرب الأمريكي الشهير (فرانك سيناترا) وإلى أنه يهيىء للرئيس حفلات ماجنة في (بالم سبرنجز) و(لاس فيجاس) و(نيويورك) وإلى وجود شهادات مكتوبة من اثنتين من بائعات الهوى في نيويورك تؤكد مضاجعة جون كيندي لهماوتكشف ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية أيضًا عن أن جون كيندي قام خلال عامي ١٩٥٧، ١٩٥٨ برحلات عديدة إلى كوبا لزيارة (فلو سميث) زوجة (إيرل سميث) السفير الأمريكي في كوبا. وأن لقاءات عديدة جرت بين العشيقين (جون كيندي) و(فلو سميث) في ميامي وبالم بيتش!!وفي خلال حملته الانتخابية كان معاونوه يتحدثون بشكل صريح عن نساء كيندي من مضيفات إلى عارضات أزياء وممثلاتفعلى سبيل المثال، قالت جانيت دي روز "المضيفة على طائرة كيندي الخاصة": "أنها تلوم جاكي لأنها لم تواكب زوجها في أسفاره.. كانت جاكي لا تحب الاختلاط بعامة الشعب وتبغض تلك الحملات الانتخابية المرهقة،حيث ترغم على الشد على الأيدي وتوزيع الابتسامات وتقبيل الأطفال والشيوخ.. إن جاكي إنسانة متحفظة وأعتقد أن جون لم يكن يشجعها كي تخرج من عالمها، وإن كانت قد لعبت دورًا أساسيًا في الصورة التي كونها عن نفسه كرئيس!".

لقد كان جون منهمكًا في حياته الجنسية، وكان قلقًا من أن يرغم على تبديل مسلكه إن هو انتخب رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، كما خشي أن تسرب أخباره إلى الصحف فيستفيد منها غريمه (ريتشارد

نيكسون)، ورغم انشغالاته الكثيرة كان ينظم برنامجه بشكل يتيح له ممارسة رياضته المفضلة مع النساء!!.

وفي السابع من فبراير عام ١٩٦٠.. وبينما كان يتوجه بالطائرة من ولاية تكساس إلى ولاية أوريجون، قرر جون كيندي تغيير وجهته ليصل إلى فندق "ساند هوتيل" في مدينة لاس فيجاس للقاء المطرب الشهير فرانك سيناترا.. ووجه سيناترا الدعوة إلى كيندي ورفاقه لتناول الشرابويروي أحد الصحفيين المرافقين لجون كيندي في هذه الرحلة: أن قاعة الانتظار في ذلك اليوم كانت مزدحمة للغاية،وأخذ أناس يجيئون ويرحون، وحول مائدة سيناترا انتشرت مجموعة كبيرة من فتيات الاستعراضات، ومن بينهن كانت امرأة بالغة الجاذبية لها عينان زرقاوان وشعر في حلكة الليل واسمها (جوديت كامبل اكسنر) وكانت مطلقة وتبلغ من العمر ٢٦ عامًا، وهي ممثلة فاشلة من ممثلات هوليوود، ولكنها كانت نجمة ناجحة من نجوم الحفلات،وقد انزلقت في علاقة غير شرعية مع فرانك سيناتراوقدمها سيناترا إلى جون كيندي.. وفي اليوم التالي دعاها كيندي للعشاء واحتساء النبيذ.. ثم بدأت علاقتهما العاطفية بعد شهر واحد عندما التقى الاثنان معًا في فندق بلازا في مدينة نيويورك..

وخلال هذه العلاقة التي دامت حتى منتصف عام ١٩٦٢ تعددت اللقاءات بينهما في الفنادق والموتيلات وفي بيت جون كيندي في جورج تاون.. خاصة عندما كانت جاكي تمضي عطلتها في ولاية فلوريدا.. بل أن اللقاءات بينهما تعددت أيضًا داخل البيت الأبيض!!..

وأغدق عليها كيندي الهدايا، ومن بينها بروش كبير من الماس والياقوت وشيك بمبلغ ألفي دولار لشراء معطف من فراء المنك الثمين،ولم تنقطع الاتصالات التليفونية بين (اكسنر) وجون كيندي طوال الثمانية عشر شهرًا الأولى له في البيت الأبيض، وهو ما تكشف عنه سجلات البيت الأبيض..وأكثر الجوانب التي تثير الاهتمام فيما يتعلق بهذه العلاقة هو ما تكشف فيما بعد عن ارتباط (اكسنر) بعصابات المافياوخاصة بزعيم المافيا في شيكاغو (سام جيانكان) ونائبه في كاليفورنيا (جون روسيللي).وقد قامت وكالة المخابرات الأمريكية في وقت لاحق بتجنيد الاثنين "سام جيانكان" و"جون روسيللي" في إطار مؤامرة لاغتيال الزعيم الكوبي (فيدل كاسترو).

وعلى الرغم من النواقص العديدة وعدم الاتساق الذي يفوق روايات اكسنر المتعددة لعلاقتها مع جون كيندي تبقى الحقيقة الأساسية وهي أنها كانت على علاقة بالمافيا وأن جون كيندي كان واعيًا بذلك، واستمر في علاقته بها!!

ويقول بيتر لوفورد "زوج إحدى شقيقات كيندي": كانت جوديت اكسنر تحب مديح نفسها، فأخذت توهم أنها مهمة في حياة كيندي.. مسكينة لم تكن تعرف طباعه، إذ أنه لم يمزج مرة بين الحب والجنسحتى مع مارلين مونرو.. فقد تعرف جون على مارلين في عام ١٩٥٧ إلا أن قصتهما الفعلية تأخرت إلى عام ١٩٥٩ حين قرر الرئيس قضاء عدة أيام معها في بالم سبرنجز، وكان زواج مارلين من الكاتب آرثر ميللر يكاد يصل

إلى ختامه.. وكانت مارلين تبحث لنفسها عن رفيق ملائم، فالتقت بجون كيندى في حفل عشاء..

ويقول الضيوف الذين كانوا على نفس مائدة هذا العشاء: أن مارلين في رأيي هي أفضل مغامرات كيندي.. لقد كانا من نفس العائلة الروحية..ولدا من أجل الشهرة والنجومية..وكانت مارلين تلك الليلة تمازحه حول مساندتها له في حملته الانتخابية:

– أتشعر اليوم أن ظهرك أصلب؟..

ولما سمعت جاكلين عن علاقة زوجها بمارلين، كانت حاملاً في تلك الحقبة،وقد زارها الكاتب "ترومان كابوت" في نيويورك،فقالت له:

– الحمد لله أنني حامل.. هذه حجة رائعة للاعتذار عن جميع المآدب الرسمية.

وقد لعبت جوان برادين – وهي زوجة صحفي من كاليفورنيا – دورًا كبيرًا في إقناع جاكي بالمشاركة في الحملة الانتخابية.. تقول: اقترحت على جاكي مجموعة من الأمور كي تساعد زوجها في حملته الانتخابية.. وأعتقد أنني تمكنت من إقناعها لسبب واحد.. هو أنني كنت حاملاً مثلها.. أخذت "أغربل" معها المواعيد والمقابلات التليفزيونية.. ومرات كثيرة كنت أختار نيابة عنها ثم أرافقها إلى الاستديو أو أطلب من شبكة التليفزيون أن تأتي إلى بيتها للتصوير.

وخلال الحملة الانتخابية قالت لي جاكي أكثر من مرة أنها تخشى أن تفقد جنينها، فقد سافرت أكثر من مرة من منطقة إلى أخرى، وفي طقس سيء،وفي مرة أصر مستشارو جون أن تسافر معه جاكي إلى نيويورك.. وطلبت منها ألا توافق إن كانت تشعر بالتعب، إلا أنها قالت:لو رفضت السفر وفشل في الانتخابات، فأنا لن أسامح نفسي أبدًا..

وسافرت معه، وكانت رائعة.. تحدثت بالإسبانية إلى الإسبان، وبالإيطالية في الحي الإيطالي، وبالفرنسية مع الهاتيين خلال المأدبة التي أقيمت في نيويورك..كانت جاكي على بعد أربعة مقاعد من زوجها فتنهدت وقالت:هذه أقرب مسافة بيني وبين زوجي منذ أشهر!..

وفي مرحلة أخرى ورد أن جاكي كانت تشعر بالقرف وتحاول ما استطاعت أن تكون مسافرة للابتعاد عنه.. كانت تتصرف بطريقة غريبة حيال مغامراته.. تتهكم عليه في بعض المرات.. تغضب مرات أخرى.. أو تصمت وتغض الطرف.. وذات مرة كان الزوجان معًا لقضاء عطلة في بالم سبرنجر.. ولما عادت جاكي من البحر قالت لزوجها:انزل بسرعة إلى الماء..لاحظت لك جميلات من النوع الذي يعجبك..وفي مناسبة ثانية وخلال حفل في البيت الأبيض، أجلسته بين سيدتين كانت قد سمعت أنه عاش علاقات معهما!!.

٢

أمن الرئيس: لايسمع، ولايرى، ولايتكلم

حين عدنا من نيويورك أمضى كيندي عشرين دقيقة مع فتاة جميلة.. وليلة المناظرة مع نيكسون سألني جون ما إذا كنت أمنت له فتاة الليل، فاهتممت بالموضوع.. ويبدو أن هذه اللقاءات كانت تريحه!.. فقد كان كيندي خلال المناظرة التليفزيونية مرتاحًا مبتسمًا أمام الجمهور.. أما نيكسون فكان شاحبًا!.. وقبل كل مناظرة كنا ننصاع لرغبات جون النسائية.. وبعكس ما توقع البعض لم يبدل فوز كيندي بمنصب الرئاسة أنملة في تصرفاته.. ويبدو أن مشكلته الأساسية في بداية عهده كانت التفلت من رجال الأمن.

ذات مرة طلب جون من أحد الخدم أن يلفه في سجادة كي يتمكن من الخروج من البيت الأبيض!..لقد كانت أجهزة الأمن تتفقده باستمراروحينفهموا أسلوبه أخذوا يتصرفون معه بشكل مختلف، ويعاونونه على تحقيق رغباته.كان المخبرون رجال الأمن الشباب لا يصدقون أعينهم حين طلب منهم مرافقة الرئيس. كانت مهمتهم الأساسية أن يحتفظوا بما يشاهدونه لأنفسهم.. كان كيندي يحب إشراكهم في حفلاته لأنهم شباب مثله يحبون السهر والخمر والنساء.. كان يشعر أنهم أصدقاؤه، وأنهم لن يفشوا أسراره أبدًا.. لقد كانت مرافقة الرئيس عيدًا دائمًا.. كان كيندي يقبل على الحياة بشهية معتقدًا أن كل رغباته ستتحقق، وأن كل الأمور

تسير على ما يرام!!..وكان الرئيس قد عين لنفسه في البيت الأبيض غرفة نوم مستقلة عن غرفة زوجته يستعملها حين تكون غائبة.. من جهة أخرى كانت جاكي تضجر من البيت الأبيض، وكان هو يشجعها كي تسافر باستمرار.. وخلال أسفار الرئيس يجتمع رجاله حوله مرتين.. الاجتماع الأول لتحضير الملفات السياسية، والاجتماع الثاني – وكان يحضره دومًا رئيس المخابرات – فكان لتنظيم برنامج الرئيس (الإنساني)!!كان رجال الشرطة السرية يسبقون الرئيس إلى المدن المزمع زيارتها لتنظيم المواعيد الغرامية مع أجمل حسناوات المنطقة اللواتي لم يرفضن مرة فكرة لقاء رئيس الولايات المتحدة الأمريكية!..

أما الحفلات الخاصة، التي كانت تنظم في البيت الأبيض، فقد كانت تدور غالبًا حول حمام السباحة.. وكانت أوامر رجال الأمن صارمة للخدم..إذ يمنع بتاتًا اقترابهم من مكان الحفل.. ويبدو أن كل العاملين في البيت الأبيض كانوا يحفظون أسراره.. وبدوره كان يعرف تحركات زوجته بحذافيرها.. كان يعرف – مثلاً – أن طائرتها ستصل في السابعةولأنه على اتصال دائم بالمسئولين عن حمايتها كانوا يبلغونه حين تهبط طائرتها على أرض المطار..وحين تنزل من الطائرة وتركب السيارة..أي أن حفلاته كانت أشبه بالمغامرات البوليسية لا ينهيها قبل أن تدخل سيارة جاكي إلى البيت الأبيض.. أما الحسناوات المشاركات في الحفل، فكن يطلب منهن – ببساطة – الخروج من باب خلفي!.

وتروي ليزلي ديفرو، وهي بائعة هوى معروفة في نيويورك، أن بيتر لوفورد،وهو رئيس شعبة المخابرات المسئولة عن مغامرات الرئيس العاطفية،اتصل بها وطلب منها لقاءً في فندق (كارليل) وحين صعدت إلى الغرفة المتفق عليها وجدت نفسها وجهًا لوجه مع رئيس أمريكا، ويبدو أنها التقت بالرئيس بعد ذلك أكثر من مرة!..

يقول بيتر لوفورد عن علاقة جون بجين مانفيلد: كانت جين شقراء فاتنة، إلا أنها لم تكن شعلة ذكاء.. التقى بها الرئيس ثلاث مرات.. الأولى في بيفرلي هيلز.. والثانية في ماليبو.. والثالثة في بالم سبرنجر.. كان زواجها يصل إلى نهايته.. وكانت تنادي كيندي (مستر كاي)، وكان الرئيس يمتدح مفاتنها ويقول أنها أجمل جسم في هوليوود!.

ورغم هذا فهناك بعض النساء رفضن الوقوع في شرك الرئيس الوسيم، منهن (شيرلي ماكلين) التي كانت تمضي بضعة أيام عند فرانك سيناترا، حين أعلن الرئيس أنه ينوي زيارته فطلب سيناترا من الزائرة الحلوة أن تستقبل الرئيس على أرض المطار.. وفي السيارة حاول كيندي مغازلتهافقتحت الباب وقفزت.. توقف السائق وطلب منها الصعود بسرعة كي لا تعرض حياة الرئيس للخطر، وقد قالت شيرلي جملة أصبحت اليوم شهيرة وهي: "الحق أنني أفضل رئيسًا يمارس رغباته مع النساء بدلاً من جن يمارسها على بلاده وشعبه".

في سبتمبر ١٩٥٨ حضر جون كيندي والسناتور الأمريكي (جورج سمازوز) حفلة في السفارة الإيطالية في واشنطن، شاركت فيها نجمة السينما العالمية الإيطالية (صوفيا لورين) وكانت جاكي خارج واشنطنوبدا أن صوفيا بمفردها ولا يرافقها أحد، وأبدى جون كيندي اهتمامه بالتعرف على صوفيا لورين، ولكنه بدلاً من أن يتجه إليها مباشرة انتظر في فناء السفارة الإيطالية وبعث إليها بصديقه السناتور (جون سمازوز) الذي أخذ يحادث النجمة العالمية بنغمة ناعمة محاولاً إغرائها، وقال لها أن صديقه (جون كيندي) الذي من المتوقع أن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية قريبًا، يدعوها لتناول طعام العشاء معه في منزلهوأضاف سمازوز: إن الشمبانيا قد أعدت بالفعل..ورفضت صوفيا لورين هذه الدعوة في أدب،ولكن بحزم، وشهد الموقف – موقف عرض الدعوة والرفض – (ماكسين تششاير) الذي كان يقف بالقرب من صوفيا لورين، والسناتور جورج سمازوز.. وعاود سمازوز دعوته مرة ثانية وثالثة ولكن صوفيا لورين صدته.وعاد السناتور سمازوز إلى فناء السفارة الإيطالية حيث كان جون كيندي ينتظر، وأبلغه برفض صوفيا لورين، ولكن كيندي لم يكن من نوع الرجال الذين ينتابهم اليأس من أول مرة؛ فأقنع جورج سمازوز بالعودة من جديد إلى صوفيا لورين لإقناعها بقبول دعوته على العشاء والشمبانيا!.

وعندما عاد سمازوز إلى صوفيا لورين نظرت إلى المراسل الصحفي (ماكسين تششاير) تستنجد به للتخلص من إلحاح سمازوز المتكرروإزعاجه لها،وبدت صوفيا لورين كما لو كانت تتوسل إلى ماكسين تششاير لينقذها من هذه الورطة، ولكن السناتور سمازوز لم يفهم تلميحات النجمة العالمية

وتصور أن المراسل تشساير هو مرافقها أو مترجمها الخاص فابتسم سمازوز لها قائلاً بلهجة غاضبة: أوه.. يا للجحيم.. يمكنك أن تأتي بصديقك أيضًا لتكون سهرة رباعية.

وعلى الرغم من فشل محاولات جون كيندي مع صوفيا لورين، إلا أنه حقق نجاحًا ملموسًا مع (باميللا تيرنر) البالغة من العمر ٢١ عامًا، والتي كانت نجمة جديدة في الحفلات الاجتماعية في واشنطن، والغريب أن باميللا تيرنر كانت تشبه جاكي إلى حد كبير وتتسم بنفس التحفظ..

وقد عملت باميللا في وظيفة سكرتيرة في مكتب السناتور جون كيندي، ثم انضمت – في وقت لاحق – إلى الفريق المسئول عن حملته في انتخابات الرئاسة الأمريكية.. وقد أثارت لقاءات باميللا تيرنر الليلية في شقتها مع جون كيندي ضيق وغضب أصحاب المنزل، وهما زوجان كاثوليكيان؛ فقاما بوضع أجهزة تسجيل في فتحة التهوية الموجودة في غرفة نوم باميللا، وعمدا أيضًا إلى تصوير جون كيندي وهو يخرج من شقتها مسرعًا كمن يلوذ بالفرار تحت جنح الظلام.. وقد ضم (إدجار هوفر) مدير مكتب التحقيقات الفيدرالية آنذاك هذه الأدلة إلى ملفات جون كيندي المتضخمة!.

وقررت باميللا الانتقال إلى شقة أخرى، وبناء على توصية من جون كيندي نفسه، انتقلت للإقامة في بيت (ماري ماير) وهي فنانة حرة متخرجة في كلية البنات في فاسار والتي تخرجت فيها أيضًا جاكلين كيندي،

وبالتالي كانت صديقة لها..ويقول جيمس أنجلتون "مدير العمليات السرية في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية" وكاتم أسرار ماري ماير: أن ماري ماير نفسها في مأزق حرج رغمًا عنها؛ فباميللا تيرنر تقيم معها، وبالتالي أصبحت ترى جون كيندي وهو يزورها سرًا، وتتكشف لها العلاقة الغرامية بين الاثنين.. ولكن ما كان بمقدورها أن تفعل شيئًا على الرغم من أنها صديقة لجاكي..

ويضيف جيمس أنجلتون: أنه عندما تم تنصيب جون كيندي رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، اقترح على جاكي تعيين باميللا سكرتيرة صحفية لها، ولكن جاكي تساءلت مندهشة عن مبرر ذلك، خاصة وأنها ليست بحاجة إلى سكرتيرة صحفية.. علاوة على أن باميللا تيرنر لم تكن لديها خبرة من أي نوع في العمل مع رجال الصحافة ومواجهتهم.. ولكن في نهاية الأمر رضخت جاكي لاقتراح جون كيندي، خاصة بعد أن تبينت أنها بتعيينها باميللا سكرتيرة صحفية لها سيكون بمقدورها مراقبتها عن كثب..

ولكن ما لم يكن في قدرة جاكي التنبؤ به آنذاك هو قيام جون كيندي في وقت لاحق بقطع علاقته مع باميللا تيرنر والدخول في علاقة غرامية مع ماري ماير صديقة جاكي!!..

يقول أحد معاوني جون كيندي، وهو (لانجدون مارفن): أن علاقات الرئيس الأمريكي الأسبق مع النساء كان يمكن أن تصبح لها نتائج مدمرة

لأبعد الحدود، ويشير لانجدون في هذا الصدد إلى إحدى المرات التي انغمس فيها كيندي مع ملذاته وتملص من حرسه الخاص حتى أن أحدًا لم يكن يدري مكان وجوده لبعض الوقت.. وكان من بين من تركهم كيندي خلفه وهم في حيرة من أمرهم، حامل الصندوق الأسود الذي يحتوي على النظام الشيفري الخاص بشن هجوم نووي على الاتحاد السوفييتي أو الرد على أي هجوم مماثل من جانب موسكو.. وخلال تلك الفترة التي أمضاها كيندي في مضاجعة إحدى الفتيات كان بمقدور موسكو أن تشن هجومًا نوويًا ساحقًا وماحقًا على الولايات المتحدة دون أن تستطيع واشنطن الرد على ذلك من جانبها.

ومرة ثانية عندما فقد جون كيندي دفتر التليفونات الخاص بعشيقاته في ولاية أريزونا.. وعندما تم العثور عليه أرسل إلى جناح كيندي بفندق كارليل بمدينة نيويورك دون علمه، في الوقت الذي كان وزير الخارجية السوفيتية يزور نيويورك لحضور مؤتمر تابع للأمم المتحدة، وتصادف أن نزل وزير الخارجية السوفييتية في نفس الجناح الذي كان مخصصًا لكيندي في الفندق.

ويقول لانجدون مارفن: أن كيندي اتصل به في اليوم التالي وهو في حالة من الذعر، مما دفعه – أي لانجدون مارفن – إلى رشوة عامل المصعد في فندق كارليل، ليتيح له الدخول إلى جناح وزير الخارجية السوفييتية،وعثر بالفعل على لفافة مربوطة بداخلها دفتر التليفونات الأسود، دون أن تمسه يد..ويشير لانجدون مارفن إلى أن مخاوف كيندي

كانت تتمثل في إمكانية قيام جريدة برافدا الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفييتي بنشر فضائح الرئيس الأمريكي الجنسية في صدر صفحته الأولى لو امتدت يد وزير الخارجية السوفيتية إلى دفتر التليفونات قبل أن يعثر عليه لانجدون مارفن!!..

اتصل جون كيندي، بجاكوبسون للمرة الأولى في عام ١٩٦٠ قبل أسبوع من مناظرته التليفزيونية مع نيكسون- و"د. ماكس جاكوبسون" الملقب بطبيب النشاط ودكتور العجائب وكان من أصل ألماني ويعمل على تركيب المنشطات منذ سنوات وهي مواد يمنعها القانون، ولذا فقد طرد من نقابة الأطباء في الولاية التي كان يمارس فيها؛ فحملته الانتخابية وحياته الغرامية كانتا قد أضنتاه.. طرح الطبيب عليه مجموعة من الأسئلة حول صحته.. وقال له: أنه متعب بسبب التوتر والعمل المستمر، ووعده بمعالجته، فحقنه بدواء من ابتكاره، فشعر كيندي بحرارة تجتاح جسده، ثم شعر بنشاط غريب..

وفي مايو من العام التالي كان كيندي سيسافر مع جاكي إلى كندا في زيارة رسمية، فاتصل بجاكوبسون ليأتي إلى بالمبيتش، وحين وصل استقبله الرئيس وقال له أنه غير مرتاح لصحة جاكي فهي حزينة دائمًا وتشتكي من ألم في الرأس، وبعد مناقشة قصيرة قرر الطبيب حقن جاكي للتخفيف من ألم في الرأس.. ومنذ ذلك اليوم أصبح جاكوبسون يعالج الرئيس وزوجته بشكل دائم، حوالي ثلاث أو أربع مرات أسبوعيًا..

وفي عام ١٩٦١ أدمن جون وجاكي المنشطات، فقد اكتشفا أن هذه الحقنة تعينهما على العمل بنشاط ولساعات طوال، وكانا يؤمنان بموهبة جاكوبسون ولم يسألا مرة عن تركيبة الحقن التي يستخدمها!..تقول روث مور – وهي ممرضة عملت مع جاكوبسون – أنه إنسان خطر ونصاب..وذات مرة حاول طبيب البيت الأبيض مناقشة قضية المنشطات مع الرئيس، إلا أنه رفض نصائحه.. فقرر الطبيب تحليل حقن جاكوبسون فتبين أنها منشطات بالفعل؛ فقال الرئيس:إذا كان هذا الدواء يفيدني ويريحني فما يضير إن كان من المنشطات؟..

وفي نوفمبر عام ١٩٦٣ تناول الرئيس حقنته الأخيرة قبل رحلته إلى دالاس، وقال جاكوبسون: لقد كان الارتياح باديا على ملامحه، غير أن الإشاعات كانت تقول أن رحلته هذه ستكون خطرة، فعبرت له عن قلقي، إلا أنه طمأنني وضحك!!.

٣

مارلين مونرو..هل قتلها كيندى؟

منذ لحظة وفاتها وهي في السادسة والثلاثين من العمر، تعددت الاجتهادات: هل لجأت مارلين مونرو أشهر وأجمل جميلات هوليوود وألذ اختراع أمريكي بعد الكوكا كولا إلى الانتحار لنهاية حياتها؟! أم تعرضت لحادث اغتيال؟! أو أن هناك مؤامرة طويلة اشتركت فيها أعلى أجهزة الحكم في الولايات المتحدة؟! أم أنه حادث غير عمدي نتيجة لخطأ طبيب؟!أما أقرب اتهام فهو للأخوين كيندي: روبرت وجون كيندي.. أكلوها لحماً وجمالاً وإغراءً ورموها عظما مسموماً بلا أي أدلة إدانة!!

يلقي سبوتو – في كتابه الذي تبلغ صفحاته أكثر من سبعمائة صفحة – الضوء على حقيقة علاقتها بالرئيس الأمريكي جون كيندي مسترشداً بالوثائق من سجلات الكونجرس لمعرفة جدول الرئيس اليوميوالأيام التي كان يمكنه الالتقاء فيها بمارلين.. ويرى أن علاقتها بالرئيس كانت عابرة ليلة واحدة فقط، ولكنه يبرئ روبرت كيندي شقيق الرئيس الأمريكي من إقامة علاقة جنسية معها، ويعتمد في ذلك على نفي "نورماند ميلر"، أول من أشار إلى وجود علاقة بين مارلين وروبرت كيندي من قبل، وكان ميلر قد اعترف فيما بعد في حديث تليفزيوني، إنه اضطر لتوجيه هذا الاتهام، لأنه كان يحتاج للنقود وبالفعل كسب الكثير من وراء ترويج كذبة وجود علاقة بين روبرت ومارلين.

دونالد سبوتو ألقى الضوء على بدايات مارلين وعلاقاتها المتعددة وممارستها الرذيلة مقابل وجبة إفطار أو عشاء قبل أن تصبح نجمة الإغراء الشهيرة.يقول سبوتو: كانت مارلين ممثلة مغمورة ولكن مثيرة، تتقاضى ١٥٠ دولاراً في الأسبوع.. ظهرت في لقطات قصيرة، في فيلمين فاشلين، ومهددة بفقد وظيفتها رغم جمالها الذي يدير الرؤوس؛ فهي شقراء ذات شعر طويل ترتدي سويتر أبيض شديد الالتصاق بجسدها الكثير الاستدارة،وشورت ساخناً، بالقدر الذي تسمح به التقاليد في عام ١٩٤٧.

ذهبت مارلين موفدة من شركة فوكس للقرن العشرين لحمل حقائب الجولف للنجوم في مباراة المشاهير، وكان عليها أن تحمل حقيبة الجولف الخاصة بـ "جون كارول" وهو ممثل وسيم، ثري، تجاوز عمره الأربعين بقليل، وزاد من جاذبيته أنه كان متزوجاً من واحدة من أبرز مكتشفات النجوم.. كانت الحقيبة ثقيلة عليها وأخذت تهتز يميناً ويساراً وهي تحملها خلف كارول، ورغم اهتزازاتها المثيرة لم تفلح في جذب اهتمام كارول ولا أي من المصورين كما لم تشعر "لوسيل رايمان" زوجة كارول بالغيرة منها. وكانت لوسيل قد اكتشفت من قبل "لانا تيرنر"، و"جيون آليسون"، و"جانيت لي". تفحصت لوسيل الفتاة ورأت نظرة ضياع في عيونها رغم فتنتها الواضحة كانت في الحادية والعشرين من عمرها وتدرك مدى جمالها، قالت لوسيل لنفسها: "يا لها من طفلة صغيرة مسكينة.. قطة ضالة".

انتهت المباراة، واعترفت مارلين التي كانت قد بدأت تجذب اهتمام الرجال،للوسيل وزوجها، إنها لا تملك وسيلة العودة للمنزل، وإنها لم تتناول طعاماً منذ الأمس، اقترحت لوسيل على زوجها أن يدعو الفتاة للعشاء قبل أن يوصلها للمنزل فقد كانت مرتبطة بحضور عرض مسرحي في المساء.

اصطحب كارول، مارلين لتناول العشاء ثم أوصلها إلى منزلها في أحد الشوارع الخلفية السيئة السمعة في هوليوود، واستعد للعودة ولكنها دعته للدخول، رفض جون كارول؛ فقالت: "كيف لي أن أعبر لك عن امتناني إذا لم تأت معي؟".. في هذه الجملة كانت تكمن مفاتيح شخصية مارلين مونرو التي اعتادت أن تقدم جسدها للتعبير عن الامتنان.

وكانت الخطيئة الأولى مع المصور ويلام بورسايد، وكان ذلك في عام ١٩٤٦ وظل بورسايد يطاردها عدة أسابيع، حتى سمحت له أن يقبلها، وخرج المصور بنظرية أن الفتاة خجول، ولكنها مستعدة للتعاون مع طلبات المصور،من أجل التقاط أفضل الصور،وأنها تحب الكاميرا بالدرجة الأولى، ثم تحب فيما بعد الرجل الذي يقف خلف الكاميرا..

هكذا كانت مارلين قد تنقلت من رجل لآخر عندما قابلت الممثل كارول مرة لتحقيق طموحاتها ومرات كثيرة مقابل وجبة طعام، وطبقاً لما روته مارلين أنها لجأت إلى بيع جسدها في أحيان كثيرة عندما كانت الأمور

تضيق بها في هوليوود؛ لذا كان طبيعياً أن تشعر أن لطعام كارول وتوصيله لها للمنزل يستلزم أن تدفع له الثمن.

أما الـ ٩ كتب الأخرى التي تتحدث عن اغتيال مارلين مونرو تؤكد علاقتها بالأخوين كيندي وتتهم "روبرت كيندي" بالتآمر عليها، أو على الأقل تقول إنهناك شبهة جنائية في موتها ولا تعترف بالانتحار وتمتلئ بالاعترافات والمواقف والتواريخ التي تؤكد العلاقة ولا تنفيها:

اعتراف "جوديت كامبل" أحد عشيقات كيندي والتي لها علاقة بالمافيا التي اعترفت على فراش الموت بعد إصابتها بالسرطان بعلاقة كيندي بمارلين حيث قررت أنها رأتها في كوخ الرئيس، ومما أدهشها عدم اكتراث مارلين بالتخفي، بل اكتفت بباروكة من الشعر الأسود وهو أسلوب ساذج للغاية..

وتقرر: ظل كيندي إذن محتفظاً بعلاقته بمارلين مونرو، لم يقطع صلته بها أبداً رغم تحذيرات الكثيرين له وضغوط السياسة العالمية كيف يمكنه التخلي عن هذه المخلوقة الرائعة التي تسحره بجمالها وتستمتع هي إليه بنهم شديد وتسري عنه من متاعب مسئولياته الجسيمة؟

وقد بدأ بهذه العلاقة وكأنه يتحدى الجميع وظهر هذا بوضوح خلال صيف ١٩٦٢ إذ كان اسم مارلين مونرو ضمن كشف المدعوين في حفل العشاء الكبير الذي أقامته "فيف بل" وهي من أشهر الشخصيات العصرية في مجتمع نيويورك، على شرف كيندي.

كان موعد افتتاح الحفل الساعة السابعة دقت الساعة الثامنة ثم الثامنة والنصف ولم تظهر مارلين.في الساعة التاسعة اندفع أحد الأشخاص نحو بيت مارلين حيث وجدها أمام مرآتها غير مستعدة بعد للخروج. فصرخ فيها.

– ماذا تفعلين هنا...؟ إن الرئيس هناك ينتظرك من عدة ساعات.

وأحنت مارين رأسها كمن لا حيلة له وتنهدت ومسحت دمعة ترقرقت في عينيها وقالت:

– لا أعرف ماذا أرتدي؟!

وبعد أن أخرجت عشرات الفساتين من دولابها مدت يدها أخيراً وسجنت جسدها داخل فستان طويل. التصق الفستان على قوامها وكأنه جزء منه وشهق الرجل وقال: "أنت رائعة الجمال" وجاءته من النجمة بكل نعومة كلمة :"شكراً".

وفي هذه المرة تخفت النجمة بباروكة حمراء ونظارة شمس مع أن الساعة كانت تشير إلى العاشرة مساء، وانطلقت السيارة التي تحمل النجمة، وكان أكثر من خمسين مصوراً صحفياً يتجولون أمام بيت المضيفة ليرصدوا بعدساتهم الشخصيات المدعوة،وبسرعة البرق اندفعت مارلين داخل المصعد قبل أن تدخل القاعة الكبرى تخلصت من باروكتها الحمراء ونظارة الشمس وتقدمت بخطى ساحرة جميلة نحو كيندي الذي قابلها بكل

ترحيب ولا أثر لغضبه من تأخيرها،وتكلمت عيونها وعبرت عن الاشتياق بخلوة بعيداً عن الفضوليين.

ما حدث في عيد ميلاد جون كيندي الخامس والأربعين، وهو أمر مثبت بالصوت والصورة ونشر في الجرائد الأمريكية، وكان من المفروض أن تحضر مارلين مونرو الحفل وهي راكبة فيل (شعار الديمقراطيين) على أن تطرب الجميع بأغنية "عيد ميلاد سعيد سيدي الرئيس"ومن على المسرح ظهر بيتر لوفورد كان المسئول عن تنظيم هذا الحفل، ونادى مرتين على مارلين ولم تظهر، وفي النهاية قال: "والآن سيداتي سادتي.. عزيزتنا المفقودة مارلين مونرو".

وكان بيتر لوفورد قد لاحظ تأخيرها فأرسل إليها روبرت كيندي وزير العدل المرح جداً أبو السبعة أولاد الذي أمضى ربع ساعة مع النجمة ضارباً بعرض الحائط توقيت برنامج الحفل. ويبدو أنه تسامر معها محاولاً طمأنتها بأن الرئيس على ثقة كبيرة بأنها ستقوم بهذه المهمة على الوجه الأكمل، وهذا ما دعاه إلى التأخر معها.

وبعد حفل عيد الميلاد كتب المؤرخ "آرثر شيلزنجر" أن مارلين وروبرت كيندي تقابلا عدة مرات. فما الذي جذبه هو أيضاً إليها؟ ربما "جذبته شخصيتها المتأرجحة بين اليأس والرغبة في الإعجاب".

كانت علاقة مارلين مونرو مع الأخوين كيندي مسجلة بالفعل في ملفات الـ "إف – بي– آي" أي "المخابرات الأمريكية" وبالصيغة التالية

"مارلين مونرو" ممثلة، في البداية صديقة الرئيس جون كيندي الذي تخلى عنها أو يبدو ذلك لأخيه روبرت، وكانت هذه العلاقة مؤيدة بشواهد سجلتها دفاتر المخابرات كالآتي:

١- عندما اضطر جون كيندي عام ١٩٥٦ إلى ملازمة الفراش إثر إجراء جراحة عاجلة له في ظهره للعلاج من إصابة حرب خطيرة سابقة وجدت صورة حائطية ضخمة "بوستر" لمارلين مونرو، وقد علقت بالعكس بحيث يكون رأسها لأسفل حتى يتمتع بجمال ساقيها في حركة باليد شديدة الجاذبية وهما ينسابان من تحت شورت قصير، وتبين أن مارلين زارته مرتين ووقعت على الصورة بكلمة صغيرة تقول: اشفى بسرعة لتراها على حقيقتها مع توقيعها وكان هذا واضح فاضح ظاهر وللجميع؟!

٢- ما قالته جين مارتن لأحد عيون المخابرات وأكدته له وهي الزوجة السابقة للمغني والممثل الشهير "دين مارتن" والتي سبق أن قامت هي وزوجها السابق بزيارات عديدة لمنزل "بيتر لوفورد" في "سانتا مونيكا" أنها رأت "بيتر لوفورد" يقوم بدور القواد لجون كيندي، وتضيف أن تلك كانت عملية كريهة تجري على الملأ..شاهدت "جين مارتن"، "مارلين مونرو" مع كل من "جون كيندي" وشقيقه الأصغر "روبرت" مراراً في المنزل الصيفي لبيتر لوفورد، وكانت واثقة أن ملكة الإغراء في هوليوود متورطة مع الشقيقين كيندي.

وقبيل وفاة "بيتر لوفورد" اعترف لزوجته بأن "جون كيندي" وشقيقه "روبرت" كانا متورطين في علاقة مع "مارلين مونرو"..اعترف "لوفورد" بذلك سراً على الرغم من إنه كان ينكر ذلك علناً..

وهناك العديد من أصدقاء "مارلين مونرو" والمقربين منها الذين يؤيدون فكرة وجود علاقة غرامية سرية وممتدة بينها وبين "جون كيندي" وبصفة خاصة بعد أن أصبح "كيندي" رئيساً للولايات المتحدة، وقد اعترفت "مارلين مونرو" بنفسها آنذاك لأصدقائها وصديقاتها بأنها على علاقة غرامية مع الرئيس.

٣- ما اعترفت به الصديقة الحميمة لمارلين جان كارمن، وتقول صديقتها "جان كارمن": "عندما كنت في زيارتها كان روبرت هو الذي يفتح لي الباب، وكان أكثر ما أدهشني هو ما كانت تسجله في مفكرتهاقرأت فيها أسماء مثل: "فيدل كاسترو"، و"جيمي هوفا"..الرئيس المرتشي الخطير لنقابة سائقي اللوري وقد مات مقتولاً عام ١٩٧٥وشخصيات أخرى مهمة. كانت مارلين تتجسس على المكالمات التليفونية لروبرت وتسجلها في مفكرتها "وعلى كل فإن هيئة الشرطة الفيدرالية بادرت بالتصرف ووضعت تليفون مارلين تحت المراقبة بعد أخذ أقوال صديقتها".

ويبدو أننا يمكن أن نحل اللغز بين ما رآه "دونالد سبوتو" وبين الآخرين؛ فدونالد اعتمد في نفس العلاقة على المذكرات الرسمية والدفاتر الموجودة في البيت الأبيض بمواعيد الرئيس كيندي الرسمية وهو بذلك

أخلاقي ساذج لأعلى درجة!! لأننا حتى لو سرنا وراءه سنجد من ضمن هذه المواعيد من عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٦٠ هناك ٩ لقاءات عائلية لكيندي لزيارة أخته "باتريشيا" وهي زوجة الممثل "بيتر لوفورد" الذي عينه كيندي من الباطن ليكون "وزير شئون الكيف الجمهوري" أي القواد الرسمي لكيندي؟!

فمنذ متى نبحث عن السقوط في الأوراق الرسمية؟! بل أن أول خيوط الحب المستحيل بين مارلين وكيندي بدأت في صيف ١٩٥٤ ومن خلال حفل أقامه "بيتر لوفورد" على شرف سيناتور ولاية مساشوسيتس الشاب الطموح "جون فيتز جيرالد كيندي" وزوجته الشابة "جاكلين". ومن المعروف أن لوفورد منذ زواجه من "باتريشيا كيندي" شقيقة جون أصبح جزءًا من قبيلة كيندي الثرية وذات النفوذ حتى ولو لم يشعر براحة في الانتماء إليها. ولكن بسرعة أصبح عنصراً أساسياً لا غنى عنه في حياة جون كيندي الخاصة جداً، لأنه اعتاد أن يقيم له الحفلات التي تتواجد فيها أجمل الفاتنات، كما كان يهيئ له مقابلات ينفرد فيها بمن تروق له أكثر.

وبذل "بيتر لوفورد" كل ما في وسعه ليضم "مارلين مونرو" إلى فلك العاشقات الفاتنات وكانت لا تزال متزوجة من "جوديما جيو" بطل أمريكا لرياضة البيسبول، ومع بوادر تواجد "مارلين مونرو" في هذه الدائرة بدأت حياتها الزوجية تتداعى؛ فالزوج الرياضي رجل شريف وبسيط ولا يميل أبداً إلى الأوساط الاجتماعية الراقية ولا أضواء هوليوود الزائفة. قبل في البداية – ولكن رغماً عنه – أن يصحب زوجته إلى الحفل ولم تعجبه إطلاقاً طريقاً

جون كيندي في تفحص زوجته مارلين، وفيما بعد اعترفت مارلين بقولها: "دون أن يتقرب مني لم يرفع جون عينيه لحظة عني حتى أنني شعرت بإحراج شديد".

ويتذكر شهود العيان لهذا الحفل أنه دبت مشاجرة عنيفة بين الزوجين، وصرخ فيها "جوديماجيو" قائلاً: "لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، لنترك هذا المكان فوراً". وجذبها بشدة من ذراعها، ودفعها نحو باب الخروج، حاولت مارلين التخلص من قبضته الحديدية مما اضطره إلى الانصراف وحده تاركاً زوجته للمعجب الولهان جون كيندي.

بعد عدة أيام من هذا الحادث تلقى الزوج مكالمة تليفونية، وعندما رفع السماعة لم يجد سوى الصمت على الطرف الآخر؛ فثارت ثائرته وألقى السماعة بعنف شديد مما جعل مارلين تقول "إنه بالتأكيد كيندي"!

وكان جون كيندي قد اكتشف هوليوود في أواخر الأربعينات، بعد أن ترك سلاح البحرية، وأثناء زياراته المتكررة للشاطئ الغربي تعرف إلى بعض نجمات السينما الأمريكية، ومن بينهم "مارلين مونرو"، لكن هذه الممثلة كانت لا تزال من نجوم الصف الثاني، ولم تكن قد مثلت سوى بعض الأفلام، وكان أحد أفلامها غير الواقعية هو الرئيس جون كيندي، وقد وصلت بها الرغبة قمتها حينما غنت في ربيع عام **١٩٦١** أثناء اجتماع أعضاء الحزب الديمقراطي في "ماديسون سكوير غاردن" بمناسبة عيد ميلاد الرئيس الخامس والأربعين أغنية "عيد ميلاد سعيد أيها الرئيس"، وعلى

الرغم من أن الرئيس كان معتاداً على الاحتفال بانتصاراته السياسية عن طريق إقامة حفلات خاصة، إلا أنه انزعج من تلك الأغنية العلنية!!

ورغم علاقة كيندي السابقة بمارلين في المنزل الريفي الصيفي للمثل "بيتر لوفورد" حيث اعتبراه عش الحب الأساسي لهما، وما كانت تقوم به مارلين من تخفي لترافق كيندي في بعض رحلاته باعتبارها سكرتيرته إلى جانب الجناح الخاص الذي كان محجوزاً دائماً لهما في فندق "كارلابل" فإن أغنية الزعيم وعيد الميلاد عرضت كيندي لضغوط عائلية ومخابراتية تدعوه لإنهاء العلاقة وبسرعة لخطورتها فمارلين جريئة لا يعرف أحد خطوتهاالقادمة؟! ولا نعرف إن كانت خطة أو مصادفة أن يحل روبرت محل كيندي في قلب مارلين..

إنها لعبة الحب والسياسة؟! وتزعم إحدى الروايات أن روبرت كيندي الذي كان وزيراً للعدل، التقى بها ليبلغها أن الرئيس لا ينوي الالتقاء بها بعد اليوم، وقد أرادت في البداية أن تبقى من خلال روبرت على الأقل،قريبة من عائلته،الأمر الذي يتفق وتخيلاتها لأنها كانت تتصور نفسها سندريلا التي تتزوج الملك وينتهي كل شيء على أفضل ما يرام ويبدو أنها عندما رأت عدم امكانية أن تصبح ملكة مع الرئيس، قررت أن تكون – على الأقل – أميرة مع روبرت!

وقبل وفاتها بقليل قالت مارلين لسكرتيرها "بوب سلاتزير" أنها بدأت تكتب يومياتها لكي تتمكن من أن تناقش روبرت على نفس مستواه،وأنها

تريد أن تفاجئه بمدى إدراكها وفهمها للأمور السياسية. وقد أعدت نفسها للدور الجديد لأن روبرت وعدها "كما قالت بنفسها" بأن يتزوج منها، وأن يجعلها سيدة أمريكا الأولى إذا تمكن من هزيمة جون في انتخابات الرئاسة، ولكن ما إن مرت فترة وجيزة حتى تبين أن كل هذه الوعود لم تكن سوى خدعة للتخلص منها.

فقد بدأت علاقتها بروبرت تتأرجح بين القوة والضعف، والحب والبغض،والالتصاق والهروب،وأخذت حالتها النفسية تسوء، وبدأت تفرط في تناول المهدئات والمخدرات..وذات يوم وبينما كان روبرت لوفورد مع مارلين يتناولان طعام العشاء فإذا بها تصاب بنوبة عصبية وتصرخ بطريقة هستيرية،وكان يتخلل صراخها تهديدات بعقد مؤتمر صحفي صباح اليوم التالي، تعلن فيه كيف كانت تعامل من جانب الأخوة كيندي جنسياً وعاطفياً.

ولما فشل روبرت في تهدئة مارلين طلب منها أن تترك آل كيندي وشأنهم،ولكنها ردت عليه بألفاظ نابية،وتناولت سكيناً من المطبخ وارتمت عليه بها،ولكن السكين أخطأته،وتدخل لوفورد في الوقت المناسب واستطاع أن ينتزع السكين من يدها، وأسرع روبرت لكي يستدعي طبيبها النفسي ويدعى رالف جرينسون. وعندما جاء جرينسون أعطاها حقنة مهدئة، وانصرف الجميع، وما هي عدة ساعات قليلة حتى رحلت مارلين عن "الدنيا" وهي لم تتجاوز السادسة والثلاثين من عمرها.

ولكن كيف كانت مارلين أو كيف قتلوها؟ وكيف حاولوا تصوير الأمر على أنه انتحار؟

التصور الأول (أنها قتلت في مؤامرة من آل كيندي اشتركت فيها المخابرات الأمريكية): وصاحب وجهة النظر هذه سكرتير مارلين (مون سلاتزيز) والصحفي (جيمس سبادا) والصحفيان البريطانيان: بيتر براون وبات برهام اللذان كتبا كتاب (الخداع) وكما قال سلاتزير نفسه فإن مارلين أعطته قبل ثلاثة أسابيع من وفاتها دفتر مذكراتها ليقرأه. وكانت الأدلة فيه قاطعة ولا يرتقي إليها الشك، ولو أنها نشرت محتواه في المؤتمر الصحفي الذي كانت تزمع عقده لكانت كشفت الكثير من أسرار الدولة؛ لذلك فإن تلك المذكرات كانت تشكل بالنسبة لها خطراً أكبر من خطر علاقتها مع الأخوين كيندي ومن خطر الفضيحة التي كانت تنوي تفجيرها.

وعندما قال لها سلاتزير ذلك ردت قائلة: "لا تخف فمنذ أن تسللوا إلى بيتي مرتين وأنا أحمل الدفتر في حقيبة يدي". ولكن سلاتزير حذرها من أن ذلك يشبه قنبلة موقوتة قد تنفجر في أية لحظة وربما في المكان والزمان غير المناسبين.

وبعد ساعتين على تلك المحادثة انفجرت القنبلة الموقوتة، المذكرات بالفعل، ولكن ليس كما كانت تتمنى مارلين، فلماذا كتبت مارلين مذكراتها؟ كانت مارلين – لاسيما في فترة زواجها من ميلر– تتحرك في أوساط

المثقفين الأمريكيين. وكانت توسع مداركها ومعارفها من خلال المحادثات والمناقشات التي تحضرها مما سد فجوة كبيرة في مجال معلوماتها المتواضعة وتعليمها المحدود. وكانت الملاحظات التي تسجلها في ذاكرتها وفي دفترها بمثابة دورة سريعة على أعلى المستويات وفي جميع المجالات، وكانت تعد نفسها للاستفادة منها فيما بعد، وفي الفترة التي كانت فيها على علاقة مع روبرت بدأت تكتب يومياتها وما يوكله إليها؛ ولذلك فكلما كان يقل حذر روبرت من إفشاء الأسرار الحكومية كلما كانت أهمية اليوميات تزداد.

وقد قال بوب سلاتزير أن بيت مارلين كان مراقباً بأجهزة التصنت من سقفه حتى أساساته، ويثبت ذلك بحادثة وقعت ذات يوم حينما جاءه أحد العمال ممن كانوا يقومون بأعمال التصليح على السطح وأخبره أنه لاحظ هناك بعض الأمور غير العادية؛ فقد انتبه إلى أن هناك كمية كبيرة من الأسلاك وشيئاً ما يشبه جهاز الإرسال الصغير. وعند تفقد المكان رأى سلاتزير في الميزاب عدداً من الأسلاك الملونة التي تبدو أسمك بعض الشيء من أسلاك الهاتف ويستعمل في أجهزة التصنت عادة سلكان فقط، لكن يبدو أن مددها في بيت مارلين وضع عدداً أكبر حتى تبدو، وكأنها أسلاك هاتف عادية، وهذا أمر كان يتميز به سبينديل.

أما جيمس سبادا فإنه يرى في كتابه أن الأدلة تؤكد وجود روبرت كينيدي في زيارة لمارلين مونرو لعدة ساعات قبل وفاتها ليلة الرابع من أغسطس ١٩٦٢. كما ذكر المؤلف أن مارلين طلبت روبرت كينيدي في فندق سان فرانسيس بمدينة سان فرانسيسكو ولكنه لم يرد على مكالماتها..

أما بيتر لوفورد الذي كان على علم بهذه العلاقة فقد أظهر قلقاً على مارلين بعد أن طلبته تليفونياً وقالت له إنها تريد من بوبي أن يأتي إليها ويقول لها أنه يريد قطع العلاقة بينهما؛ فقد شعر بيتر من نبرات التهديد التي يحملها صوتها أنها قادرة على أي شيء، بما في ذلك إفشاء علاقتها للصحف، فكان لا بد لبوبي أن ينفذ طلبها.

ولا أحد يدري بعد ذلك ماذا حدث على وجه التحديد؛ فقد ظل بيتر لوفورد بعد الوفاة ولعدة سنوات ينفي وجود بوبي، ولكن الصحف في ذلك الوقت أفردت عدة صفحات لعدة شهود عيان أجمعوا على أنهم شاهدوا روبرت في سان فرانسيسكو ليلة وفاة مارلين مما جعل البوليس يشك فعلاً في وجوده،وكثرت التكهنات والاستنتاجات بين رجال البوليس والصحافة،ولكن الحقيقة لم تتأكد نتيجة لعدم وجود أي دليل مادي يثبت وجوده،وإن كانت هناك بعض الشواهد التي تشير إلى تدخل المخابرات الأمريكية في تدمير بعض أشرطة التسجيل التي كانت موجودة في منزل مارلين مونرو والتي كان يمكن أن تكون قد سجلت أحاديث بينها وبين روبرت كيندي.

ويعتقد الكثيرون أن المخابرات كانت لها يد في موتها حرصاً على ألا تفشي أسرار علاقتها بالأخوين كيندي، والشيء الأكيد أن محاولات كثيرة قد بذلت لإخفاء بعض المعالم التي قد تفيد في إظهار الحقيقة،والمؤكد أيضاً أن بيتر لوفورد شارك في طمس هذه المعالم، وهناك احتمال بأن يكون روبرت كيندي قد ترك مارلين يوم ٤ أغسطس وهي على قيد الحياة..

أما الصحفيان براون وبرهام فقد رجعا إلى التحقيقات التي شغلت عدد ٧٥٢ صفحة وأكدا أنها قتلت عمداً بعد حقنها بمادة البربيتوريك، وأنها لم تبتلع حبوب مهدئة كما يدعي الكثيرون ويدعيا بأنها قررت أن تعقد مؤتمرا صحفيا تكشف فيه عن شر خطير وهو إجهاضها بمعرفة البوليس السري للرئيس لأنها حملت بين أحشائها طفلا من أحد الشقيقين كيندي..ويؤكدان أنه في يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٢ وفي الساعة الحادية عشرة مساء تجمع أربعة رجال في المكتب البيضاوي للبيت الأبيض: الرئيس وشقيقه واثنان من الشرطة الفيدرالية، وكانت مواجهة مع الرئيس للاستفسار منه عن عدة تساؤلات منها.

– هل يعرف الرئيس ممثلة اسمها مارلين مونرو؟

وتردد كيندي في الإجابة!

– هل الرئيس على علم بأن الممثلة تستعد لنشر مذكراتها؟

– هل الرئيس على علم بأن الممثلة ستملي نصوص مذكراتها على شخص ثالث هو الذي أطلع الشرطة؟

– هل الرئيس على علم بأن "مس مونرو" تفكر في فيلم يحكي قصتها معه؟

– ألم يحن الوقت بعد لوقف هذا المشروع فوراً...؟

وهنا وافق الرئيس، وصرح أحد الرجلين بأنه سمع الرئيس جون كيندي يهمس "الرب يحافظ عليها" وبعد رحيل الرجلين ظل الرئيس وشقيقه في المكتب حتى الساعة السادسة صباحاً والحيرة والإجهاد يتملكان منهما.

وبعد هذه الليلة الرهيبة امتنع روبرت كيندي عن زياراته الخاطفة لمارلين، ووضع تليفونها تحت المراقبة، وهذا ما يؤكده "ميكي سونج" مصفف الشعر الخاص لأسرة كيندي إذ قال: "أكدت لي مارلين بأن تليفونها مراقب، وأضافت إنها سبق لها أن ثبتت جهازاً خاصاً على تليفونها لتسجيل كل مكالماتها مع روبرت"

لقد أحست أن الأخوين كيندي لعبا بها وبعواطفها والآن يحاولان ليس فقط الابتعاد عنها بل رميها شر رمية، ولكنها الآن يقظة جداً وصرت أن يعلم الجميع بصحوتها.

وتقول صديقتها جان كارمن: "كل ما كانت تملكه يتمثل في الشرائط والمفكرات وبعد أن توسلت لبات زوجة بيتر لوفورد لتدافع عن قضيتها أمام روبرت كيندي أو بوبي كما كانت تناديه قالت لها بات أن بوبي هذا ولد صغير له سبعة أبناء، وبعد ذلك أصرت مارلين أن تبدأ هي بالهجوم وتأكل نصيبها من الكعكة قبل أن يأكلوها.

وقبل أسبوع من وفاتها كانت مارلين في ضيافة فرانك سيناترا وسام مدني جيانكانا في نيفادا على ضفاف بحيرة تاهو، وهنا بكت، أي أنها اتصلت بالمافيا وشكت واعترفت؟!

وتؤكد التقارير وما تضمنته من أدلة جديدة أن السيدة موراي مديرة منزل مارلين طلبت زوج شقيقة الأخوة كينيدي بيتر لوفورد لإبلاغه بموت الممثلة فذهب على الفور إلى منزلها وقام بتنظيف غرفة نومها بنفسه، وحصل على بعض المذكرات التي كانت تدون فيها كل شيء، ورغم أن مصرع مارلين أو قتلها جاء قبل العاشرة مساء إلا أن البوليس لم يعلم بالأمر إلا في الساعة السادسة صباحاً أي أن آل كينيدي أجبروا الطبيبين جرينسون وانجليج على الصمت سواء فيما يتعلق بالجريمة أو ساعة الوفاة،

التصور الثاني "أنها قتلت من جهة أخرى قد تكون المافيا بقصد توريط آل كينيدي والقضاء على شعبية الرئيس جون كينيدي في أمريكا وفضحه"، وذلك بسبب ما كانت تتلقاه جاكلين كينيدي من مكالمات تليفونية في كل مكان تصل إليه يخبرها بشيء جديد عن "كينيدي مارلين" رغم أن تليفوناتها سرية ومراقبة حتى أنها قالت في النهاية يائسة: "كن على يقين أن الناخب الأمريكي لن يختار مرشحاً للرئاسة يخون زوجته؟!"

جوزفين .. والإصرار على خيانة نابليون !

في التاسع من آذار عام ١٧٩٦، وفي ساعة متأخرة من الليل، تمت مراسم عقد قران أرملة الجنرال "دوبو هارنيه" الحسناء، على الجنرال والقائد العام للجيش الفرنسي،الكورسيكي نابليون بونابرت.وعلى قدر ما كان نابليون بونابرت عاشقًا متيمًا بحب جوزفين الجميلة، لم يكن لديها أي ميل نحوه، بل لم يثر في أي لحظة رغبتها في مبادلته الحب..ولولا جهود المدير"باراس" – وهو أحد أعضاء حكومة المدراء في فرنسا – لما تمت الزيجة من أصله.. في الوقت الذي اشتعل فيه قلب بونابرت حبًا في جوزفين، كان المدير "باراس" هو العشيق الفعلي لجوزفين!.

وإذا عرف السبب لما ثار العجب من أن يعمل العشيق على تزويج عشيقته الحسناء لرجل آخر، ويبذل قصارى جهده في إقناعها بجدوى هذه الزيجة، بل ويمعن في تصويرها فرصة عظيمة مواتية للاقتران برجل ليس في سبيله لإحراز العظمة على مستواه الشخصي فحسب، وإنما لتحقيق عظمة فرنسا ذاتها..وما ينتظر جوزفين العشيقة في كنف هذا الزوج العظيم!.. فقد كان في واقع الأمر عشق "باراس" لجوزفين قد تحلل وصار عبئًا عليه وربما على مستقبله السياسي، ومن ثم كانت تلك فرصته المواتية للتخلص من العشيقة الملازمة والحفاظ على سمعته دون شائبة على الساحة السياسية!..

وغداة زواجه توجه بونابرت إلى إيطاليا سعيًا وراء المجد العظيم الذي ينتظره، وما كان ذلك بالأمر الهين على رجل يهيم عشقًا بزوجته ويكن لها

حبًا لا مثيل له، فوق أنه لم تتح له بعد فرصة إظهار هذا الحب مع ضيق الوقت؛ فسافر نابليون بعواطف مضطرمة في صدره وحنين معذب لحبيبته ما كانت لتكفيه ليلة زواج واحدة بطبيعة الحال!

أما عن جوزفين الزوجة الحسناء، فلم تجد سببًا يلزمها الوفاء لزوجها، وقد بقيت من بعده بمفردها!.. فبعد أيام قلائل من سفر نابليون رمت شباكها على واحد من أشهر الفرسان وسامة وأكثرهم مرحًا، وهو الملازم أول الخيال "شارل هيبوليت"، وبينما كان نابليون يضيف نصرًا إلى نصر في إيطاليا. كانت جوزفين تحقق من جانبها نصرًا خاصًا، فتدحر أشهر حسناوات باريس وأكثرهن أناقة باختطافها لـ "شارل هيبوليت" منهن، والذي راح يتردد عليها يوميًا للقائها في قصرها الصغير بشارع شانترين، ويمضي في صحبتها أعذب الساعات.

وإضافة لما يتمتع به شارل هيبوليت من وسامة وشكل حسن، وقوام متميز من حيث الطول غير المفرط والعضلات المفتولة.. استطاع منذ لقائهما الأول، وبواسطة روحه المرحة، أن يضحك جوزفين حتى تسيل دموعها، بل واستمر في وضع النكات والطرائف التي تستهدف التهكم على ذلك الجنرال القصير الذي تزوجته جوزفين!..

أما هي فقد نشر العشق غشاوة على عينيها حتى لتضحك إلى درجة الإغماء من نكات قد يحمر خجلاً من إسفافها رجال من عامة الشعب، غافلة أو متناسية أنها سليلة طبقة أرستقراطية!..وكان من الطبيعي

أن تنسى جوزفين الغارقة في حب "شارل هيبوليت" طلب زوجها المتحرق شوقًا إليها، باللحاق به في إيطاليا، فالرجل الزواج مازال لم يفز منها حتى تلك اللحظة سوى ليلة واحدة كفيلة باضطرام نار الشوق في كيان رجل محب مهما تملكته العزيمة والصبر، بينما تقبع جوزفين الزوجة في قصرها بفرنسا، تفرط في كيانها النسوي بإرواء الغريزة فيه من عشق ووله رجل آخر!..

ولما سئم نابليون الوحدة جدد طلبه إلى جوزفين بأن بعث إليها برسالة أخرى مع مساعده الخاص وقائد اللواء "مورا"، يحثها فيها على أن تستقل عربة خلال أقصر مدة ممكنة، وأن تسلك طريق إيطاليا بأقصى سرعة، إذ أن صبره أوشك أن ينفد!!.

عندئذ وجدت جوزفين نفسها مرغمة على إعادة النظر في المسألة، غير أنها ليست راغبة على الإطلاق في مغادرة باريس، وقد استبد بها عشقها لـ "شارل هيبوليت" فلم تعد قادرة على أن تخلف وراءها العشيق لتسافر من أجل مجرد زوج، بل عادت ترى ذلك من الصعوبة على كيانها المدله، بحيث يجعله مستحيلاً!!.. وعليه فقد راحت تبحث في حيلة تمنعها السفر ومفارقة العشيق شارل..

فقد وجهت جوزفين الدعوة إلى "مورا" رسول زوجها وحامل رسالته إليها، كي يتناول معها العشاء وعلى انفراد، ليتسنى لها – على حد زعمها – أن تتحدث عن الجنرال بونابرت بكل راحة!.. ولم يكن أسلوب الدعوة

يحتاج إلى تورية، فالعشاء الذي امتد حتى ساعة متأخرة من الليل، لم يكن مخصصًا للتحدث عن نابليون، فإن جوزفين قد وجدت الوسيلة السهلة والممتعة لاستقطاب رسول زوجها إلى صفها!..

لقد أغدقت عليه وجادت بما عرف عنها من سخاء عاطفي، فضمنت أن يعمل قائد اللواء "مورا" وفق ما توجهه وما تريد أن تدخله على قائده الأعلى بونابرت من أكاذيب بواسطته؛ فحملته رسالة إلى زوجها تقول فيها: "قل لنابليون أنه ما من شيء يعادل سعادتي في الالتحاق به، لكني لا أقوى على السفر، فأنا ملتزمة بمداواة صحتي لأني أنتظر مولودًا".

وكم كانت الفكرة ألمعية أثرت على نابليون تأثيرًا رائعًا.. إذ بكى من الفرح وأمسك بريشته مجددًا ليكتب إليها: "سوف أبقى إذن لشهور عديدة بعيدًا عن كل ما أحبه؟.. أيمكن ألا أسعد برؤيتك ورؤية بطنك الصغير؟.. كم أتمنى أن أكون بجانبك؟".

وكادت تحدث أزمة؛ فالجنرال بونابرت المقيم في إيطاليا يتحرق شوقًا لرؤية حبيبته جوزفين، حتى بات يفكر جديًا في استقالة تعيده إلى فرنسا ليرتمي في أحضان زوجته، ومن ثم ينتهي سبب افتراقه عنها!.. وتفاديًا لتفاقم الأزمة، خاصة وأن حكاية الحمل المزعوم كانت قد شاعت في باريس كلها..

اتفقت حكومة المديرين على تكليف المدير "باراس" بمهمة إعادة الاتزان للزوجة المشاكسة التي تهوى الرجال والاستقرار في آن معًا.. ولا غرابة في اختيار "باراس" بالتحديد للقيام بهذه المهمة؛ فمعطيات ترشيحه لها واضحة، وعندما قام "باراس" العشيق القديم بزيارة جوزفين في بيتها، أوضح لها دون غموض بأن أوان الهزل قد ولى، وأنه لا يمكن إفساد حملة عسكرية فريدة من أجل نزوة امرأة.. وعلى الرغم من حدة الحديث وعنفه، إلا أن جوزفين أدركت أنه يعبر عن الحقيقة، فهي تغدق بالمال من رصيد لا ينضب بوصفها زوجة نابليون.. أما في حال الطلاق فإنها ستدخل السجن فورًا!..

وأذعنت جوزفين لأوامر حكومة المدراء، ولكنها اشترطت مقابل الذهاب إلى إيطاليا أن يذهب الملازم الأول "شارل هيبوليت" أيضًا للالتحاق بالجيش في إيطاليا!..وقد ذهل "باراس" من هذا الشرط الجريء وحاول أن يحذرها من الخطر الذي سوف تتعرض له إذا علم الجنرال بالاتصالات التي تربطها بذلك الشاب، ولكن دون جدوى، ولا عجب في موقف حكومة المدراء.. فطالما كان ذلك هو أسلوب الساسة في معالجة ما يعن من مشكلات، ليس في فرنسا وحدها، بل في العالم كله، قديمه وحديثه.. فمن غير المقبول لدى الحكوميين أن تتعارض المصلحة الشخصية لإنسان، أيًا كان قدره مع المصلحة العليا للبلاد.. وإن وجبت التضحية فلا تقع على غيرعاتق الإنسان الفرد،فمهما كانت عبقرية نابليون، فلا يهم الحكوميين في فرنسا سوى تسخيرها إلى أقصى حد لخدمة المصلحة العليا للبلاد دون نقصان.. أما ماذا يجني نابليون الإنسان من

خسارة على مستواه الشخصي فهذا شأنه الذي يخصه وحده!.. فلا مانع إذن من أن يعالجوا أشواقه بأن يدفعوا إليه بزوجته التي رصدوا خيانتها مادام ذلك يمده بالقدرة على الصمود وإحراز النصر لفرنسا!.

وفي صبيحة يوم ٢٣ حزيران صعدت جوزفين إلى العربة، وقد استولى عليها حزن عميق لمغادرة باريس، ولم يكن السفر رحلة يقوم بها عاشقان؛ فالعربة ملأى بالمسافرين، وبعد وصولها إلى مدينة ليون أدهشها الاستقبال الذي حظيت به وكأنها ملكة، الأمر الذي خفف من حدة حزنها على فراق باريس..إذ قدمت إليها باقات الورود واستقبلت بخطابات الترحيب، وكلما تقدم الموكب من إيطاليا أصبح السفر أكثر متعة..وقد بلغت الرحلة أوجها بالوصول إلى ميلانو، حيث وجدت زوجها وقداستقر كالملوك في قصر "سربللوني" الفاخر، ووجدت نفسها محمولة في دوامة من النشوة؛ فهي الملكة التي ترأس كل تلك الاحتفالات.

وهل نست جوزفين – إزاء ذلك – حبيبها "شارل هيبوليت"؟!.. أبدًا؛ ففي الوقت الذي كان فيه نابليون يطير من نصر إلى نصر، كانت زوجته تحرص على انتزاع فارسها الجميل ما وسعها من ساعات، لتنعم فيها بصحبته، وليس من شك في أن حب نابليون لها كان أصم بقدر ما كان أعمى.. فلقد كانت جوزفين بارعة في سيطرتها على زوجها الشهير الذي كان يشده إليها حب جنوني، ولكنها في نفس الوقت على استعداد للتخلي عن كافة الفاتحين في العالم من أجل أن تنصرف بكليتها إلى "شارل هيبوليت"!!.

مضى عام ونصف لتبدأ رحلة العودة إلى فرنسا، وفيما كان نابليون يتوجه إلى حكومة المدراء برايات الانتصار، كانت جوزفين تقام على شرفها الاستقبالات والحفلات، وتنعم بكل مباهج رحلة عسل مع شارل، الذي كان قد ارتبط بعشق مع الفاتنة "بوليس بونابرت" شقيقة نابليون المتزوجة حديثًا بالماريشال لوكليرك، ويمنحها أوقات فراغه من جوزفين؟!

وعلى ما يبدو أن العلاقة بين شارل هيبوليت وبوليس بونابرت لم تستمر طويلاً، حتى هجرها شارل فانتقمت لنفسها بإخبار أخيها الذي أمر بعودة ذلك الشاب المشاغب فورًا، فنفذ الأمر، ولحقت به جوزفين لتمضي معه على انفراد عدة أيام في فندق ريفي على الطريق!.

في ذلك الوقت عاد نابليون إلى باريس ووصلت جوزفين أخيرًا في سنة ١٧٩٨ لتفاجأ باستقبال بارد من جانبه، لكنها كانت تعرف كيف تعالج ذلك في زوجها، فحسبها تقضي معه بضع ساعات في غرفة حبهما لتعود إليه ابتسامته!..وقد دفعتها سعادتها بالعودة إلى باريس لأن تغدق على زوجها مزيدًا من الحب، أما مسألة اللقاء بشارل هيبوليت في هذه المدينة الكبيرة، فهي أسهل بكثير من اللقاء في ريف صغير ووسط جيش بأكمله!

فقد استقر شارل في شارع ضاحية سانت أونوريه، وأخذت جوزفين تتخفى بعناية لتزوره يوميًا، غير أن تلك الزيارات لم تدم سرية لفترة طويلة، إذ كان هناك من يراقبها؛ فجوزيف بونابرت لم يكف عن مراقبة

زوجة أخيه منذ أن كانت في إيطاليا؛ فهو يكرهها ويتمنى لو تخلص أخوه منها، لذلك قرر تجميع الأدلة على خيانتها وقدمها إلى أخيه.. ولكن عندما قام نابليون بمواجهتها قالت له:"إني لا أفقه شيئًا من هذا السيل المتلاحق من الاتهامات الذي ترميني به، وهذه مؤامرة حاكها جوزيف، وإذا كنت واضعًا طلاقي نصب عينيك فالأجدر بك أن تقوله لي".

أما شارل هيبوليت فقد آثر تجنب أي عداء مع آل بونابرت، لذلك اختار ترك الجيش والتخلي عن زيه العسكري، ورأى سبيلاً جديدًا للعيش في مشاركة السيد بودان التاجر الذي طار فرحًا لهذا، إذ سرعان ما استغل حرص جوزفين على مصالح عشيقها في تسهيل عدة صفقات لتمويل الجيش!..وعندما أبحر بونابرت قاصدًا مصر، امتلأ قلب جوزفين نشوة، إذا اعتقدت أنها قد استعادت حريتها، فأطلقت لهواها العنان حتى أوشكت الفضيحة أن تثور، وكانت غافلة عن أن جوزيف وشقيقاته موجودون بالقرب منها، ووصلت أخبارها عن طريقه إلى نابليون الذي ثار غضبه وقرر العودة ليقوم بطرد تلك الخائنة.. وتهلل أفراد عائلته بالخبر حتى دب الذعر قلب جوزفين، وباتت متأكدة من أنها لن تعثر مطلقًا على نابليون آخر.وعندما عاد أصدر من فوره أوامر بالغة القسوة، وحاولت جوزفين جاهدة أن تستدر عطفه من جديد حتى التقيا: زوج امتقع لونه وامرأة غرقت بالدموع وجنتاها، فكان العفو وتم تتويجها كإمبراطورة، كما كانت أيضًا القطيعة النهائية مع ذلك الشاب الوسيم جدًا "شارل هيبوليت"

فيليب أغسطس.. أول ملك (يُربَط) ليلة عرسه!

كان فيليب أغسطس ملك فرنسا أكثر من حلفائه في الحملة الصليبية حكمة وفطنة، حيث أدرك قبلهم جميعًا أنه لن يتغلب أبدًا على صلاح الدين، فأوعز لشركائه بأن عملاً مهمًا ينتظره في فرنسا وأن المملكة فعلاً في عوز إليه؛ فانصرف سعيدًا بلقاء الحياة من جديد، ومنذ عاد إلى مملكته طفقت حاشيته تلمح إلى أن العرش يظل مجرد أثاث يتسم بالصارمة الشديدة عندما يكون خاليًا من ابتسامة ملكة تضيئه وتسعده، وبدا الملك مرحبًا بالفكرة..

وكان أن وقع الاختيار على رائعة الجمال "إينجيبورج" شقيقة ملك الدنمرك؛ فأوفد فيليب أغسطس رسله يفاوضون ويعودون بإينجيبورج، وراح ينتظر وفادها،حتى أتاه نبأ اقتراب موكبها من المدينة، فسارعراكضًا إلى استقبالها مندفعًا عبرالحقوق وهو في طليعة سرية مزركشةوشاهدت "إينجيبورج" عن بعد غمام الغبار يتضخم من لحظة إلى أخرى، وانكشف بعد قليل عن فرقة من الخيالة، ومن يعدو في مقدمتها يلبس على خوذته تاجًا.. وإذا بقلب الفتاة يجف ويخفق، ولا شك بمزيد من السرعة.. الملك!

سترى أخيرًا هذا الرجل، وقد لقنوها من قبل أن تعرفه، وراحت تحلم به، بكل وداعة وبراءة منذ أن عرفت أنه يتحتم عليها أن تكون ملكته..وقفز "فيليب"على الأرض مترجلاً على بعد عدة أمتار من

"إينجيبورج" وسلم خوذته إلى يدي نبيل شاب من حاشيته واقترب حاسر الرأس، فاحمرت وجنتا الفتاة، إذ ألفته شبيهًا تمامًا بما كانت تأمله، في هذا القوام الفارع، وهذا المحيا الحازم الصبوح،وهذه النظرة الصافية المهيمنة..

أما "فيليب" فأخذ بالجمال الذي يكتشفه يقطع عليه أنفاسه، وفي الحال، ولم يكن لديه ما يقوله فقد وجد قواما ممشوقا نحيلا لكن تكوينها الأنيق الملتحف بثوب أرجواني قد أينع وازدهر، محياها محفوف بجدائل ملتهبة اللون، كما شعلة النار، كل من ملامحها يتجسد فيه الكمال بذاته: بشرة بيضاء زهراءمثالية،مقلتان فسيحتان بلون خضار البحار، شفافتان غاية الشفافية حتى ليخال من يشاهدهما أن نظرتها فارغة ومن العسير عليه أن يتحمل هذه النظرة..أغلق الملك عينيه لحظة، وكأنه بصر بالشمس مقابله، ثم عاد فمد ذراعه معينًا خطيبته على النزول عن صهوة حصانها، ورحب بها، وابتسمت دون أن يبدو أنها فهمت ما قاله، ثم تمتمت ببضع كلمات بلغة قاسية الألفاظ بما يكفي، فاندهش الملك متسائلاً:

– ألا تتكلم اللغة الفرنسية؟

فأردف أحدهم قائلاً:

– لا.. إنها تتكلم اللاتينية قليلاً وحسب، ولكن لها ذكاء حاد وسوف تتعلم الفرنسية سريعًا.

وجرى الاحتفال المألوف،تتبعه الوليمة التي تنعشها الأغانيوالرقصات والشعراء والمنشدون، وها هي المدينة جمعاء تزدحم حول القصر في بهجة

عارمة وطفقوا يأكلون في كل مكان ويفرطون، وثقبت براميل الخمر على كل مفارق الطرق وكانوا يرقصون ويعدون أنفسهم بالمزيد في الغد بعد التتويج الملكي.. وفي تلك الأثناء ينعم فيليب نظره في "إينجبورج"، وما هو في عجلة من أمره إلا لأمر واحد هو أن ينفرد بها، ويبتسم لها في نعيم وسعادة حين وفدت عليها السيدات واصطحبن العروس ليقمن بنضو ثيابها عنها.

ولما أنجزت الطقوس كاملة، التحق بها في الحجرة وقد فرشت بالأزاهير، وهو زاخر بالحماسة، مفعم بالرغبة، ورغم كل هذا فعندما نزع الغطاء وتأمل دونما حجب، دونما ظلال، كل روعة جمال "إينجيبورج" شعر عندئذ أن رغبته تنصرف عنه وتوليدونما ظلال؟.. بالضبط، ليس ثمة ما يكفي من ظلال إلا أدنى ظلال من إنسانية على هذا الكمال المتجسد، فالأميرة ببشرتها البيضاء كما الحليب وعينيها الصافيتين صفاء أكثرمن كثير،لا تبدو حقًا تحيا وتعيش،وأن حاجز اللغة ينتصب بينالزوجين ويعيق كل الأمور؛ فكيف التوسل ببضع كلمات لاتينية لبعث الحياة في تمثال، بدون ملاطفات الكلمات؟.

وها هي "إينجيبورج" في انتظار هذه الملاطفات ساكنة بالتأكيد، غير أن فيليب ليس في مقدوره أن يصمم فيمنحها إياها، وينهض ثلاث مرات ويعود، ويستلقي بجانبها، بل ويأخذها بين ذراعيه، لكن دون أن يذيب الجليد الذي يغلفه بكامل أعضائه، ويتسلل إلى داخل عروقه كضرب من الموت، ويشل حركته إلى هذه المرأة المسرفة الجمال والكمال!..وظن

فيليب أنه قد سحر وطفق يجزع ويخاف، فهذا الجسد الذي ليس بوسعه أن يناله بات يوحي له شيئًا فشيئًا بما يشبه الكره، وفي نهاية المطاف سيبتعد عنها بأكثر ما يستطيع.. وفي الصباح، وحين راحت المدينة تتهيأ لتتويج الملكة،أتى حاجب ذو عصا يقرع ثلاثًا مصراع الحجرة المملكية، وانفتح الباب مظهرًا الزوجين الملكيين يجلسان على سرير احتفالي، ويرتدي كلاهما على نحو مشابه قميصًا من حرير أحمر وثوبًا من نسيج فضي، إنهما لرائعان، لكن يستطيع الجميع أن يروا الملك، وقد ألفوا منه محيا موردًا ومقلة تطفح بالحياة،ليجدوا الملك شاحب اللون كالأشباح، في حين أن ناظريه الزرقاوين في تحديقهما الغريب ينظران إلى الأمام، وكأنهما لا يشاهدان شيئًا، أما الملكة فمن الواضح بل وأكثر، أنها قد بكت!.

انتقل الزوجان إلى الكاتدرائية في وسط موكب سام وأنيق ومدينة زاخرة بالبهجة والصخب، وتقدم كلاهما وجثيا أمام رئيس أساقفة رانس "غيوم دومامباني" الذي يقوم بالصلاة.

إن "غيوم" خال فيليب يعرف ابن شقيقته تمام المعرفة، وليس في عون إلى أن ينظر إليه مرتين ليدرك أن ثمة شيئًا غير طبيعي، وبالتأكيد ليس لهذين الاثنين سحنة زوجين شابين، وقد تدارسا لتوهما شئون الحب.. ولكن، لا بد أن تتبع الأمور مجراها..والأساقفة الاثنتا عشر الذين يصاحبون رئيسهم يبذلون قصارى جهودهم ليظهروا وكأنهم لا يلحظون شيئًا، وإذ بالمأساة تقع بغتة! فقد حان وقت المسح بالزيت المقدس، وفيما كان شماسان يفكان باحترام الأربطة الذهبية التي تغلق بعض الفتحات من

رداء الملكة ليتاح لهما مسح جسدها صار لون فيليب أشد صفرة وامتقاعًا؛ فجحظت عيناه هولاً وتشبث فجأة بالغفارة الذهبية المقصبة التي يرتديها رئيس الأساقفة، وأخذ يرتعد متأملاً المرأة الشابة.. وتمتمت شفتاه الشاحبتان شيئًا ما دون أن يصدر أي صوت من فمه، فيما كان "غيوم دشامباني" ينفض بلطف غفارته ليجعل الملك يفك عند قبضته.. وقام فيليب حيال "إينجيبورج" التي لم تستطع أن توقف دموعها، بحركة من يديه الاثنتين تنم عن الفزع والرفض القاطع!.وحبس كل من كان في الكنيسة أنفاسه، وانتقلت الأنظار جميعها صوب رئيس الأساقفة ويده المدهونة بالزيت المقدس تلبث عالية في الهواء..

من الواضح للعيان أنه يتلكأ ويتردد، ثم قرر فجأة، فانحدرت يده، واستقرت على جبين الملك وضغطت عليه ضغطة شديدة داعية الملك في الواقع دعوة يائسة..واعترت فيليب رعشة، لكن وجهه عاد شيئًا فشيئًا إلى لونه الطبيعي،ونظر الملك إلى "غيوم"، وأطلق زفرة من الأعماق كان صداها زفرة أخرى نفثها رئيس الأساقفة، واستأنف الاحتفال مجراه، بطيئًا، مهيبًا، طويلاً لا نهاية له

وبعد صلاة الشكر، غادر الملك والملكة الكاتدرائية على إيقاع التراتيل،وسلكا الطريق المؤدية إلى القصر في غمرة من الهتافات العظيمة، جعلت الابتسامة تنبعث من جديد في ناظري الملكة وعلى شفتيها.. غير أنها، يا للأسف، لم تلق الكثير من الوقت لتستعيد قواها في هذه الشجاعة التي ارتدت إليها.. وما أن لمحت الأبنية الملكية المهيبة حتى راح فيليب

مستعجلاً مستجرًا الموكب هرولة، وكأنه حصان اشتم رائحة الإسطبل واستحوذ عليه الغضب، وحالما اجتازا الباب، ترك فيليب الملكة مكانها مذعورة دون أن يخاطبها أو أن ينظر إليها، وهرع إلى مكتبه مطالبًا للحال بذوي نصحه ومشورته.. فهب إليه كل من رئيس أساقفة رانس، والمستشار "جيران لوسبيتالييه"، و"ايتيين دتورنيه"، والآخرون.. وألفوا الملك جالسًا على كنبته العالية المصنوعة من الخشب المنحوت، وقد عادت إلى محياه ألوانه، وزال عنه الذعر الذي استولى عليه منذ قليل، غير أنه أحل مكانه الغضب، غضبًا باردًا تتلاقى فيه مرارته وخيبته بصفته ذكرًا..

في الواقع، لا يطالب فيليب بنصيحة ما مطلقًا.. إنه يروي.. يروي لنفسه: تلك الليلة الكارثة، والسحر المؤذي الذي أفسد شهوته، إزاء هذه المرأة التي لا يمكن لجمالها أن يأتي إلا من إبليس.. إنه يعرف أنه مسحور ولا يمكنه القبول بفكرة بقائه مسحورًا.. فالأمر لن يكون مجديًا له ولا للملكة!.

إذن،لم لم يقل شيئًا قبل التكريس الملكي؟!..ولماذاترك"إينجيبورج" تتلقى المسحة المقدسة؟..ذلك لأنه كان توكله على قدرة السر المقدس للإطاحة بالرقية المؤذية، وقد رأى في إيمانه المسيحي، أن الله سيطيح بإبليس، لكن الله لم يرد ذلك!..وأدرك فيليب هذا الأمر حين استحوذ الفزع عليه وهم يفتحون ثوب الملكة على جسدها الشيطاني، فلا بد إذن من صرفها إلى ذويها، ولا بد أن تعود مع من أتوا بها!..وأمر بأن يخبر المبعوثون الدنمركيون أن الأميرة سيبعث بها لكي يعودوا بها إلى شقيقها!فزع

المبعوثون الدنمركيون لهذا الخبر؛فمجرد التفكيرفيما سيقوله لهم "كنوت" عندما سيعودون إليه بشقيقته، وبخاصة التفكير فيما قد يستطيع أن يصنع بهم، جعل قلوبهم تخفق سراعًا، فاعتبروا أنه لم يعد هناك "إينجيبورج" دنمركية، فليست هي متزوجة وحسب، بل وتوجت، وليس لهم من علاقة بملكة فرنسية، ولم يعد لها أية علاقة بالدنمرك،وحزمالدنمركيون أمتعتهم،واستعادوا بسرعة الطريق إلى بلادهم

وبقيت "إينجيبورج" لدى الكاهن "غيوم" المترجم المعتاد، وهو الذي كلف بأن يشرح لهم ما حدث، أنها لمهمة مرة، اغرورقت لها عيناه بالدموع، ولكن يتحتم عليه القيام بها، غير أن "إينجيبورج" لدى دهشتها الكبيرة، قامت بردة فعل مخالفة تمامًا لما كان يتوقع.. لا غرو أنها طفقت تبكي عندما أنباها بقرار فيليب، ولكنها حين أضاف الكاهن القانوني أن المبعوثين الدنمركيين قد تلقوا الأمر بإعادتها إلى أخيها، هدأت وأفصحت بكل حزم بوجهة نظرها:

– ملك فرنسا قد تزوجها..

فقاطع الكاهن كلامها قائلاً:

– أجل ولكنه صرح بأنه وجد نفسه في استحالة إنجاز الزواج كاملاً..

– ما تعني بإنجاز الزواج؟لقد اضطجعنا معًا..

– لا شك في هذا، ولكنه لا يكفي و..

– أما أنا فهذا يكفيني.. بالإضافة إلى أني تقبلت التاج الذي أعطوني إياه باسم الله.. فأنا ملكة فرنسا فلا أحد ولا شيء سيجعلني أعدل عنه.

ورغم دفاع "غيوم" وتوسله، وإعرابه عن أن رفضها قد يكون خطرًا، وقد يستثير غضب فيليب أغسطس، ذهبت جهوده هباء..فـ "إينجيبورج" تتشبث بما قالت: ملكة هي، وملكة ستبقى!.. وما الدنمرك في نظرها سوى ذكرى..

ولم يبق للكاهن إلا أن يعود فيؤدي حسابًا عن مهمته متسائلاً بقلق شديد:كيف سيستقبل الملك هذا الرفض.

ويأتي الجواب بسهولة: سيستقبله باستياء بالغ جدًا!.. بل كان الأمر أسوأ مما توقع.. إذ أصدر فيليب أمره بصوت مرتعد غيظًا وحنقًا بأن تقاد للفور "إينجيبورج" المشاكسة إلى دير راهبات "سان – مور".. أما هو فعاد للفور إلى بلاطه في "سيتيه دي باري".وتدخل "غيوم دشامباني" مرة أخرى: ليت الملك يقبل محاولة ثانية على الأقل!.وقال له:اذهب إلى الملكة،واعط برهان النية الحسنة للكنيسة التي باركتكما، لعل الكره الغريب في المساء الأول يزول ويختفي.. من يدري؟

ولكن إن استمر، فإن "غيوم" رئيس أساقفة رانس سيلتزم بالدراسة الفورية لدعوى فسخ القران، ولكن لا بد للملك على الأقل أن يبذل جهدًا!.. فليس في مقدروهم، استنادًا إلى ليلة واحدة، أن يلزموا مستقبل المملكة..

وافق الملك.. سيحاول مرة أخرى.. بل سيحاول على الفور!.. فامتطى جواده في الغداة يرافقه خاله، و"اينيين دتوربي" والكاهن القانوني "غيوم" الذي كان بوده ولو ضحى بالكثير، ألا يكون معهم، ومضوا جميعًا إلى "سان – مور" حيث أحدث الوصول الصاخب لفريق الرجال هؤلاء ذعرًا شديدًا في قلوب الراهبات..

فعندما قرعت خطوات الملك ديرهن المبلطة، قامت الفتيات التقيات المضطربات والمحمرات خجلاً في أثوابهن البيضاء وحجبهن المتطايرة، بالتشتت شأن سرب من نوارس البحار.. فهن يعرفن – أو يحذرهن – أي احتفال غريب قد يحدث في إحدى الحجرات الصغيرة.. وثمة ما هو مهم وما يثير اضطراب كل هؤلاء النساء اللواتي أوقفن أنفسهن على العذرة والطهارة.وبعد أن أشعروا "إينجيبورج" انتظرت فيليب في حجرتها، وعندما ظهر وبصحبته الكاهن غيوم، قال لها الأخير أن الملك آت إليها بأفضل ما لديه من مقاصد حسنة، وأنه يتوجب عليها استقباله استقبالاً طيبًا..وهمس في أذن فيليب أنها في خشية وخوف، ولعله بقليل من اللطف.. وبمثابة إجابة له، أخذه فيليب بكتفيه وأخرجه..فما عوزه إلى ذلك الكاهن لكي يتغلب على هذه المخلوقة اللا طبيعية.

لا شك في أنه مخطئ، إن حاجز اللغة يلبث قائمًا، أما هو فلا يرى في هذه المقابلة سوى نزال عليه أن يخوضه..وها هو الوقت يمر مميتًا لكل من ينتظر في الحديقة نتيجة هذا الإجراء في مكان كهذا.. وانفتح الباب

أخيرًا بعد مضي نصف ساعة بدت وكأنها قرن من الزمن، وحبس كل منهم أنفاسه..

يا للأسف.. عندما خرج الملك كان مرتعدًا من الحنق الشديد.. وصفق الباب خلفه صفقة مدوية، ولم تكن قوية بما يكفي؛ فقد تمكنوا من سماع بكاء ونحيب.. وقال فيليب لمن كان ينتظر: إن السحر المؤذي لا يزال باقيا.. وأنه بعد وفائه بوعده، ينتظر منهم أن يفوا الآن بوعدهم.. فليس في وسعه الاقتراب من هذه المرأة؛ فهي تثير فيه الكره والفزع، وكرر عدة مرات: الفزع، الفزع، الفزع.. وهو يريد أن ينقذوه منها!.

وباءت كل محاولات إقناع "إينجيبورج" بفض الزيجة والانصراف إلى ذويها في الدنمرك بالفشل؛ فهي مصرة على أن تبقى لآخر عمرها ملكة لفرنسا..وإزاء ذلك استنجدت بالبابا في روما، الأمر الذي أوجد تعارضًا بين إدارة الكنيسة في إنصاف "إينجيبورج"، وإرادة الملك فيليب الذي ظل على موقفه، بل وأمعن في التحدي لما استقبل زوجة جديدة تدعى "دميراني"،وما كادت الأزمة تنفرج على يد مجمع كنسي جديد حتى توفيت"دميراني" التي وضعت لتوها صبيًا صغيرًا لحق بها بعد فترة قصيرة.وعادت "إينجيبورج" إلى الملك الذي أوعز بزجها في قصر إيتامب، حيث سيعاملونها بمثابة سجينة،وستبقى هناك اثنتي عشرة سنة.

إلا أن "إينجيبورج" لن تلقى حتفها في قصر إيتامب، وسيكون لها في نهاية المطاف الكلمة الأخيرة؛ ففي عام ١٢١٣ م مع اقتراب الملك من

عامه الخمسين، ولأن وطأة السنوات تتثاقل على كاهله، ولأن حاشيته تلاحقه كيما يضع حدًا لواقع عصيب على الجميع، أوعز فيليب بتحرير الملكة، واستقدمها إلى جانبه وأبدى لها كل ما يحق أداؤه من تشريف وإجلال للملكات، فكل هذا لم يعد له شأن ذو بال في نظره.. ولن تكون الدنمركية "إينجيبورج" أبدًا زوجته حسبما يرغب فيها، لا قلبًا ولا جسدًا.

١

ديانا أغلى صورة للباباراتسي

الأميرة ديانا، كانت لعبة الصحفيين والمصورين والسياسيين والمحامين، وهي لعبة خطيرة على العرش البريطاني ، هي خانت، وزوجها خان، والفضيحة عامة، وهي لقمة لذيذة بالقشطة للقراء في كل الدنيا. وقد ساعدت الجميع على الاستمرار في تتبع أخبارها وفضيحتها؛ فضيحتها لنفسها ولغيرها، وفى اللقاء الفاضح بينها وبين الصحفي الباكستاني، كان صوتها هامساً ذبيحاً، بما معناه أنها غلبانة مظلومة ازدراها زوجها فكيف لا تزدريه وتسود عيشته وعيشة الست الوالدة ملكة بريطانيا، وقد تحقق كل ذلك وزيادة..

شغلتنا الأميرة الجميلة فى التسعينات إذا طال فستانها أو قصر، وإذ اتسعت فتحة الرقبة، وإذا هبطت إلى ما دون الوسط..وإذا انشق فستانها على الساق، وإذا انكمش مايوهها من قطعتين..وإذا نزعت كل ذلك كما فعلت في مبنى السفارة البريطانية في القاهرة ولما رأت المصور المصري (مُحَمَّد جوهر) وهو يتسلل بالكاميرا بين فروع الشجر اعتدلت عارية تماماً، وكأنها من المفاجأة استعدت للتصوير وبعث بالصور إلى مجلة "باري ماتش" التي لم تنشر هذه الصورة حتى الآن..

لكن"باري ماتش" نشرتصورا أخرى لديانا سمتها "القبلة" ففي يوم صيفى جميل من العام ١٩٩٧وعلى بعد خمسمائة ياردة التقطت عدسة أحد المصورين الإيطاليين مجموعة صورحقيقية وحالمة وتكشف الأميرة الناعمة غارقة في بحر العسل حتى أذنيها،وأظهرت الصور الولد المصري "دودي" وهو أسمر بلون النيل وهو يحيط خصر الأميرة ديانا بيديهوديانا البنت "فلقة القمر" رخامية الجسد، مرمرية الإحساس تذوب بين شفتيه في قبلة!!المصور الإيطالي طار عقله بعد أن تأكد من نجاحه في القبض على صيد ثمين،ويقال أنه استشار المصور الفرنسي العالمي "دانييل أنجيلي" الذي سبق له أن فاز بصيد ثمين أيضاً من العائلة الملكية البريطانية حيث صور الأميرة "سارة" دوقة يورك في حضن مليونير آخر وهو يلعق أصابع قدميها،وهي في مايوه قطعتين،وفي صور أخرى بقطعة واحدة فقد خلعت سارة في خلوتها مع المليونير مشد الصدر!! وسأله عن كيفية تسويق هذه الصور عالمياً. وبسرعة تسوق له عند مجلة "باري ماتش" واحتفظت المجلة بحق نشر هذه الصور مقابل ١٠٠ ألف جنيها، مع أن الذين رأوا صور "مُحَمَّد جوهر" المصور المصري قالوا أنها أجمل وأوضح وأكثر إثارة!!.

وليست هذه هي صور القبلات الوحيدة في حياة ديانا فمن قبل قدم "چيمس هوايت" تسجيل صوتي وصور لها معه هذه المرة هو وهي في غرفةالنوم مرة واحدة، صور لها بقميص النوم لا بمايوة البحر..في منزل والده هوايت بديقون، وفي منزل "بهايجروف" يملكه وقتها زوجها الأمير تشارلز،وباع العاشق الندل الصور لمجلة البلاي بوي،بل أنه كتب عن

علاقته معها (كتاب) قال فيه أن الأميرة ديانا كانت ترغب في الزواج منه وترغب في إنجاب طفل له!!

أضاف هوايت أن كتيبته ذهبت ذات مرة في جولة تدريبية إلى ألمانيا،وقضت هُناك عدةأشهر، فاضطرت الأميرة العاشقة إلى الاتصال به يوميًا، وظلت تتبادل معه الخطابات الغرامية،وعندما حضر في إجازة إلى لندن اشترت له «بدلًا»بما قيمته أربعةآلاف ماركا ألمانيا،وقمصانًا فاخرة وحذاءً من أغلى الأحذية الموجودة في بريطانيا.وذكر هوايت أن الملكة كانت تعرف بعلاقتهما معًا من خلال سكرتيرها الخاص «سير روبرت»، كم كانت المُفاجأة بالنسبة للملكة التي لم تكن تتوقع يومًا أن زوجة ابنها ولي العهد تخونه مع أحد حراسها، ولكنها لم تحذرها من خطورة علاقتها بالضابط الوسيم.

وواصل هوايت حديثه مُؤكدًا أنه رفض أن يعيد للأميرة بعد توقف علاقتهما الخطابات الغرامية التي كانت قد كتبتها له، وأخبرها ذات مرة أنه يعتبر هذه الخطابات تذكارًا للحب بينهما، وليس لديه أدنى استعداد للتفريط فيما لديه من وثائق منها.

ولكن «ديانا» عَلِمَتْ فيما بعد أنه سرب بعض التفاصيل عن علاقتهما إلى صحف الإثارة،وذكرت هذه الصحف بعض التفاصيل الدقيقة عن "علاقتها بهوايت" وكذلك عن علاقتها بزوجها الأمير تشارلز، وفيما يبدو أن ما ذكرته هذه الصحف كان صحيحًا، وأنها بالفعل اشترت

من هوايت هذه الأخبار لأنه ذكرها ببساطة شديدة في حديثه التليفزيوني.والغريب أن ملكة إنجلترا التي تعرف كل شيء لم تتحرك إلا بعد حديث الإفك الغريب الذي تحدثت فيه ديانا لشركة (بي بي سي) البريطانية ونشرت فيه غسيلها القذر هي وزوجها الأمير تشارلز مما جعل المُراقبون يقولون لولا حديث الملأ لصبرت ملكة إنجلترا الأُم في أن تصبح ديانا ملكة ترث العرش بعد إليزابيث الحالية،بحكم وصايتها على ابنيها الأميرين،ولكن لسان ديانا دمر كل شيء.

أما تفاصيل هذا الحديث فغريبة وعجيبة ففي ٢١ نوفمبر ١٩٩٥:قالت ديانا في حديثها أنها لن ترحل بسهولة، ولن تخفت عنها الأضواء بسرعة، قالت أنها ستبقى، ولن تكون أيضًا مثل كاترينالتي استطاعت الكنيسة الإنجليكانية أيامها أن تغير قوانينها وتُوافق على طلاقها من الملك هنري الثامن في القرن السادس عشر، وذلك ببساطة لأن كاترين لم تنجب (وريثًا) للعرش، بينما أنجبت ديانا اثنين معًا، هما «وليام» و«هاري» ورغم ذلك فإن «ديانا» محظوظة،لأنها ولدت في القرن العشرين،وليس في القرون الوسطى، إذ لم يكن سيمنع إبعادها عن القصر الملكي أحد، حتى أبناؤها، طالما كانت هذه رغبة ملكية.

ديانا الأميرة، تعمدت نشر غسيل زوجها، وغسيلها أيضًا القذر، في يوم ميلاد زوجها السابع والأربعين، وكذلك في نفس توقيت مرور سنة كاملة ونصف علىإدلاء زوجها بحديث «فضفض» فيه تمامًا لمحدثه «جوناثان ديمبلي» وطال الحديث إلى ١٨٠ ساعة، ويرى كثيرون أن

الأميرة تعمدت هذا التوقيت للإدلاء بالحديث، ردًا مباشرًا على حديث زوجها عنها.

والأميرة ديانا، ألمحت في حديثها إلى أن زوجها يغار منها – لا عليها – لأن أضواء الكاميرات كانت تلتقط وجهها وحركاتها وملابسها في أي مكان يذهبان إليه، بسبب جمالها اللافت للنظر، وحتى بعد أن أنجبت ابنها ويليام عام ١٩٨٢، ظلت تعتبر في نظر الرجال «سندريللا».لكن السندريللا أصبحت حزينة، أصابها الاكتئاب بعد ولادة طفلها الأول قالت إن القصر يقيدها، وأن زوجها انشغل بغيرها، حتى بعد أن ولدت له ابنه الثاني في عام ١٩٨٤، لكن «ديانا» التي تلمع في عينيها أحيانًا نظرات خجلى،اعترفت بكل بساطة، دون أن يرمش لها جفن، أنها أحبت حارسها الفارس «هويت» في بداية عام ١٩٩٢، لكن «هويت» غدر بها ونشر كتابه الشهير عنها «أميرة في حالة حب»، كتبته له المؤلفة «آن باسترناك» حفيدة الروائي العظيم الروسي «بوريس باسترناك».

«ديانا» لا تنكر – وبحس الأنثى التي تريد أن تنتقم – اعترفت للذي أجرى معها الحوار، وعلى مرأى ومسمع أكثر من ١٠٠ مليون شخصرآها على الشاشة، أنها أحبت هذا الفارس، وديانا تريد إنقاذ ماء وجهها، الذي يعشقه الملايين، بأن زوجها الذي أحب امرأة أُخرى تكبرها سنًا، وتقل عنها جمالًا وجاذبية، هذا الرجل – الزوج – فضلت عليه حارسًا شابًا، بل «وهامت» به على حد قولها.

وهي ليست بالخاسرة على كل حال، فحتى على فرض إجبار القصر الملكي للأمير تشارلز على طلاقها، فإنها ستُطالب الأمير – أو الملكة إليزابيث – التي يُقال إنها أغنى شخص في العالم – أو هي من بين أغنى أربعة أشخاص – لا يهم! المهم أن ديانا ستُطالبها بأن تكون لها حضانة طفليها، وكل الظروف الملكية المُحيطة، وثلاثة من القصور، ودخل لا يقل عن ١٥ – ٢٠ مليون جنيها إسترلينيا في العام الواحد.

٢

حرب الجوافة التي أدخلتها ديانا للعائلة الملكية

الأمير «تشارلز» في الوجه الآخر للصورة، رجل تعيس في الحقيقة، حياته عبارة عن تراجيديا حقيقية، والده الأمير فيليب زوج الملكة إليزابيث، تربى في بيئة قاسية، انطبعت عليه بكل ما فيها وزاد من هذه القسوة، وضعه كزوج للملكة، دائمًا في الظل! دائمًا وراء ظهرها، دائمًا خلف الأضواء لا أمامها، وعكس كل هذا على تربية ابنه الأول «تشارلز» الذي كان يتحتم عليه أن يغتسل بماء مُثلج في المدرسة الداخلية، في عز الشتاء، لينشأ (رجلًا) قويًا!!وحين التقى تشارلز وعمره ٣٢ عامًا بالفتاة الخجول «ديانا» حاول إقامة صداقة معها تدخل الأب فيليب بطريقته الخشنة، وخيّره بأن يقطع علاقته بها تمامًا، أو يخطبها فورًا دون مُقدمات، وقد كان..

وانشغل الرأي العام بالفتاة الصغيرة الجميلة، التي خطفت الأضواء من كل العائلة المالكةوالتي كانت أخبارها تحتل صدارة الصحف الإنجليزية، وكان (تمرد) الأميرة على بروتوكول القصر مثار الحديث دائمًا، فكانت ديانا تخرج بتسريحات غريبة، وتلبس الديكوليه الواسعالفساتين القصيرة جدًا، وتُوزع الابتسامات والضحكات والمُصافحة، كأي فتاة عادية!وقد حدث مرة أن الملكة ألقت خطابًا عن مشاريع (الخصخصة) التي كانت

تنتويها رئيسة الوزراء آنذاك «تاتشر» لكن الصحف خرجت في اليوم التالي تتكلم بإسهاب عن تسريحة شعر ديانا

ويبدو أن ديانا وجدت أنه لا مفر من المُواجهة بعد كتاب الميجر «جيمس هويت» عنها والذي سجل فيه قصة حب مُتبادلة بينهما وارتباط حميم لمدة خمس سنوات علمها فيه ركوب الخيل وعلمته هي الهوى، بل أن الطريقة التي كتبت به (آن باسترناك) الكتاب.. كان واضحًا منها أنها تنقل أحيانًا من رسائل غرامية وأحيانًا أُخرى من شرائط كاسيت، وقد أضافت له الكثير من الشطة والكمون!!فمثلًا فقرة تقول: «في كل مرة كان جيمس يستعد فيها للمغادرة، اعتادت ديانا على الارتماء بين ذراعيه وهي تذرف دموع الأطفال الخائفين من أحد أبويهما وهو على وشك تركهم للوحدة والمجهول، اعتادت على التعلق به بشدة واعتاد بدوره على احتضانها بقوة مُحاولًا إعادة الثقة إلى نفسها وضخ الكثير من القوة فيها، وغالبًا ما شعرت ديانا بأنها بحاجة ماسة إلى إعادة تأكيده على ما يكنه من حب تجاهها، بل أن ديانا كانت تختلف الأعذار للاحتفاظ بجيمس حتى لدقائق أُخرى إضافية. يتذكر جيمس كيف أنه ذات مرة بحث عنها ليقل لها بأنه حان وقت مُغادرته، فوجدها داخل الحمام، وما أن قال لها بأنه مُغادر حتى ارتمت بين ذراعيه تُقبله وتقول له: "أريدك الآن في هذه اللحظة وفي هذا المكان!"».

وتقول في فقرة أُخرى: "ذهبت ديانا في شوقها به لأقصى حد، فقد ذهبت إلى منزل هويت برفقة ٤ حراس وتعرفت على أُمه!!

فقد جاءت في الزيارة الأُولى بسيارتها الخضراء الجاغوار ومعها مخبرها (كين وارف) وتتبعها سيارة حماية فيها أربعة رجال شرطة وقابلت أُمه «شيرلي هويت» أي أن كل شيء كما يقولون «على عينك يا تاجر!» فهي تذهب لبيته وتُقابل أُمه وتخرج لذلك في مأموريات رسمية.. عجبي!!

وتقول في فقرة أُخرى: «في كل مرة التقت ديانا جسديًا بجيمس كانت تكرر عليه سؤال لا يتغير: هل يجدها امرأة جذابة ومُثيرة؟!».

وتقول في أُخرى: «اعترفت ديانا له بأنها مُصابة بمرض (البوليما)».

والغريب في الكتاب أنه في نهاية عام ١٩٨٩ تقرر سفر جيمس هويت لمدة عامين في مهمة تدريبية في ألمانيا، وفكر بالفعل في إنهاء العلاقة، ولكن في كريسماس ١٩٩٠ عاد كل منهما للأخر واعترفت له ديانا بأنها حاولت أن تنساه، وتحقق ذلك بعلاقة مع اثنين من حراسها هما (جيمس جيلي وديفيد واترهوس) ولكنها اقتنعت بأن الحب الذي بينهما لا يموت!!وفي الكتاب ما يفيد أن جيمس لم يخن أو على الأقل لم يبدأ ذلك، فقد أرسلوه لحرب الخليج بلا مبرر وعند عودته أفهمته الأميرة ديانا بأنها لا تستطيع أن تُغامر أكثر من ذلك معه وبخاصة أن الصحافة في بريطانيا بدأت تشم الأخبار، ثم كان قرار الاستغناء عنه من الجيش الذي صدر لأسباب واهية!! فجاء كتابه على طريقة شمشون والبادئ أظلم.وبعد هذا الكتاب بدأت حرب الكُتب بين الزوجين تشارلز وديانا، وأسماها مخبرين القصر الملكي "حرب الجوافة" كاسم سري يتداول به أسرار هذه الكتب.

واستطاع المخبرون منع صدور كتب عنهما نهائيا ومنع صدور كتب فى إنجلترا وحدها ككتاب جيمس هويت(الأميرة العاشقة)

وبعد شهر من صدور الكتاب الصدمة (الأميرة العاشقة)خرج كتاب (أحزان الأمير) وفيه يُقرر الأمير تشارلز أن يغسل أوجاعه ويغير ثيابه وينشر هو الآخر غسيلها غسيل ديانا القذر!!

فاعترف الأمير في كتابه بأنه لم يحب ديانا وأنه تزوجها تحت ضغط والده، وأن سبب اكتئاب ديانا أنها عرفت علاقته بصديقته كاميلا، لكن الكتاب رغم مصداقيته يُمثل ضربة أُخرى تهز العرش البريطاني.وتكشف السيرة عن الحياة الخاصة داخل القصر الملكي وعن علاقة الأمير بوالديه وأسلوب التربية الخشن المغلوط الذي أدى إلى أحزان وجروح عميقة في نفس الأمير، مما يُعتبر إلى حد كبير هجومًا على تلك المُؤسسة التي تتعرض كل يوم للهجوم من جانب السياسيين والصحفيين.

ويتحدث الأمير تشارلز بصراحة عن مُعاناته من أبيه الذي كان يشتد عليه في النقد ويسخر منه حتى أمام الضيوف ويدفعه إلى البكاء دمعًا، ويظهر الكتاب كيف كانت الروابط واهية بين الملكة وابنها وبين الأب وابنه.ولحظات الحب في حياة الأمير كانت تأتيه من مربيته التي كان يقضي معها أغلب الوقت في طفولته، وكان أبوه يُفضل شقيقته «آن» عليه في كل شيء مما ترك آثارًا سيئة في نفسه.

وبرز الأمير في الكتاب طفلًا وشابًا رقيقًا مُعذبًا من قبل أُسرة لم تدرك مدى حساسيته، كان أبوه يعتقد أن تربية ابنه ينبغي أن تكون خشنة ليعده لمواجهة عالم قاس يحتاج إلى القوة، وراح يضغط عليه في هذا الاتجاه إلى أن حول حياته إلى جحيم حقيقي.كان الأمير الوالد قد تلقى تعليمه في مدرسة ثانوية مشهورة هي «جوردنستون» وصمم على إرسال ابنه إليها.وفي هذه المدرسة عانى تشارلز كل أنواع العذاب، من ضرب وإهانة، وخاصة من زملائه الذين كانوا يتفننون في إيقاع الأذى به، لم يكن يستطيع الشكوى، وعندما يلمح بشيء من هذا بجيئه رد من أبيه أن هذه أفضل طريقة للتدريب على الحياة وسط عالم بالغ الخشونة.

وما أكثر النقد المُوجه من الأمير إلى والده الذي لم يخفف الأسلوب المهذب الذي يشير إلى حُسن نيته ورغبته الصادقة في تربية ابنه على الأسلوب الذي يعتقد بصحته، وكذلك الملكة التي كان يشعر بأنها لو التفتت إليه لأنقذته من تسلط أبيه وقسوته، ولكنها كانت قد تركت الأُمور الخاصة به لزوجها يديرها وفقًا لما يراه.هل هذه العلاقة الغريبة، والتي قد تكون فاترة بين الوالدين وولدهما، هي المسئولة عن تصميم الملكة على ألا تتنازل عن العرش لابنها حتى مع بلوغه الخامسة والخمسين واقترابها من الثمانين؟!!

والأمير يبذل جهدًا كبيرًا ليظهر أمام الجماهير بالصورة التي يرضى عنها ويرضون عنها.وكثيرًا ما كان ينتقد الدولة يتحدث في الفن والثقافة وهو كشخص عادي من بين المُثقفين غير المُتخصصين رائع، ولديه ذوق

وحس فني وجمالي مُمتاز، وصورته طيبة بغير شك ولكنه ليس شخصية «كاريزماتية» بعكس الأميرة ديانا التي جسدت في أذهان الناس صورة «سندريلا» الجميلة، وأحبها الناس وفتنوا بها أحيانًا.

الكتاب يتحدث بتفصيل عن علاقة تشارلز بديانا، وهو أمر مُتوقع بالطبع، ويحكي عن أول لقاء بينهما، وكيف تطورت الأُمور نحو الخطبة، وكيف كان والده يضغط عليه للزواج، وكيف لم يترك له الوقت الكافي ليتآلف معها.ويعترف تشارلز بأنه أعجب بديانا، ولكن هذا الإعجاب لم يصل إلى الحب.وبعد الزواج بدأ تشارلز يكتشف أن زوجته تنتابها حالات اكتئاب وتصبح قادرة على تسميم الحياة.كانت تجلس القرفصاء ضامة ذراعيها حول ساقيها ودافنة رأسها بينهما لساعات طويلة، ثم بدأت في إيذاء نفسها عمدا كأسلوب للفت النظر، ثم جاءت مُحاولات الانتحار.نعم عدة محاولات لديانا حاولت فيها الانتحار!

ثم جأت فضيحة جديدة.. فصيحة "ديلي ميرور" أزاحت الستار عن علاقة استمرت أربعة عشر شهراً طرفها واحد من أشهر عذاب لندن هو "كريستوفر هوالي" ٤٠ عاماً.وقد اعتاد أن يتردد على النادي الرياضي الذيتتردد عليه الأميرة ديانا للمحافظة على رشاقتها،وهو نادي "تشيلسي هاربور"، وهناك التقته على السلم الحلزوني للنادي واستوقفته لتسأله: "ما الذي يجب أن تفعله أي فتاة تريد الحصول على فنجان من القهوة في هذا المكان" ولشد ما كانت دهشة الرجل عندما وجهت إليه ديانا هذا السؤال حتى أنه ظن في البداية أنه لا بد أنه أخطأ في التعرف على شخصية ديانا

ولابد أنها امرأة أخرى تشبهها إلى حد بعيد، إلا أن اللقاءات السرية توالت بينهما بعد ذلك في اثنين من أضخم المطاعم اللندنية: سان لورنزو، وكاسبرز..

وكان كل منهما يصل إلى المطعم بمفرده، ويغادر بمفرده، وكان ذلك على سبيل تضليل الصحفيين الذين كانوا يطردون ديانا أينما ذهبت وكانوا يوصلونها حتى باب المطعم بكاميرتهم، إلا أنهم كانوا يجهلون ما الذي تفعله الأميرة في الداخل وكان ذلك يثير سخرية الأميرة، وظلت العلاقة خافية عن الأعين لمدة أربعة عشر شهراً، التقت الأميرة خلالها بفارسها الجديد عدة مرات وجمعتهما معاً موائد الإفطار والغداء، كما تردد أن الأميرة قضت إحدى عطلات نهاية الأسبوع في منزله الريفي النائي في يوركشاير كما زارها "هوالي" في قصر كنجستون ليتناول معها الغداء أكثر من مرة، وحتى على الملأ، وأمام عدسات الكاميرات، كانت الأميرة لا تتردد في إرسال إشارات الحب لفارسها، وهي إشارات لا يعرفها سواه، بعد أن اتفقت الأميرة معه على استخدام طلاء الأظافر الأحمر كرسالة حب لا يستطع أن يلاحظها سواه!!

ورغم أن ديانا بعد اعترافها بالعلاقة مع "جيمس هوايت" قالت بأنها لم تعد بحاجة إلى أي رجل؟!إلا أنها خلال فترة ما قبل الطلاق وفي عام واحد زارت الولايات المتحدة خمس مرات!! وقالت لصديقه لها: الرجل الأمريكي أكثر حرارة وحساسية من الإنجليزي!!ورشحت الأوساط جون الصغير ليكون الجوكي الجديد وهو ابن جون كنيدى فقد قالت الصحف

أن جون قال أنها المرأة التي يحلم بها.وكل من صاحب وجاور الليدي ديانا في الفترة الماضية في رحلاتها للولايات المتحدة كان يشعر بتلك الزيارات الغامضة التي يقوم بها شخص ما لا يريد الإفصاح عن شخصيته وعن المكالمات التليفونية الساخنة التي تجريها، واعتذارها المؤقت عن القيام بمصاحبته في رحلاته البحرية في جزيرة عائلة كيندي المعروفة، حيث منزلهم الساحر.

٣

أميرة في حالة حب

وفجأة ظهر (دودي) أو عماد الفايد وتقول مجلة "هالو" أنه هناك تاريخ قديم للعلاقة التي ربطت بين ديانا وآل الفايد. وتعود علاقة الصداقة بين ديانا ودودي إلى سنوات عديدة ماضية حيث أن والد ديانا إيرل سبنسر وزوجته الثانية رين كانا الرواد الدائمين لمحلات هارودز، وعندما أصدر الفايد كتابه عن تاريخ هارودز قام أبوها إيرل سبنسر بتقديم لهذا الكتاب، وقام الفايد بزيارة والد ديانا وزوجته.

بل إن مُحَمَّد الفايد نفسه قد صرح بأنه يحتفظ بعهده لإيرل سبنسر عندما وعده بأن يأخذ على عاتقه رعاية ديانا، ولذا فمنذ طلاقها وهو يحاول أن يخفف عنها ويرعاها!! وتؤكد إحدى صديقات ديانا أن بداية علاقتها بعماد ترجع إلى نوفمبر ١٩٩٦، وبالتحديد يوم ٢٤ نوفمبر عندما استقبلت ديانا في قصرها عارضة الأزياء الأمريكية الجميلة سيندي كرافورد التي كانت في زيارة إلى لندن؛ فالاثنتان على علاقة جيدة ببعضهما وأرادت ديانا أن تقدم صديقتها التي تعتبر واحدة من أجمل نساء العالم إلى ابنها المراهق وليام الذي يكن لها كل إعجاب ويعلق صورتها في حجرته بكلية أيتون، وكان الوقت قريباً من أعياد الكريسماس فطلبت ديانا من إدارة محلات هارودز التي يمتلكها مُحَمَّد الفايد أن تفتح لها أبواب المحل بعد مواعيد الإغلاق لتتمكن هي وصديقتها وابناها من شراء هداياهم، وتمت

الموافقة على طلبها وكان في استقبالهم عماد بن مُحَمَّد الفايد، وكانت ديانا وعماد قد التقيا قبل ١١ عاماً تقريباً خلال إحدى مسابقات الجولف التي جرت في قصر ويندسور، وتذكرا هذه المقابلة خاصة أن فريق عماد فاز يوميها على فريق الأمير تشارلز.. ويبدو أن الفكرة نبتت في ذهن مُحَمَّد الفايد بعد هذه الزيارة الليلية إلى محلات هارودز؛ لذلك طلبها تليفونياً بعد ذلك بعدة أيام ليعرض عليها أن تشغل مركز المديرة الشرفية لفرع محل في كينجز بيتدج، وذلك من باب وعده السابق لأبيها برعايتها والتخفيف عنها، ولكن ديانا رفضت هذا العرض، واقترحت عليه أن يعين زوجة والدها السابقة "راين دي شامبران" في هذا المنصب، وبالفعل أصبحت راين في بداية ديسمبر مديرة محلات هاردوز العالمية، وفي ديسمبر تعددت لقاءات ديانا وعماد من خلال الحفلات الاجتماعية والخيرية أو في خلال العرض الأول لبعض الأفلام السينمائية..

ويقول أحد المقربين من مُحَمَّد الفايد إنه كان سعيداً جداً ويبدي إعجابه بالأميرة ويغازلها؛ فشجعه على ذلك مبدياً استعداده لكافة أنواع البذخ المادي لاستمالة ديانا، ويبدو أن هذا ما تؤكده ديانا بالفعل عندما اعترفت في نهاية يناير ٩٧ للمؤرخ تاكي نبودرورا كونيولد أن مُحَمَّد الفايد اقترح علي أن أتزوج ابنه، ولماذا لا؟ إن كل الدلائل تشير إلى أنه الأنسب لها، فمعاناتها السابقة جعلتها تتبع نوعاً من الأسلوب التحرري الذي يجعلها تدخل في مغامرات بغض النظر عن تأثيرها السلبي على صورتها وحتى لو أدى الأمر إلى الارتباط بالدون جوان المصري الذي حذرتها منه صديقاتها بقولهن: "إنه ليس جاداً في علاقاته"، ولكن الجدية ليست هي

الصفة المطلوبة بالنسبة لديانا بعد أن لمستها في آل ويندسور ولم ترق لها وبعد أن اكتشفت أنه ليس من الصعب على الإنسان أن يبدو جاداً..

وانجذبت ديانا إلى عماد لأنه كان يتميز بالسطحية الممتزجة بالجاذبية فتقول إحدى صديقاتها عنه. إنه كان يتميز بصوت رائع، خفيض ودافئ.. صوت سحري. وقد اشتهر عماد بحبه للنساء والسيارات الفيراري فكان والده يشتري له أحدث الموديلات وشجعه على الاتجاه إلى الإنتاج السينمائي مما يسمح له بعلاقات نسائية مع أجمل الممثلات..

ونجح دودي بكل هذه المقومات في استمالة ديانا التي لم تكن تبحث عن حب من النظرة الأولى بكل ما يحمل من ألم وأرق وشكوك، ولكنها كانت أكثر ما تحتاجه هو والحنان والاهتمام، ولأول مرة تكتشف ديانا الدفء الشرقي للأسرة بعيداً عن الرجال ذي البدل الرمادية، كما كانت تلقب سمسارة قصر باكنجهام بالإضافة إلى أن ثروة الفايد كانت تطمئنها؛ فمحمد الأب قد وضع تحت تصرفها أسطول طائراته النفاثة والهليكوبتر وفيلاته ويخوته، بل ووعدها أيضاً بتمويل بعض من مشاريعها وبالأخص حملتها الجديدة للكفاح ضد الألغام، لذلك اعترفت ديانا لأحد أصدقائها في نهاية شهر يونيو:أنا سعيدة، لا أستطيع أن أوضح لك سبب سعادتي، ولكنك سرعان ما سوف تعرفه من الجرائد.

وأثناء زيارتها لآل الفايد لاحظ المراقبون أنها تتعمد الذهب إلى الشاطئ في الساعة الحادية عشرة صباحاً لممارسة السباحة والغطس أو

ركوب الجيت شيروكي بالقرب من الصحفيين.. وقد عرف عنها أن هذا النوع من الاستعراضات يسبق دائماً رسالة تريد أن توصلها.. وقد كشفت بنفسها هذه الرسالة يوم ١٤ يوليو عندما اقتربت من قارب كان يقل عدداً من المصورين والصحفيين التي كانت تعرف كل واحد منهم باسمه وبدأت حديثها معهم بالشكوى من نبرة الصحافة الإنجليزية عند تناولها لمحمد الفايد الذي قالت عنه "إنه أفضل صديق لوالدي" وبعد هذه المقدمة صرحت للصحفيين أن ابناها ينصحانها بمغادرة بريطانيا، وعلقت على ذلك بقولها: "ربما حان الوقت لذلك".

وقبل أن تلحق بيخت الفايد الذي كان رأسياً على مقربة منهم حرصت الأميرة وهي تضحك: "أن احتفظ لكم بمفاجأة كبرى"، وبدلاً من أن تفهم إنجلترا الرسالة اكتفى الناس بتبرير تصرفاتها هذه بأنها جاءت لتغطي على الاحتفال الذي أقامه تشارلز بمناسبة عيد ميلاد كاميلا الخمسينولم يلاحظ أحد طوال هذه الفترة وجود عماد إلى جانبها فلم يكن حريصاً على الظهور في الصورة إلى جانبها مكتفياً بكسب ود ولديهاولكن بعد الرحلة البحرية الأولى التي كان الاثنان قد أمضياها معاً على متن اليخت الخاص بآل فايد عادت ديانا إلى لندن وسافر دودي إلى أمريكا في محاولة منها لإخماد الشائعات والفضائح التي أثارتها الصور التي نشرت لهما وهما على متن اليخت بين الأوساط الإنجليزية..

ولكن الثنائي الذي لقب بأكثر ثنائيات الصيف تصويرا لم يستطع مقاومة فرصة الاستمتاع بلقاء جديد في عرض البحر أيضاً؛ فتكرر بنفس

السيناريو السابق حيث هبطت طائرة خاصة بأسرة آل فايد في مطار لندن لتحملها إلى اليخت "الجونيكال" الذي يبلغ طوله ٦٠ متراً ويعمل فيه طاقم مكون من ١٦ شخصاً، ووصل اليخت إلى مدينة سان تروبين في ١٩ يوليو ١٩٩٧ حيث كان محمد آل فايد في استقبالهما..

وأمضى الاثنان أياماً من الراحة والاسترخاء والاستمتاع حيث كان دودي يمارس رياضة التزحلق على الماء وركوب الجي سكي. أما ديانا فكانت تكتفي بالسباحة وأخذ حمامات الشمس، ثم أبحر اليخت إلى بورتوفينو بإيطاليا حيث شوهد الاثنان وهما يستلقيان على ظهر اليخت ويأخذان حمام شمس وصورت لهما عدة صور أسموها مجموعة "القبلة" وقد نشرتها مجلة باري ماتش دون أي محاولة منهما للتخفي من عيون الفضوليين لتصبح بذلك رحلة اليخت آخر رحلة.

ومنذ بداية أغسطس بدأت الإفصاح عن العلاقة العاطفية التي تربطها بعماد الفايدوالتي أحدثت شبه صدمة كهربائية عند الإنجليز جميعاً، وعندما سافرت ديانا يوم ٨ أغسطس إلى البوسنة كانت تدري جيداً أن إعلانها للعلاقة العاطفية التي تربطها بابن أخت عدنان خاشقجي أشهر تاجر سلاح في العالم لن تمر بسهولة لمجرد أنها تقوم برحلة إنسانية لزيارة ضحايا الألغام..ولكنها كانت تبعد الصحافة عن مابينها وبين دودى وفي يوم ١٠ أغسطس كتبت جريدة الصانداي تايمزما يقوله الناس في نفوسهم ولا يجرؤون على البوح به فتساءلت "هل يفوز والد عماد، بقلب الملكة الذي قدم الرشاوي إلى مجلس العموم بمقعد على المائدة الملكية؟" ورفع

أفراد المخابرات الإنجليزية هذه التقارير إلى الملكة التي أرفق معها ماضي عماد الفايد بدون حذف أي تفاصيل منه باستثناء توقيعه على شيكات بدون رصيد يقوم والده عادة بتسديدها نيابة عنه،وعلى الطرف الآخر كان مُحَمَّد الفايد يطير في الجنة من السعادة لقد نجح في مساعيه فقال قبل ثلاثة أيام قبل مصرعها لجريدة النيويورك تايمز "إن ديانا امرأة حرة، وابني رجل حر، والناس الطيبون يقعون في الحب بسهولة.. هذه هي كل الحكاية"

ثم بدأ سعار التغطية الصحفية لتلك المغامرة الجديدة لأميرة ويلز يتجاوز الصحف الشعبية إلى الصحف الجادة حتى نشرت مجلة "تايمز" الأمريكية تقريرها عن نجاح هذا الثري المصري في شراء درة المتاجر البريطانية "هارودز" وبقية متاجر "بيت فريزر" العريق عام ١٩٨٥، كان العنوان "أولاً كانت حرب السويس والآن هذا وكانت نغمة التقرير الصحفي كله أن مُحَمَّد الفايد هذا المصري الذي كان مغموراً حتى هذا التاريخ، قد استطاع أن يرد عن بلده صفعة العدوان الثلاثي، وأن ينتقم من المؤسسة البريطانية العريقة بامتلاك درة متاجرها "هارودز" هو درة المتاجر البريطانية.

لكن "الصنداي تليجراف" تهون من الأمر كله فالعلاقة بين عماد وديانا كلها ليست إلا سحابة صيف. فقد تمت بسبب الصيف وفراغ لندن من الرفقة المناسبة لأمثال ديانا، حيث وجدت ديانا نفسها وحيدة، ولا توقع أحد أن تجلس وحدها في قصر كينزينجتون لتشاهد أشرطة الفيديو طول اليوم، ومن هنا فقد اقتنصت أسرة الفايد الفرصة المناسبة

ودعتها..ومجرد مغامرة عاطفية في الأجازة الصيفية ليست جريمة، فكل امرأة إنجليزية تفعل ذلك شريطة ألا تتجاوز المسألة بالطبع هذه الحدود"، وتنهي الصحيفة مقالتها بهذه الكلمات الدالة: "إن الرجل الرئيسي في حياة ديانا يجب أن يكون الأمير وليام، وليس من حقها الإضرار به بالارتباط غير المسئول بأناس ليس لهم نشيد وطني غير مجموعة من نغمات الانتقام المتنافرة"

لقد سلمت الصحافة بالملعب تماماً للمجهول، وكان المليونير مُحَّد الفايد قد ارتكب خطأ عمره حينما أبلغ بنفسه صفحات الاجتماعيات في الصحف بأن عماد وديانا يتجهان إلى إيطاليا ومنها إلى باريس، فتم التجهيز ليس من الصحافة وحدها ولكن من جهات كثيرة، والغريب أن البوليس الفرنسي أغمض عينيه ولم يضع الزيارة تحت مراقبته متعللاً بالعبارة البوليسية الشهيرة "إن الزيارة خاصة ولم يطلب أحد الحراسة!!"

٤

اغتالتها المخابرات البريطانية إنقاذاً للعرش

وتحركت الأحداث بسرعة وتروي القصة مجلة "باري ماتش" فتقول:إنه في يوم ٣٠ أغسطس كانت ديانا وعماد يقيمان في الجناح الإمبراطوري الذي يقع بالدور الأول من فندق ريتز بالعاصمة الفرنسية باريس، وكانت الساعة حوالي السادسة والربع تقريباً عندما جلست ديانا أمام المرآة تصفف شعرها حيث كان من المقرر أن تخرج مع عماد لتناول العشاء. مر عليها عماد وشاهدها مشغولة فخرج من الجناح المكون من الحجرتين ١٠١، ١٠٢ وتبعه أحد الحارسين المكلفين بحراستها، واتجه الاثنان إلى بوتيك الجواهرجي ألبرتو ريبوس الموجود في ساحة الفاندوم..

فقد تذكر عماد أنه شاهد مع ديانا منذ حوالي ١٠ أيام في فاترينة هذا البوتيك خاتماً مكوناً من أربع ماسات كبيرة على هيئة نجمة ومكتوب عليه "قولي نعم" فقرر عماد شراءه ليقدمه إلى الأميرة خلال العشاء كطلب للزواج.. وفعلاً اشتراه عماد وقدمه لديانا، ولكن إجابتها عن هذا السؤال سوف تظل دائماً لغزا لا يملك أحد الإجابة عنه، ولكن كل الشواهد كانت تؤكد أن الأميرة كانت تعيش في أواخر أيام حياتها أجمل الأيام على الإطلاق.ويؤكد ذلك صديقها الصحفي "ريتشارد كاي" فيقول: "لقد كانت سعيدة كما لم أعهدها أبداً وقبل وقوع الحادث بست ساعات اتصلت تليفونياً ديانا بكاي، وقبل أن تلحق بدودي الفايد للعشاء في

فندق ريتز" وقال ريتشارد كاي أنها طلبته لتبلغه إنها قررت أن تجري تغييراً كبيراً في مجرى حياتها بعد أن أدت رسالتها الخيرية، وأعلنت أنها سوف تنسحب من الحياة العامة نهائياً في شهر نوفمبر القادم لتتمكن من مواصلة حياتها بالطريقة التي تتمناها، كامرأة عادية لها حياتها الخاصة فهل هذا معناه أنها قالت نعم أو قبلت الزواج من عماد الفايد؟!! شيء في علم الغيب.

ثم طلبها الحبيب (عماد الدودي) في تليفون الفندق الداخلي وأخبرها بأنه اتصل بـ "آن كوكسون" وأن موعدهما معًا يوم الاثنين ١ سبتمبر (ولم يأت هذا اليوم عليهما)!!(أما آن كوكسون فهي الطبيبة الخاصة بعائلة الفايد (مسلمة) تبلغ من العمر (٥٧) عاماً وقد سألها الصحفيون عن أسباب هذا الموعد؟! ولكنها ولا كلمة ولا حرف، ثم سألوها هل ديانا كانت حامل فطلب منك التأكد بالكشف؟! وقالت: هذه أسرار زبائني وقد أقسمت قسم أبقراط!! ولكنها قال عبارات قليلة: إن الاثنين متوافقان معاً، وأن دودي رجل كريم أنه نوع من الرجال يحب حماية النساء المجروحات!

ثم قرر لها دودي أنه نظراً لازدحام المصورين حول الفندق فإنه يفضل إلغاء العشاء بالخارج في باريس ويرى تناول العشاء داخل فندق ريتز الذي يمتلكه مُحَمَّد الفايد. وبعد العشاء الهادئ الرومانسي تلقى (دودي مكالمة تليفونية لا يعرف أحد عنها شيء؟!) ولكنه طلب الرحيل على وجه السرعة؟!!.عندما تبين أن المصورين مازالوا مرابطين أمام الفندق اقترح ريف جونز أحد الحرس القيام بمناورة تتمثل في أن تنطلق السيارة المرسيدس

٦٠٠ بسرعة كبيرة من أمام الفندق بسائق الفايد الذي يعرفه المصورون، ووراءها العربة رانج روفر لخداع المصورين الذين سيتابعون أيا من السيارتينبالفعل تابع عدد منهم السيارتين ولكن هذه الحيلة لم تنطل على المصورين الذين كانوا يرابطون عند الباب الخلفي للفندق والذين رأوا سيارة مرسيدس أخرى طراز ٢٨٠– س تغادر الفندق بسرعة كبيرة وعلى متنها الأميرة وعماد الفايد وترينور الحارس، ويقودها هنري بول وقد تابعها عدد من المصورين واستطاعوا التقاط صور لمن بداخلها، قبيل وفي ميدان الكونكورد الشهير الذي يبعد قليلاً عن فدق ريتز

ويبدو أن السيارة كانت متجهة إلى فيلا ويندسور بالقرب من حدائق بولوني وهو غير بعيد عن قوس النصر، وهي فيلا كان قد اشتراها الفايد، وكانت مقر إقامة دوق وندسور الذي تخلى عن العرش البريطاني بعد أن وقع في غرام مطلقة أمريكية وأصر على الزواج منها، وهي الفيلا التي كان يبدو أن الأميرة ديانا كانت ستعيش فيها عندما تجيء إلى باريس إن كان الله قد كتب لها الحياة، كانت هي تجلس وراء السائق وعلى يمينها عماد الفايد.. والحارس إلى جانب السائق.ولأن موتوسيكلات المصورين كانت إلى جانب السيارة في ميدان الكونكورد الذي تقف فيه المسلة المصرية، قام هنري بول "بخرق إشارة المرور في الميدان متجهاً إلى نفق "الما" بسرعة كبيرة.. وتشير تفاصيل التحقيق إلى أن السائق فقد سيطرته على العربة مباشرة قبيل دخول النفق حيث وجد آثارا لاحتكاك الإطارات من جراء "الفرامل" على مدى ١٩ متراً.. وفقاً لشهود بعض السائقين الذي تجاوزهم

العربة في سرعة شديدة والذين أدلوا بشهادتهم، فإن العربة كانت تزيد عن ١٤٠ متراً.

وتقول التقارير التي صدرت عن الشرطة الفرنسية أن السيارة انزلقت نتيجة السرعة الزائدة فاصطدمت بحوائط النفق وتحطمت بالكامل ولقي دودي مصرعه في الحال، أما ديانا فنقلت على الفور لأحد مستشفيات باريس حيث توفيت بعد قليل من وصولها، وقد ألقت السلطات الفرنسية القبض على سبعة من المصورين كانوا يطاردون ديانا ودودي، وقد أعلنت وكالة الصحافة البريطانية النبأ رسمياً في الساعة الثالثة والربع فجر الأحد ٣١ أغسطس ١٩٩٧.

وقد توالت ردود الفعل على النهاية المأساوية للأميرة ديانا في كافة بلدان العالم كان أبرزها إعلان الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا والأمير تشارلز ولي العهد عن حزنهما الشديد لوفاة ديانا وشعور الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بالصدمة والأسى العميق لوفاة ديانا، كما تم تنكيس العلم البريطاني وتولت السلطات الفرنسية تحقيقاتها حول ملابسات الحادث، وما إذا كانت هناك شبهة جنائية وراء الحادث خاصة مع ظروف الحادث المثيرة للشكوك.

ويذكر أن ديانا أحدثت صدمة للشعب البريطاني بعلاقتها مع عماد الفايد وشنت الصحافة البريطانية هجوماً عنيفاً عليها قبل وفاتها بأيام لارتباطها بأجنبي – عربي ومصري مسلم – واقتراب إعلان خطبتهما ثم

زواجهما والمخاوف من أن يكون للأمير وليام – ابن ديانا الكبير– والذي سيصبح ملكاً لبريطانيا في يوم من الأيام إخوة من أب أجنبي.

وفي يوم الاثنين ١ سبتمبر بدأت صحافة العالم في تحليل الحادث ونشرت،أما أغرب ما نشر في جريدة الأهرام المصرية في عددها رقم ٤٠٤٤٦فهو ما كتبه "أنيس منصور" وكاد يسبب مشكلة دبلوماسية وبخاصة حينما قررت الرئاسة سفر السيدة حرم الرئيس مبارك لتقوم بواجب العزاء في ديانا وعماد الفايد فقد نشر يقول في عموده "مواقف":

اغتالتها المخابرات البريطانية إنقاذاً للعرش، كما اغتالت المخابرات الأمريكية مارلين مونرو في مثل سنها، فلم يحدث ولا أيام كرومويل في القرن السابع عشر الذي نادى بالنظام الجمهوري أن استطاع إنسان أن يزلزل الأسرة المالكة كما فعلت الأميرة ديانا.

والمأساة بدأت بأن الفتاة الجميلة ديانا اكتشفت أن زوجها ولي العهد يخونها من أول يوم مع واحدة اسمها (كاميلا)، والحرف الأول من اسمها كالحرف الأول من اسمه، وهو موجود على زراير القمصان وعلى المناديل. ولم يكتف ولي العهد بذلك بل قال لها يوماً: "هل تعرفين من الذي اختارك زوجة لي بعد أن رفضتني أختك: إنها كاميلاً!!"

إنها أصيبت في كرامتها، في كبريائها، ثم أنجبت ولدين أحدهما سوف يكون ولياً للعهد وملكاً، وكان لابد من طلاقها، ومن طلاق عشيقة

ولي العهد، والكنيسة تقف ضد زواج الملك من امرأة مطلقة.. إنها مشكلة عمة إدوارد الثامن، واعترف ولي العهد بأنه خائن وسوف يبقى كذلك.

وأقسمت الأميرة الجميلة أن تهدم الأسرة المالكة على أدمغة ولي العهد وأبيه وأمه، إنها قالت أكثر من مرة بعبارة شمشونية: علي وعلى أعدائي، وانتقلت من فضيحة إلى فضيحة بعد اعترافها هي أيضاً بالخيانة، واعتراف سكرتيرها وحراسها بأنهم ناموا في فراش الأميرة، ولم تنكر، وحاولت أن تثير شفقة الناس عليها.

ولكن عندما انتقلت إلى الزواج من مسلم يأتي لها بولد يكون اسمه: مُحَمَّد أو بنت اسمها فاطمة، ويكون الولد المسلم أخاً لملك بريطانيا راعي الكنيسة، كان لا بد من حل، وجاء الحل بالقضاء على الأميرة وعريسها، وبذلك انتهى مسلسل الرعب للأسرة المالكة البريطانية، وانتهى عذاب أميرة عاشت في أسرة نبيلة مضطربة الأب والأم، ومرت بفترة شباب شديدة القلق، وحاولت البنت الحلوة الجمع بين الذهب والسلطة، بين العرش والشوارع والكباريهات والمحيطات والقارات.. وبقدر حزن الناس عليها وعلى حياتها وموتها بقدر كراهية الناس لزوجها وأمه وأبيه، وفي الحزن على ديانا لن يذكر "دودي الفايد" إلا كسبب وجيه لفضيحة: ديانا جيت!"

وكان "أنيس منصور" أول من وضع يد المخابرات في دماء الأميرة وحبيبها والغريب أنه جرى وراءه بعد ذلك جيش جرار من رؤساء

وصحفيي المجلات المتخصصة، وأصبح تفسيره أحد التفسيرات الأولى في تفسير المؤامرة، ونقلت وكالات الأنباء والتليفزيون وكل ورقة مطبوعة في الأرض هذا التفسير الملهم الذي وصفه أنيس كتفسير لحادث السيارة والذي عاتبه عليه وزير الخارجية المصري العاقل المنطقي عمرو موسى.

وتبنى العقيد القذافي رؤية أنيس منصور فاتهم المخابرات الإنجليزية بتدبير الحادث وطلب تسليم الفاعلين لليبيا لأن آل الفايد أصلها ليبي قبل أن تهاجر إلى الإسكندرية؟!!

وكان بالطبع يريد أن يذكر العالم وبريطانيا بما سببته قضية (لوكيربي) لليبيا من مشاكل لسنوات "حيث طالب المجتمع الدولي بتسليم الذين قاموا بإسقاط هذه الطائرة؟!". أما بغداد فقررت نفس الاتهام للمخابرات الإنجليزية لخروج ديانا من المألوف وتدخلها في السياسة بشأن إلغاء الألغام!!

ثم ثبت أن أنيس منصور كان مع الأستاذ عبد الله حسن مدير وكالة أنباء الشرق الأوسط في باريس، وذهب إلى فندق "ريتز" قبل الحادث بيومين، فما الذي عرفه وجمعه وجعله يسرع بإطلاقه ونشره؟!! وإذا كانت القاهرة أول من أطلق بالونات الشبهات حول مصرع ديانا، فإن هذه الشبهات لم تنته؟! فقد ظهر أن الأميرة كانت حامل ولكن الجهات الرسمية لا تجيب عن ذلك: لا الأطباء، ولا من قام بالتشريح، ولكن الصحافة تؤكد ذلك (أنيس منصور) نفسه يقول كانت حاملا في الشهر الخامس!!

ولكن اتجاها آخر أعلى صوتاً يتهم الصحافة فقد قتلتها فلاشات المصورين وكانوا السبب في إسراع السيارة وانحرافها أو تعديل مسارها ثم تصادمها وظهرت عبارة (اقتلوا الباباراتسي) ويقصد بها (مصوري المشاهير) والأصح أن يقال عنهم: المصوراتية..الدبابير التي تطارد الضحية برذالة وقلة ذوق.. الاسم مأخوذ عن فيلم "الحياة الحلوة" أو الصحافة التي لا تهتم بالحياة الشخصية والخاصة فهي صحافة للفضائح وظهرت عبارة قانونية عن (حق الإنسان في الصورة) وأنه لا يجوز تصويري دون رضاي أو من وراء ظهري؟!

واستمر الجدل حول الشخصية العادية والشخصية العامة؟! (فهناك من يرى أن الذين قبلوا دخول عالم الأضواء يجب أن يقبلوه قبولاً كاملاً بكل ما له وكل ما عليه، فليس من المتصور أن يكون سعيهم نحو أجهزة الإعلام حثيثاً حين يريدون، وأن تكون شكواهم منه حين يتعرضون للنقد، الشهرة لا تتجزأ، إنها ليست رداءً نرتديه حين نريد ونخلعه حيث نشاء، كما أن هناك فريقاً آخر يتناول القضية من زاوية أخرى يرى فيها أن الشخص العام – شأنه شأن غيره – يحتاج إلى احترام لخصوصيته والتركيز فقط على الجانب الذي يمس طبيعة عمله أو يؤثر في أدائه له،فحين يتصل الأمر بالمال العام، أو احترام التقاليد الاجتماعية المرعية، فإن الأمر هنا يختلف لأن الذي قبل الدخول من البداية في الحياة العامة يجب أن يعلم مسبقاً أنه لم يعد ملكاً لذاته وحده.

٥

للتاريخ.. هكذا جرت التحقيقات

ووقف أخوها في الكنيسة أمام جثتها وارتجل كلمة، قال: إن ديانا هي ملكة الصيد والقنص عند الإغريق، ولذا فقد صادوها واقتنصوها، ودمها بين أيديهم؟! ورفض في إباء أن يرد لها لقب "صاحبة السمو الملكي" لأنه يرى أنه وأسرته أعرق من الأسرة المالكة البريطانية لأنها وافدة على نهر السين من ألمانيا. واستمع الجميع من لورد سبنسر أخي ديانا إلى أعنف وأجمل وأبلغ إهانة، وكأنه يقول: "اللهم إني بلغت.. اللهم فاشهد!!"ولأن الشبهات تعددت والأمر تشعب في مصرع (ديانا ودودي) فلنسترح قليلاً، ولنتتبع هذه الشبهات والنظريات على مهل حتى لا نظلم القضاء والقدر أو نستدعي جيمس بوند رقم "٧" بلا داعي. وهذا يتطلب منا معرفة مسرح الجريمة وتوقيتات الإبلاغ ونوع الإصابة وفحص السيارة وأقوال الشهود والتقارير الطبية، وما الذي تقوله جهات البحث الجنائي وتقارير المخابرات؟!

فالسيارة التي تحطمت فى الحادث وكان فيها ديانا ودوديكانت قد سرقت قبل الحادث بأسبوعين؛ فمن سرقها! ثم أعيدت للفندق؛ فمن أعادها؟! ثم ما الذي يمكن أن يكون قد تغير وتبدل بداخلها؟! وإذا كان فمن الذي غيّر وبدل وسرق؟!وقد تبين أن السيارة ليست مملوكة للفندق أو لآل فايد، ولكنها لشركة تؤجر السيارات، وإنها بالفعل سرقت في إبريل

١٩٩٧ ولكن عند عودتها تم استبدال جميع قطع الغيار المسروقة ثم خضعت بعدها لفحص فني رسمي وتبين أنها قد سرق منها بعض قطع نظام (**ABS**) وهو نظام للفرامل يسمح للإطارات بالتوقف بالسيارة دون الانحراف يميناً ويساراً. ولكن مندوب شركة مرسيدس قرر بأن الشركة المؤجرة اشترت هذه الأجزاء بالفعل ودفعت مبلغ ١١٠ ألف فرنكا سويسريا، وحينما طالبت جهات التحقيق الفحص الفني كتب في تقريره أن جميع أجهزة السيارة سليمة وأن السرعة الفائقة هي السبب في الحادث الذي أدى إلى اصطدام السيارة بالعمود.

أما السائق، وهو المتهم الأول، ولكنه متهم لن يدفع الثمن لقد دفعه مقدماً ومات؟! فلا يعرف حتى الآن من الذي طلبه لقيادة السيارة، وبخاصة أنه لا يحمل الترخيص الخاص بقيادة الشخصيات المهمة؟!ثم أنه قد ثبت وجود مادة "بروزاك" في دمه وهو مهدئ يحظر الأطباء تعاطيه مع الخمر لأنه يسبب النعاس؟! بل أنه تبين أن الكحول بجسده بنسبة تزيد ثلاثة أضعاف على النسبة التي يحظر فيها القانون قيادة أي سيارة؟! فهل هناك أيد خفية وضعت شيئا أصفر للسائق؟! ولكن سرعان ما تبين أن صاحب خطة "المرسيدس ٦٠٠" هو دودي نفسه وأن السائق "هنري بول" هو من أقرب الناس إلى ثقة آل الفايد وأنه طلب بالاسم وخصيصاً للتمويه على الصحفيين الموجودين خارج الفندق.

فقد استقل الاثنان سيارة مرسيدس ٦٠٠ عند منتصف ليل الأحد ٣١ أغسطس، وغادرا الفندق في طريقهما إلى قصر دوق وندسور، الذي

اشتراه الفايد أيضاً.. وإمعاناً في الحرص، قاد سيارة دودي رئيس أمن الفندق، بينما خرج سائقه المعتاد من الفندق بسيارة أخرى للتمويه وتضليل الفضوليين، الذين فوجئوا بعدة سيارات ليموزين سوداء كالتي يفضلها دودي تنطلق كل في اتجاه للتعمية وبالرغم من هذه الاحتياطات لحق بالسيارة سبعة مصورون، ستة منهم فرنسيون وواحد مقدوني، كل على موتوسيكله، وعندما تنبه دودي وديانا طلبا من السائق الإسراع للوصول إلى القصر الواقع في الحي السادس عشر بباريس، أرقى أحياء العاصمة الفرنسية، وأخذا الطريق المحاذي لنهر السين ويبدو أن السائق فقد السيطرة لثوانٍ ربما لثانية.. قيل أنه مخمور فدخل بالسيارة في عامود خراساني داخل نفق كوبري الما، وأدى عنف الصدمة إلى ارتطام السيارة بجدار النفق وانقلابها عدة مرات.

بمرور الأيام والبحث والتحري بدأت صورة "هنري بول" سائق السيارة القتيل تتضح وتتبلور بعد أن كانت مهزوزة لدى المحققين والرأي العام.. لقد تم فحص دمائه ثلاث مرات وكل فحص أكد أن نسبة الكحول في دمائه وصلت إلى ١.٧٥ جرام بالإضافة إلى وجود عقار "البروزاك"، وهو دواء يعالج الاكتئاب، وجاء في التحاليل أيضاً وجود آثار لدواء مهدئ للأعصاب!!.. والغريب أنه من ناحية أخرى أكدت تقارير التشريح خاصة تشريح الكبد أن "هنري بول" لم يكن مدمناً للكحول!!

لقد كان "هنري بول" الذي يعمل رئيساً للأمن بفندق "ريتز" بفرنسا من الأشخاص محل ثقة لدى أسرة الفايد فهو يعمل لديهم بإخلاص منذ

عام ١٩٨٦، نفس هذا الرجل الذي يعشق الطيران قبل الحادث بيومين فقط خضع لكشف طبي كامل من أجل تجديد رخصة كفاءة "إي.. إف.. آر" والتي تمكنه من الطيران السياحي..

والسؤال المطروح المثير للجدل هو: كيف يتم تفسير وجود نسبة كبيرة من الكحول والمهدئات في دمائه بعد الحادث؟

لقد قرر له الطبيب قبل الحادث بعدة شهور بعض الأدوية المهدئة التي تعالج الاكتئاب ليواجه بعضاً من مشاكله الخاصة والتي لا يفصح عنها بسهولة!! جاء ذلك على لسان أحد الشهود المقربين من هنري بول..يجب أن نعرف ما فعله "هنري بول" ليلة الحادث وقبل أن يتم استدعاؤه لفندق "رينز"؟! وقد جاء في التحقيقات أن رئيس الأمن ترك "عماد" و"ديانا" في تمام الساعة السادسة مساء، واعتقد أنه حر ولن يعود للعمل مرة أخرى هذه الليلة، ولكن في تمام الساعة العاشرة إلا الربع شاهدته صاحبة "البار" الذي يبعد عن منزله بحوالي عشرين متراً يخرج من منزله مرة أخرى وهو في كامل أناقته..

وفي الساعة الحادية عشرة مساءً وطبقاً لشهادة الشهود تناول "هنري بول" كأسين من "الريكار" في بار بمنطقة الفاندوم، بعد ذلك شوهد وهو يتناول كأسين آخرين من الويسكي "شيفاس ريجال" في بارثان!! ولكن ماذا فعل بين الساعة السادسة والساعة العاشرة إلا الربع؟.. هذا هو السؤال

المحير والذي أصبح مجالاً جديداً لفريق الشرطة المكلف بالتحقيق في هذه القضية.

يبقى اتهام المصورين أو سارقي الصور أو (البابارتسي) فقد لحق بالسيارة المرسيدس رغم كل التمويه سبعة مصورين، ستة منهم فرنسيين وواحد مقدوني وكانوا جميعاً على الموتوسيكلات. فما الذي فعلوه وجعلوا عماد الفايد يأمر بالإسراع؟! مع أن أي صور تؤخذ من السيارة لن يكون لها ما للصور التي أخذت في "مجموع القبلة" فديانا بالفستان وليست بالمايوه ودودي بالبنطلون ومعهما سائق وحرس؟! هل الفلاشات الشديدة جعلت السائق لا يرى؟!

ويتبين أن الصحفيين قد تعقبوا السيارة حتى ميدان الكونكورد من واقع الصور التي التقطت حيث صادر البوليس ١٢ فيلماً.. ولم يثبت أنهم استطاعوا مواصلة السير بجوار السيارة لسرعتها الشديدة. وأنها سبقتهم داخل النفق (٨١ نفق ألما) حتى أنه بعد ثلاثة أسابيع من التحقيقات استبعد فرق التحقيقات أن يكون السبب الرئيسي للحادث مجموعة المصورين الذين كانوا يلاحقون السيارة بعد أن كانت تهمة "القتل غير العمد" موجهة لهم!!

ويأتي دور الشهود.. فما الذي قالوه؟! ما هي تصوراتهم عن الحادث؟!وقد تمكنت صحيفة الجارديان البريطانية من الحصول على شريط كاسيت للمقابلة الأولى التي أجريت مع تريفور ريس جونز الحارس

الشخصي للأميرة ديانا وهو الشخص الوحيد الذي نجا من حادث النفق "وهو الشاهد الأساسي". استغرقت المقابلة التي جرت في مستشفى بيتيه سالبترييه الجمعة الماضية "٢٢ أغسطس ١٩٩٧" خمس عشرة دقيقة بين المحقق الفرنسي والحارس جونز وحين سأله المحقق:

– هل تتذكر أنك غادرت شارع كامبو؟

أجاب جونز: – أذكر أنني ركبت السيارة المرسيدس فقط

– هل تتذكر أي شيء بخصوص الحادث؟

– جونز: لا

– المحقق: هل تتذكر ما حدث قبل وقوع الحادث؟

– جونز: حين وصلنا إلى فندق ريتز كان هناك عدد كبير من المصورين.. هذا الأمر ضايق الأميرة ديانا وعماد الفايد، طلبت من المصورين إفساح المكان قام عماد بتغيير البرنامج وقررنا الخروج من الباب الخلفي للفندق كان هناك عدد أكبر من المصورين.

– المحقق: هل تذكر أي شيء عن رحلة المرسيدس الأخير؟

– جونز: أذكر أننا كنا متابعين من أشخاص هذا كل ما أذكره؟

– المحقق: أين كنتم ذاهبين؟

– جونز: إلى شقة عماد

– المحقق: هل تتذكر من كان يطاردكم؟

– جونز: نعم موتوسيكلات وسيارة لا أذكر الطريق الذي سلكناه يبدو أن السيارة كانت بيضاء وكان صندوقها الخلفي مفتوحاً.

– المحقق: هل تتذكر من الذي استدعى هنري بول وكيف تم ذلك؟

– جونز: عماد الفايد هو الذي استدعى هنري بول ليقود المرسيدس من الباب الخلفي لفندق الريتز.

– المحقق: لماذا؟

– جونز: لأن عماد هو الذي غير البرنامج، لا دخل لي في ذلك؟

– المحقق: البرنامج الأصلي؟

– جونز: كان المفروض أن نغادر من الباب الأمامي للريتز ويتم ذلك في سيارتين لنحول بين الأميرة ودوي وبين المصورين رأيت أن هذا شيء مفيد.

– المحقق: هل تعرف ميدان الكونكورد؟

– جونز: هو يقع بعد فندق الريتز؟

– المحقق: لا.. ميدان الفاندوم هو الذي يقع بعد فندق الريتز. هل تذكر من كان أقرب إلى المرسيدس الدراجات النارية أو السيارة التي ذكرتها؟

– جونز: لا أتذكر.

– المحقق: هل تغيرت مواقعهما أثناء الرحلة؟

– جونز: لا أعرف

– المحقق: إذن السيارة كانت تلاحقكم حين غادرتم الريتز؟

– جونز: نعم

– المحقق: هل أخذ المصورون صوراً لكم؟

– جونز: لا أدري

– المحقق: هل كانت سيارة خلفكم؟

– جونز: حين غادرنا الفندق قطعت الطريق ثم بعد ذلك تابعتنا من الخلف

– المحقق: هل تذكر إن كانت سيارات أخرى لاحقتكم؟

– جونز: كانت هناك عربة جيب ودراجتان ناريتان وسيارة ذات ثلاثة أبواب سوداء اللون.

– المحقق: كيف تصرفت الأميرة ديانا وعماد حيال المصورين؟

– جونز: احتمى كل منهما بالآخر لم يكونا سعيدين بالمطاردة.

– المحقق: كيف كانت حالة السائق هنري بول؟

– جونز: كان يبدو في حالة طيبة

– المحقق: بخصوص الحادث لا تتذكر أي شيئاً؟

– جونز: لا أتذكر شيئاً

فهل كان دودي يناديه قدره، لقد غير خطة الأمن، واستحث السائق على الإسراع بل هو الذي استدعاه من راحته وطلب منه القيادة؟! جعل خطة المغادرة سيارة واحدة "مرسيدس" من نوع مختلف عن سيارات آل فايد "الليموزين" رغم أهمية سيارة الحراسة الأخرى للتصدي لأي هجوم أو على الأقل لتحول بين الأميرة ودودي والمصورين كما قال "تريتور ريزجونس" حارس ديانا.

أم أن هناك جهات جعلت "عماد الفايد" يعيش في رعب واضطراب بحيث لا يأمن لأحد على شيء ويطلب التدخل في كل شيء؛ فبعد مرور

الوقت على الحادث نشرت مجلة "لونوفود كتيف" تقول تحت عنوان "اغتيال ليدي ديانا": إن عماد "دودي" كان مراقباً بواسطة المخابرات البريطانية التي كانت تتبعه في كل مكان، وكان يعرف أن حياته معرضة للخطر، حيث تلقى تهديدات بالقتل بسبب دخول علاقته مع ديانا منعطفاً جديداً، أثار قلق المخابرات وأوضحت أن عماد الفايد كان ينتقل باستمرار ولا يقضي سوى ليلة واحدة في المكان الواحد، حتى يفلت من قبضة الرقابة عليه، وتجنب احتمال تعرضه للاغتيال. وأضافت المجلة أن شهوداً موثوق فيهم أكدوا أنه تلقى قبل ساعة من الحادث، مكالمة تليفونية أثارت توتره الشديد، قرر بعدها مغادرة الفندق، وفسرت المجلة ذلك بأن المتحدث أبلغه بقرب وقوع شيء ضده.

وقالت المجلة إذا كنا لا نستطيع أن نثبت أن المخابرات هي الفاعل المادي الحقيقي فإننا نستطيع أن نقول إنها"الفاعل المعنوي"؟!! فقد جعلوه أي "عماد الفايد" يغير السيارة والسائق ليصبح بلغة البوليس هدف في العراء" وبخاصة بعد ما نشرته مجلة "فرناس ديمانش" من أنه تكشف أن عملاء المخابرات البريطانية كانوا موجودين بفندق "ريتز" ولم يعرف ذلك إلا بعد وقوع الحادث بأسبوع!!

بقي أن نصف المكان وخط السير!!ولكن ما أعلنته السلطات الفرنسية يغنينا عن هذا فقد أكدوا أن النفق "٨١- ألما" مصمم وفق أحدث النظريات بحيث يكون احتمال حدوث حوادث مرورية عند الحد الأدنى، وأن حادث الأميرة ديانا هو الأول من نوعه داخل النفق!!! ولكن

لا بأس من ذكر "أن الركب سار باتجاه أسوار حديقة تويلري الشهيرة ثم إلى ساحة الكونكورد بعد الانحراف يميناً. ثم أخذ النفق الذي يؤدي في النهاية إلى كوبري "المارسو" أو الكوبري رقم "٨".

ثم توالت الشبهات من أن هناك فاعلا، ولكنه مجهول؛ فبعض الشهود أكدوا وجود سيارة والبعض الآخر أكد وجود موتوسيكل اعترض مسار السيارة وهي تجري بسرعة مما أثر على السائق وأدى إلى اختلال توازنه وسيطرته على عجلة القيادة؟!!

من جهة أخرى تبحث الشرطة عن سيارة فيات "أونو" تم العثور على حطام فانوسيها الخلفي على بعد عشرات الأمتار من العامود الخرساني الذي اصطدمت به السيارة المرسيدس التي كانت تقل ديانا والفايد، وقريباً من حطام زجاج الفانوس الأمامي للمرسيدس.. ويثور التساؤل حول ما إذا كانت السيارة الفيات قد اصطدمت بالمرسيدس أم أنها ارتطمت بسيارة أخرى قبل حادث ديانا والفايد، هناك أيضاً شاهد استمع إليه القاضي ستيفان قال إنه لاحظ بعد ما ركن سيارته إثر وقوع الحادث مباشرة بجوار الفندق، شخصاً بالغ الأناقة يخرج من سيارة صغيرة داكنة اللون، ويشير إلى أشخاص آخرين بمغادرة المكان، ثم استقل هذا الرجل الأنيق الأشقر سيارة وانطلق مغادراً موقع الحادث.

هذه الشهادة تأتي تأييداً لما قاله المحامي البريطاني جاري هانتر كان يقضي أجازة في باريس وسمع من غرفته بفندق في شارع جان جوجان في

باريس والذي يبعد نحو مائة مترا عن نفق الألما دوياً هائلاً، فاتجه إلى النافذة ورأى الناس يهرولون باتجاه النفق وبعدها بثوان شاهد سيارة صغيرة داكنة اللون تغادر بأقصى سرعة وتدخل في الشارع المحاذي لشارع جان جوجان حيث فندق إقامته، وأنه أبلغ محامي عائلة الفايد بما رأى، وقال إن شعوره كان أن ركاب السيارة الصغيرة حاولوا الهرب من موقع الحادث، وبدورها أبلغت عائلة الفايد الشرطة الفرنسية بشهادة المحامي البريطاني الذي لم يوضح إذا ما كانت من طراز فيات أونو أم رينو وأضاف من جهة ثانية أن سيارة مرسيدس بيضاء كانت تتبع السيارة الصغيرة الهاربة.

وفي إطار مسألة "السيارة الصغيرة داكنة اللون" أكدت سكرتيرة بريطانية تعيش في باريس اسمها براند ويلز إنها كانت تقود سيارتها قبل الحادث عندما اضطرت إلى التوقف لإفساح الطريق لسيارة صغيرة داكنة ومعها موتوسيكلان دخلوا جميعهم نفق الألما.

الأمر الذي جعل فريق التحقيق الفرنسي لديه يقين من وجود سيارة مجهولة اصطدمت بالمرسيدس المنكوبة، وظهر ذلك من تحليل قطع الزجاج الموجودة بمسرح الجريمة، ومن تحليل لون الطلاء الذي وجد أثره على رفرف المرسيدس الأيمن!!

وقبل الدخول إلى شبهة أن الحادث مدبر وليس قضاء وقدر، وأنه قد تم بطريقة المحترفين وعلى أسلوب "جيمس بوند" نسأل لماذا تتدخل المخابرات؟! فهل قبلت فعلاً ديانا الزواج من دودي؟! أم أنه رجل مثل

الآخرين في حياتها كلهم أثرياء وينفقون ببذخ، ثم أنها ليست في حاجة إليه كما قالت إنهابعد طلاقها أصبحت مليونيرة بثروة ٣٢ مليون جنيها إسترلينيا!!

هل أعلنت إسلامها؟! هل كانت حاملا في طفل من عماد الفايد؟!

هل اعتبرت الملكية غرامها الجديد تخطى للخط الأحمر لآل فايد؟!

وبادئ ذي بدء جثة الأميرة ديانا لم تشرح بفرنسا لأسباب سياسية؛ فقد أسرع ولي العهد الملك تشارلز إلى فرنسا قبل حدوث ذلك، أما ما أوردته مجلة التايم الأمريكية حول حمل الأميرة فلم تؤكده أي مصادر طبية في مستشفى "لابييتي سالبتربيه" ولم تعلق عليه جهات الطب الشرعي البريطانية وإنما قالت: أن النتائج سلمت للقضاء ولجهات التحقيق.. ولكن عندنا ما نقلته جريدة الدستور "القاهرية" من أن المخابرات الفرنسية قد أعلنت أن ديانا ماتت وهي حامل في الشهر الثاني من عماد الفايد!! ويرى أنيس منصور أنها في الشهر الخامس؟!! أما ما قيل من أنها أشارت إلى بطنها داخل المستشفى طالبة الحرص على جنينها أو أنها "لقنت أحد الموجودين وقت الحادث بكلمة في أذنه يقولها لمحمد الفايد:ما في بطني أنت جده" فهي تكهنات وحوارات شعبية لا يوجد لها أي مصدر رسمي معلن!!فلقد انفجر الشريان التاجي وماتت ديانا!!وتركت الهلات الثلاثية: قبلت الزواج من دودي وقالت نعم!! أسلمت، كانت حامل في طفل جده مُحَمَّد الفايد الكبير؟!!

فإذا افترضنا أن الهلات الثلاثة بنعم؟! فلماذا القتل في سيارة، وليس على طريقة المخابرات السم الذي بلا أثر "الأوكونتين"؟!الإجابة أنها تريد أن تصطاد عماد والأميرة وحارسها مرة واحدة!!ونضع هذه المعلومات متتالية لتجيب على الأسئلة المهمة التي تجعل تدخل المخابرات محتملا:

١- قامت جومانة أخت عماد الفايد في حديث لها أن دودي وديانا حددا أول أكتوبر ١٩٩٧ ليكون موعداً لزواجهما.

٢- في حياة الأميرة ديانا طبيب جراح باكستاني مسلم هو "حسنات عمر خان" ويقال إنهاوجدت لديه دفئاً عاطفياً لم تشعر به من قبل وظهرت معه في كل مكان مما دفع الملكة اليزابيث أن تعلن رفضها لهذه العلاقة وتهددها بعدم رؤية أبنائها إلا في أضيق حدود.

٣- فقد نقلت صحيفة "ذانيشن" الباكستانية عن إمام المسجد الملكي بلاهور تأكيده أن ديانا كانت تحب الحضارة الإسلامية وتريد اعتناق الإسلام. وقال إمام المسجد الشيخ عبد القادر أزاد أن ديانا أبلغته أنها سوف تعتنق الإسلام خلال زيارتها للمسجد عام ١٩٩١ حيث كانت تغطي رأسها "بإيشارب" أسود...

صديقات ديانا أكدن أنها كانت تعتزم تغيير أسلوب حياتها بشكل جذري بعد زواجها من رجل الأعمال المسلم عماد الفايد الذي كان من المقرر إعلانه في أوائل سبتمبر الحالي. حتى الصحف البريطانية، أشارت إلى

اتجاه ديانا في أيامها الأخيرة نحو الإسلام وروح الشرق كوسيلة للهروب من الضياع..

ويبقى السؤال الحائر: هل دفعت ديانا حياتها ثمناً لهذا الموقف؟ لقد كان من شأن اعتناق ديانا للإسلام أن يثير أكثر من مشكلة في بريطانيا أهمها أن ابنها الأمير ويليام كان سيصبح عند توليه العرش هو رأس الكنيسة البريطانية. وفي نفس الوقت، كان أبناء ديانا من عماد الفايد سيصبحون أخوة مسلمين لملك بريطانيا البروتستانتي! وكانت ديانا– بعد إسلامها – ستصبح هي الملكة الأم للجالس على العرش البريطاني؟

ودون أي محاولة للوقوع في خطأ التفسير التآمري للتاريخ، فإن كل المؤشرات تشير إلى أن مصرع ديانا كان هو الحل!!

٤– في أكتوبر ١٩٩٥ كانت ديانا تعيش في رعب بسبب نبوءة فلكية باغتيالها تنبأت بها المنجمة الإنجليزية الشهيرة "سبدثيا بارنويل" التي أكدت لها بأن برجها يشير إلى نهاية حياتها عام ١٩٩٥ بالاغتيال!!

٥– في عام ١٩٩١ تمكن بوليس اسكوتلانديارد الإنجليزي من إلقاء القبض على ثلاثة إرهابيين يتبعون الجيش الجمهوري الأيرلندي وهم يخططون لمؤامرة لاغتيال الأميرة ديانا، وقد أطلق أفراد هذه الجماعة على أنفسهم اسم "جماعة ديانا" حيث تم ضبطهم في مدينة أنتويرب البلجيكية قبل سفر الأميرة إلى هناك بـ ١٧ ساعة وتبين أنهم

يتناقشون حول اختيار أحد خطتين: الأولى تقضي بقتلها، والثانية تقضي بخطفها.

٦- في أوائل عام ١٩٩٤ بدأت ديانا في إعداد خطة غريبة فأخذت إرشادات ودروساً وتعاليم عن المذهب الكاثوليكي، وهو غير المذهب الإنجليكي الذي تعتنقه الكنيسة الإنجليزية التي يرأسها حامل التاج البريطاني، مشيراً إنها تنوي اعتناق المذهب الذي يحرم الملك زوجها من الجلوس على العرش حيث يلزم قانون الترشيح الصادر في ١٧٠٦ أن يكون إنجيليكيا غير متزوج من كاثوليكية، وإذا حدث يؤول العرش إلى ابنها البكر وليام، كما تنبأت بذلك العرافة الشهيرة "دبي فرانك" التي قالت لها: وليام هو الملك الآتي!!

٧- يبحث محمد الفايد ويدفع الملايين ويجند الكثيرين داخل مستشفى "لابييتي يالبتريبه" بباريس التي ماتت فيها الأميرة ديانا لاعتقاده أنها تمتمت بكلمات لها قبل الوفاة، هي كلماتها الأخيرة، وسرها الأعظم فهو متأكد من أنها نطقت بعبارة: أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولكنه ليس معه الدليل وهو مستعد أن يجده ولو دفع ملايين؟!

٨- ما نطق به "جلين جونز" المكلف بحراسة الأميرة ديانا من قبل المخابرات البريطانية (١٩٨٦- ١٩٨٩) حيث أكد جونز وجود مؤامرة وراء مصرع ديانا والدليل هو وجود طلقتي رصاص في إطار السيارة التي لقيت فيها حتفها، وهذا يعني وجود مخطط لقتلها

وصديقها عماد الفايد، ويتعجب جونز من عدم توصل البوليس الفرنسي حتى الآن إلى الشخصين اللذين أطلقا الرصاص على السيارة من الكوبري الموجود أعلى النفق، وأضاف جونز أنه من السهل إخفاء هذا الدليل بتمزيق إطار السيارة تماماً وهو ما تفعله المخابرات البريطانية في صراعها مع الجماعات الإرهابية الأيرلندية عندما تريد تزييف هجوم إرهابي وتحويله إلى حادث عادي.وقد أبدى تعجبه الشديد من "تريفور ريز– جونز" حارس ديانا الخاص إذ كيف يربط نفسه بحزام الأمان دون باقي الركاب؟ وكيف لا يطلب منهم ذلك؟! إذا كان يحس بخطر أو مؤامرة فالمفروض في الحارس أن يكون حر الحركة ليقدر على التصرف في الخطر، وأنه يشك في أنه قد يكون ربط فلا أحد فحص الكيفية التي أدخل بها الحزام الأمان؟!

أما آخر ما فجره "جلين جونز" من مفاجآت أنها اتصلت به وأخبرته إنها تريد أن تمحو الماضي وإنها ستتزوج وطلبت منه شرائط الفيديو التي التقطت لها مع "جيمس هوايت" حيث أنها لا فائدة منها بعد قطع علاقاتها بالأسرة الملكية، وأن ما فيها أصبح شيئا شديد الخصوصية قد يستمر في تعكير حياتها للأبد!! وهكذا تفرق دم أميرة ويلز "ديانا سبنسر"بين القبائل الملكية والأمنية والصحافة وجهات المخابرات وجيمس بوند رقم ٧٠٠ "المصرح له بالقتل بشرط عدم ترك دليل" ومنعوا ولديها من البكاء عليها وأعلن أبوهما الأمير تشارلز إعجابه الشديد بهما؛ فقد حرم عليهما أن يكونا طفلين مثل بقية خلق الله يبكيان ويحزنان، كما

علموه هو قبل ذلك، فقد كان تشارلز يقف في الطابور ليسلم على أمه الملكة ولا يحتضنها وإنما ينحني لتحيتها كملكة لإنجلترا، مع أن ديانا بكت عليها الأرض؟!

شاعر ومطربة وكاتب قصة

كان بعضه يمزق بعضه!!.. هكذا قالوا عنه، أو هكذا وصفوه. قصير القامة وله حضور العمالقة.. لامع الوجه والكرافتة والحذاء والأزرار ولكنه بداخله منطفئ وإن كان الدخان يتصاعد من بين أصابعه! وهو قادر على أن يضحكك حتى على نفسك ويبكيك أيضاً فهو إذا تكلم جرح وداوى، وأوجع وواسى.كان في شبابه يرتدي العمامة والجبة والقفطان،ثم لبس الطربوش وملابس الأفنديات والتحق بالحقوق،كان يهرب من الأزهر بجسده الكبير وقفطانه ويجلس على قهوة الفن ثم هجر كل شيء وقرر أن يكون شاعراً ثم قسم نفسه بين الشعر والصحافة.. إنه أول من ينام في النهار ويسهر في الليل.

إنه الشاعر الرقيق "كامل الشناوي" خفيف الدم، وهو دائم الضحك والإضحاك أيضاً.. يقول النكتة فتصبح على كل لسان كأنها أغنية من أغاني أم كلثوم أو عبد الوهاب.. يتحدث بجدية ثم يتضح أنه في قمة التهريج؛ فقد سأل العقاد يوماً في صالونه الأسبوعي الذي كان يعقده بمنزله ١٣ شارع سليم الأول بمصر الجديدة: ما رأيك يا أستاذ في المدرسة الماليشية أو الماليثية؟! فقال الأستاذ علي أدهم: تقصد النيشتية نسبه إلى نيتشة، وقال الأستاذ العقاد: قد يقصد المانيشية وهي مذهب فلسفي منسوب للفيلسوف ماني الفارسي ومذهبه يقوم على الصراع بين الخير والشر وأن الخلاف هو في الانسحاب والزهد التام.ولكن كامل الشناوي

بمنتهى الرزانة قال: إن مذهب الماليشية يرى أن الإنسان أضعف من كل المسائل والقضايا وصراع الجنس والدينوالمال والسلطة فأنا فيلسوف هذا المذهب؛ فالماليشية هي اختصار لفلسفة ماليش دعوة!! ها.. هاها.. هاها.

وفي وقت قليل أصبح من ظرفاء مصر مثل حافظ إبراهيم ومُحَمَّد البابلي والبشري وفكري أباظه وغيرهم

ولأنيس منصور في كتابه "صالون العقاد" هذه العبارة: "لو كان لكامل الشناوي صالون لكان أرحب وأشهر من صالون العقاد نفسه!!" وله في كتاب "أوراق على شجر" هذه العبارة: "كان أصدقاء كامل المقربون ضحايا مقالبه حتى أني قلت له أنت يا كامل بك تزغزغ أصدقاءك بالسكاكين!!".

ولمصطفى أمين في كتابه "شخصيات لا تنسى" كلام كثير عن كامل الشناوي فقد كان يجيد تغيير الأصوات وتقليد المشاهير وكان يوقع الشخصيات المعروفة في بعض عن طريق التليفون ثم يذهب لكل منها لينشر الهجوم المتبادل في الصحافة.. إنه هو الذي فجر جبهة ضرب النار وذهب ليعلن أنه شاهد عليها فقط!!

وعلى الرغم من أنه كان كاتباً كبيراً فقد كان كاتباً كسولاً وكان شاعراً رقيقاً ولكنه نادر التدفق. وحينما توفي حاول المقربون جمع تراثه وكل ما كتب، ولم يكن إلا كتاباً واحداً متوسطاً يمكن أن يجمع فيه شعره ونثره

ومسرحيته الوحيدة عن جميلة بوحيرد،وفعلت ذلك مجلة روزاليوسف التي كان نائباً لرئيس تحريرها، ولكنه كان متحدثاً لو جمع تراثه لملأ مجلدات، ومحباً نشطاً، وعاشقاً حقيقياً!!

"فالعقاد يرى أن العاشق هو الذي أوقف حبه على امرأة واحدة، ولم يعرف في حياته غيرها، ولذا فهو يعتبر جميل بن معمر عاشقاً لأنه كتب عن "بثينة" وحدها، أما امرؤ القيس وغيره فهم محبون فقط أنهم يحبون المرأة في ذاتها وليست امرأة معينة، وقد كان هكذا كامل الشناوي حتى ظهرت هذه المطربة فعشقها وأوقف ما يكتبه عنها فانتقل بها من الشاعر المحب إلى الشاعر العاشق".

كان غزة الحب في قلبه تغرز باستمرار كما يقول الأستاذ "مصطفى أمين" كان كسينما مترو يغير كل أسبوع فتجده دائماً غارقاً في الحب لشوشته، وإذا أحب حول محبوبته لملكة أوإلهة، وركع وصلى لها!! أحب يوماً نجمة سينمائية فاتنة. وكان إذا حدثها في التليفون ولم ترد عرف أنها نائمة قال لكل من يدخل له مكتبه "لا ترفعوا أصواتكم فالقاهرة نائمة" وكانت النجمة السينمائية وقتها مشغولة بحب أكبر.وكان يعرف كامل الشناوي ولكنه كان يردد "إنه لا يستطيع أن يقاوم قلبه، ثم أن لها الخيار؟!".

وقد خلق كامل الشناوي طريقة للحب خاصة به، طريقة أفلاطونية، إنه يحب من جانب واحد ويفرض حبه على الطرف الآخر ولا ينتظر رأيها

وإنما يهاجمها بحبه ولطفه وقدرة حضوره،وهو متقلب يستطيع أن يتحول من محب إلى كاره من النقيض إلى النقيض.. أما من يحب فهو يحب الجميلات والفارهات مع أنه كان دميماً قصيراً ضخم الجثة، ثم أنه يحب من يعيش في زحام أن الفتاة الوحيدة لا تستهويه وإنما يلفت نظره من تقف وسط الرجال!!

وجاء حبه الكبير، وكان للمطربة نجاة الصغيرة، وأعطى في هذا الحب كل ما عنده: المجد والشهرة والطبل والزمر، ولكنه خدع فكتب قصيدته "لا تكذبي" ليقول فيها: أحبها فخدعته، جعلها ملكة فجعلته أضحوكة!! وحينما سمعها عبد الوهاب وعرف ظروفها أسماها "إني ضبطكما معاً" وغناها.. وجاء من بعده عبد الحليم الذي أحبه كامل الشناوي ووقف بجانبه وكانت هذه ميزة كامل الشناوي الكبرى الوقوف بجانب المواهب الجديدة.

ومن النوادر المشهورة أن كامل الشناوي فرض أخبار عبدالحليم على الصحافة حتى أن من يقابله يقول له: "إيه أخبارك يا كامل بك.. وإيه أخبار عبد الحليم؟!!" فغناها حليم ثم غنتها نجاة الصغيرة لتقول إنها بريئة.

ولكن مصطفى أمين منذ أن خرجت جنازة كامل الشناوي من ميدان الأوبرا وكانت معبودته تقيم بفندق الكونتيننتال بالعتبة في نفس الميدان ولم تلبس ملابس الحداد أو تحضر الجنازة وهو يردد: حرمت صوتها على أذني!! وبعد أكثر من عشرة سنوات وبالتحديد في ١٩٨٥/٢/٢١ نشر

مصطفى أمين مقالاً في أخبار اليوم بعنوان:من قتل كامل الشناوي؟! وطلب من سيد عبد الفتاح أن يرسم لوحة تظهر فيها صورة كاملالشناوي والمقابر والجزءالأكبر من وجه المطربة المشهورة نجاة الصغيرة.. وقاضت نجاة الصغيرة مصطفى أمين وسيد عبد الفتاح ورئيس تحرير أخبار اليوم "إبراهيم سعدة"، ونشر وحيد غازي تفاصيل ذلك في مجلة فنية كانت تصدر وقتها اسمها "البلاغ"!!

قال فيها إن مصطفى أمين قال لنجاة الصغيرة إنه كرهها منذ قصيدة "لا تكذبي" فقد كان شاهداً عليها وقالت له: أنني لم أحبه، هو الذي أحبني. إنه كان صديقاً فقط!! وأنه طلب منها الزواج فرفضت. وإنها تختلف عنه في كل شيء هي صغيرة وهو عجوز، هي تحب الجلوس لكل الناس وهو لا يحب الجلوس إلا معها. هي لا تريد أن يعرف الناس من تحب وهو ينشر ذلك ويريد أن تعرف الدنيا كلها أنه يحبني..لم أقتله ولكن قتل نفسه بغيرته وانتهى الأمر وسحبت القضية.

وفي مقالة من قتل كامل الشناوي"في "أخبار اليوم" قال مصطفى أمين عن قصيدة "لا تكذبي": "وكان كامل ينظمها وهو يبكي، كانت دموعه تختلط بالكلمات فتطمسها، وكان يتأوه كرجل ينزف منه الدم الغزير وهو ينظم، وبعد أن انتهى من نظمها قال إنه يريد أن يقرأ القصيدة على المطربة بالتليفون. وكان تليفوني بسماعتين، أمسك هو سماعة وأمسكت أنا وأحمد رجب سماعة بغرفة أخرى، وتصورنا أن المطربة ما تكاد تسمع القصيدة حتى تشهق وتبكي وتنتحب ويغمى عليها وتستغفر ربها

وتعلن توبتها.. وكان في رأي أحمد رجب ورأيي أن هذا منظر تاريخي يجب أن نحضره.وبدأ كامل يلقي القصيدة بصوت منتحب خافت، تتخلله الزفرات والعبرات والتنهدات والآهات مما كان يقطع،وكانت المطربة صامتة لا تقول شيئاً ولا تعلق ولا تقاطع ولا تعترض، وبعد أن انتهى كامل من القصيدة قالت المطربة "كويسة قوي.. تنفع أغنية.. لازم أغنيها!" وانتهت المحادثة ورأينا كامل الشناوي أمامنا جثة، بلا حراك!"وقد علقت نجاة الصغيرة فيما بعد بأن هذه المكالمة كانت يوم الثلاثاء،وأنها قالت أقصى ما يمكن أن تقوله أو تفعله فيوم الثلاثاء عندهم يوم شؤم لا تفعل شيئاً لا تعمل ولا تخرج من منزلها، أقصى شيء أن ترد على التليفون، وقد فعلتها وقال القصيدة يوم الثلاثاء يوم النحس عندي!!

ولكن هناك من يقول عن نجاة: إنها "موسوسة" أكثر من عبد الوهاب، ويطاردها إحساس دائماً بأنها ضحية أي رجل تتعامل معه أو تسمح له بأن يقترب من حياتها، وربما كان هذا الإحساس مبعثه أنها عندما بدأت الغناء وهي طفلة وحملت اسم "نجاة الصغيرة" تردد أن والدها مُحَمَّد حسني الخطاط كان يسقيها "الخل" حتى يؤثر في نموها وتبقى "صغيرة" دائماً، بل أن أستاذنا الكبير فكري أباظة عندما شاهدها لأول مرة تغني على المسرح في حفل ساهر، طالب بمنعها من الغناء رحمة بها، وبطفولتها، وهدد برفع قضية يأخذ فيها حكما يلزم أباها أن يتوقف عن دفعها إلى الغناء، وكانت تصرفات نجاة وهي صغيرة وبعد أن كبرت وتمردت على استغلال أبيها لها، وتزوجت وأنجبت ابنها "وليد" كلها تدلل على أنها لا تثق في الرجال، حتى الرجل الذي تزوجته وأحبته وغادرت بيت أبيها

لتتزوجه وتعيش معه لم تلبث في نوبة عدم "ثقة" أن انفصلت عنه بالطلاق..

رغم ذلك يجب ألا ينسى أحد أن "كامل الشناوي _ عاشق الخيانة" كان دفتر عشقه مليئاً بالعاشقات وكانت دنياه حباً في حب؛ فلقد خاض تجارب الحب العذري مع الفنانة الفاتنة كاميليا، وتصارع على الاحتفاظ بقلبها مع الملك فاروق والفنان الأرستقراطي المغامر أحمد سالم معبودالنساء وقتها. ونجح في شق طريقه بشكل أو بآخر للمطربة اللبنانية نور الهدى، وانتابه مرض الهوى الطائش مع المطربة "طروب" رغم أنها كانت متزوجة وفي وقت غنائها الدويتو مع زوجها "جمال"..

وتوثقت خيوط من الوهم والشعر مع مذيعة تليفزيون كانت تعرض عليه أشعارها رغم أنها كانت بالفرنسية وبكى يوم سقوط الطائرة بها.

وحينما نشر "يوسف الشريف" في كتابه عن كامل الشناوي "آخر ظرفاء ذلكالزمان" أن المطربة نجاة الصغيرة هي التي كتب فيها كامل الشناوي قصيدة "لا تكذبي" التي صور فيها واقعة ضبطها متلبسة بخيانته، رغم أن جميع قصص هيام كامل الشناوي انتهت وبالضرورة إلى الخيانة حتى أن صالح جودت سماه"شاعر الخائنات".. وأن غريمه كان كاتب القصة القصيرة الشهير وبدأ الكلام في مجتمع الأدباء..

وبسرعة طلب يوسف إدريس الأستاذ "يوسف الشريف" وفي مقهى "ريش" وعلى الملأ من الكتاب قال يوسف إدريس: أنا الخائن في قصيدة

"لا تكذبي" ولا داعي لاتهام أحد غيري ولما لا يكتب الكاتب بجرأة، نعم أنا.!!

وهكذا استطاع كاتب القصة المتفرد أن يفعلها في شاعر العصر كامل الشناوي؟!هل لهذا صنع كل هذه القصص القصيرة عن فلسفته في الجنس؟.. هل كل هذا الندم في كتاباته ندمه.. هل قصة اللعبة التي اختارتها زوجته هي قصه المطربة الصغيرة التي لعب بها العمالقة في عالم الفن والأدب!!.

وفي العدد رقم ٣٣٦٥من روزاليوسف عاد يوسف الشريف ليقول ما يأتي: دعاني الفنان جمال كامل إلى مكتبه ليضيف واقعة جديدة تحكي قصة ضبط يوسف إدريس في سيارته الفولكس بطريق المعادي، وإلى جواره المطربة الخائنة، وقال: كنا في سيارة فتحي غانم ومعنا كامل الشناوي بعد اجتيازه مرحلة الشفاء من التجربة في طريقنا إلى منزلي بالمعادي وكانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل، لكن لحسن الحظ أن كامل الشناوي الذي نزل من السيارة ليقضي حاجته لم يلمح يوسف إدريس والمطربة الصغيرة على مرمى البصر من مكاننا!

ويكتب.. وعندما سألت_باتعة_التي تعمل الآن موظفة في مؤسسة "روزاليوسف" عن حقيقة واقعة خيانة مطربته الصغيرة، قالت أنها تذكرت حادثة تليفونية جاءته من الفنانة الراقصة كوثر شفيق زوجة المخرج عز الدين ذو الفقار، وفي أعقابها ارتدى ملابسه على عجل واضطراب شديد،

وهناك رأى عينيها في عينيه وشفتيها على شفتيه، ولم يرجع إلى منزله في تلك الليلة، ولمدة عشرة أيام كاملة قضاها في منزل صديقه الأستاذ مصطفى أمين الذي نجح في إقناعه بأن يبث بواعث نفسه وحسرته في قصيدة، ثم أقنعه أن يلقيها بصوته في التليفون على مسامع مطربته الصغيرة حتى يبرأ من دائها.. وإذا بها تقول له في برود: الله يا كامل.. دي قصيدة رائعة، ثم وكأن شيئاً لم يكن، تابعت قائلة، ممكن يا كامل تكلم الأستاذ عبد الوهاب عشان يلحنها لي وأغنيها بنفسي؟!.

تحية كاريوكا.. السياسة على واحدة ونص

ولدت في ١٩ فبراير ١٩٢٢ امرأة من برج الدلوأسماها أبوها مُحَمَّد على النيداتي باسم "بدوية"، وكأنه يتنبأ بموهبتها المستقبلية وسماها الجمهور "كاريوكا" أما تحية فهي تسمية محاسن الراقصة التي سلمتها إلى بديعة مصابني، وفي كباريه بديعة ومن يومها وهي كما يقولون "اللي في قلبها على لسانها" إنها تقول للأعور أنت أعور.. في عينه!! قالتها للملك فاروق، وقالتها لسعد الدين وهبة في اعتصام الممثلين والممثلات الشهير الذي سجله المخرج يوسف شاهين في فيلم "إسكندرية كمان.. وكمان" ..

قال لها صلاح حافظ: يا تحية.. زوجتي حامل.. وكنت أريده ولداً، ولكن بعد ما عرفتك وعرفت شهامتك أتمنى أن يكون بنتاً، وجاء المولود بنتاً فسماها "تحية"!

وقال شريف حتاتة بمنتهى الرزانة والاهتمام في اجتماع: مصر تحتاج لشيء يشبه رقص تحية.. هادئ ومتقن الاهتزاز، فالعنف والاهتزاز الراديكالي لا يفيد نحن نصحح مساراً ولا نقلب على الثورة!!

وإذا كانت سعاد حسني تقول بكلمات صلاح جاهين:

بمبي.. بمبي.. بمبي..

فإن الأمر كان مختلفاً أيامها كان الواقع يقول:

كاكي.. كاكي.. كاكي.

الحياة بقى لونها كاكي

والكل لازم يكاكي.

والكاكي هو لون ملابس الجيش الرسمي، والواقع أنه منذ قيام الثورة والفن يلتصق بها، ويلتف من حولها، في حين هي كانت ترعاه وتحتضنه، ومن هنا شهدت مصر صوراً عديدة من التعاون الفني العسكري، أو العسكري الفني، لتتزوج تحية من رجال الكاكي، ولكن خلافاً وقع بين رجال الصفوف الثانية من الضباط الأحرار حول إقالة مُحَّمد نجيب من رئاسة الجمهورية، تسبب في عودة مصطفى كمال صدقي إلى مكانه القديم في الحرس الحديدي الذي جعله ينادي بأهمية تعديل مسار الثورة.. ليدخل وتدخل معه تحية السجن الحربي.

بل أن حلمي رفله حينما استغل بعض أقربائه ليزور تحية ويعطيها بعض الطعام قبضوا عليه أيضاً!!وبعدها كفر مصطفى كمال صدقي بالفن، وقال لتحية: "لم يعد هناك طريق واحد يجمعنا" فهو ثائر وهي راقصة.. أعلن أن الرقص والسياسة لا يمكن أن يكونا في زجاجة واحدة. وأن الناس بمجرد أن تسمع أن تحية كاريوكا كانت في التنظيم حتى تعتقد أنه تهريج ومهلبية!! قالوا له ذلك في السجن أن تنظيمه على واحدة ونص، وأنه ليس فيه إلا صفة واحدة حلوة أنه تنظيم بلدي.. ها ها.

وأخذت الفكرة فيما بعد، وأنتجتها ليلى علوي للسينما في فيلم "يا مهلبية يا..." لتقول هل يمكن أن تكون هناك راقصة ثائرة، أو راقصة وطنية؟!

مع أن تحية كاريوكا كانت أكثر ثورية من مصطفى كمال صدقي نفسه؛ ففي تاريخها أنها كانت تساعد الفدائيين على معرفة أسرار الإنجليز من عملها في كباريه بديعة. ولأنها من الإسماعيلية وتحبها ففي مذكراتها أنها حملت طوربيد سنة ١٩٤٨ للفدائيين،وأنها رأت الرئيس أنور السادات بعينها مختبئاً في منزل أحد أشقائها بعد اتهامه في قضية مقتل أمين عثمان فاشترت لهم خمسة كيلو لحمة وخضار حتى تقلل من نزول أهل البيت لشراء شيء أو الحديث مع أحد!!

ثم أنها جعلت فاروق يحنق عليها حينما رقصت للملكة فريدة، ورفضت الرقص للملكة نازلي أم الملك، وبالرغم من خناقات الغوازي فإنها ظلت تعلن أن وصول "سامية جمال" زميلتها وصديقتها في كباريه بديعة لقصر فاروق جاء للكيد في "أسمهان"!! وأن الملك فاروق كان يعشق الانتقام غيرالمباشر؛ فأسمهان خطفت الرجل العجيب الغريب "أحمد حسين" من الملكة نازلي، ثم أنها قامت بعد ذلك باللعب بالملكة نازلي في فندق داود بالقدس،ففعل نفس الشيء معها خطف حبيبة أخيها فريد الأطرش منه!! ومع ذلك ضربتها أسمهان ضربة العمر وأعطتها كف سليمان غانم في ليالي الحلمية المسلسل الشهير،حينما تزوجت بأحب

أزواجها لقلبها "أحمد سالم"، وفي حين أن أحمد سالم تزوج تحية عرفياً فقد رضي أن يتزوج أسمهان (ملكي وشافعي وأبو حنيفة)!!

فتحية كاريوكا هي الشاهد على صدق إحسان عبد القدوس "الراقصة والسياسي" فهو يرى أن هناك تشابهاً بين الرقص والسياسة، وأن السياسة قد تكون عند أقدام الراقصات، والرقص يمكن أن يكون فوق موائد السياسة!! ولقد أكد هذه الحقيقة كتاب "راقصاتنا والجاسوسية" لمختار سالم، حينما سجل أدواراً كانت فيها السياسة والرقص في زجاجة واحدة، وكان ذلك أكثر ظهوراً في حياة "ببا فهمي – وأسمهان– وكاميليا – وحكمت فهمي".ولأن تحية كاريوكا امرأة، وجدعة، فهي تقول في مذكراتها "لعبة الحب في حياة تحية كاريوكا".. إنها لا تعرف حب العذاب والتسبيل إنها تؤمن بالطريقة الرجالي في الحب.. إذا كنت تحب فعليك أن تفوز بمن تحب.. إنها تهتم بأن تحب!! لا أن تصبح محبوبة يهمها أن تعيش حبها، ثم أنها تعشق كل شيء بالحلال.

ولذلك لا يهم أن تدفع، لا يهم المال، المهم الفوز بالرجل، إن حبها يكلفها كثيراً ولكنه حب مضمونه الذهاب للمأذون!! حتى في زواجها من "الرجل الميري" مصطفى كمال صدقي فرغم شخصيته العسكرية ورتبته الكبيرة فإنه دخل عليها في بيتها، وهي التي قامت بشراء حجرة النوم على ذوقها وبفلوسها!

حتى رشدي أباظة لم يأخذ في يد تحية كاريوكا "غلوة" اشترت له قداحة ذهب بـ ٢٥٠ جنيهاً، فكان قلبه يشتعل بالحب كلما أشعل سيجارته وكان مدخناً شرهاً!! وبطريقتها قالت له: ما رأيك في منزلي؟.. على فكرة أنا أفكر في تغيير حجرة النوم!!

وهي تروي أنها كما تحب؛ فإنها تكره. وكما تقرر الارتباط تقرر التخلص، وتقتلها الخيانة!! وقالت لرشدي أباظة: أخرج من المنزل برة.. إنك تخونني مع فتاة في عمر ابنتك!! ولم يقاوم شجيع السينما خرج ولم يعد وأرسل ورقة الطلاق، فهو يعرف من هي "تحية" لها أكثر من لون، وطريق!!

وأكثر قصص الحب في حياة تحية كاريوكا دليلاً على طريقها أو أسلوبها في الحب حكايتها مع محرم فؤاد!! إنها التطبيق الفعلي لموال قديم أو الأسطورة "بيجماليون"!! فكل قصص حبها تنتهي بهذا الموال الشهير:

"طلعت فوق السطوح أنده على طيري

لقيت طيري بيشرب من قنا غيري

زعقت من عزم مابي وقلت يا طيري

قاللي زمانك مضى.. دور على غيري"

فلقد اهتمت تحية بالمطرب الشاب القادم من الإسكندرية ووقفت وراءه حتى عرف كيف يلبس ويتحرك ويتصرف مع مجتمع الفن استطاع أن يفوز بدائرة تحية كاريوكا الواسعة فنياً واجتماعياً

وحلمت تحية أن يكون "محرم فؤاد" ولي العهد على عرش الفن الذي احتله عبد الحليم، فلكل ملك ولي عهد ومحرم فؤاد هو ذلك الملك المنتظر، وكانت تحية كاريوكا وراء الكواليس في فيلم "حسن ونعيمة" الذي قدم محرم فؤاد وسعاد حسني. واختير الفيلم ليمثل مصر في مهرجان برلين.

ولكن محرم لم يصبح ولي العهد _ بالرغم من كل الظروف المواتية_ والسبب الغرور الذي ركبه وقررت تحية أن تتزوجه حتى تستطيع أن تجعله يصل لعرش الغناء، ولكن الحياة المشتركة كشفت كثيراً من عيوبه،كانت تقول له: شايف حليم بيلبس إزاي.. بيتحرك إزاي..

ولكنها قتلته حينما أصبحت تشتري له ملابسه وتختار له نوع البارفان والروب والبدلة، ولكنه عاند وأصبح يذهب لأصحابه في السيارة بالشبشب والبيجامة وشعرت بأن مشروع ولي العهد لن يتم فهناك فروق، اختلاف في الرؤية، المعادلة لم تتم، وجاء الطلاق.

وبعدها جاء الزواج ممن يقاوم هذه المرأة القوية، الكريمة، صاحبة الرؤية الخاصة في الحب!! رجل واحد كان يجب أن تلتقي معه وتضربه ويضربها وتعانده ويعاندها، كان هو فايز حلاوة!! إنه رجل من برج الدلو أيضاً مولده ١٣ فبراير سنة ١٩٣٢ وهو مثلها ابن حظ كان يذاكر دروسه في الحقوق على مقهى الفيشاوي بالحسين حتى بعد أن حصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٥٤ لم يجذبه القانون بل جذبه العود والموسيقى والسهر، فتقدم للمعهد العالي للفنون المسرحية قسم تمثيل، ثم عمل مخرجاً،

ثم أعجب بفكرة الكتابة للمسرح واختار نوعاً معيناً من الكتابة "الكتابة النقدية الساخرة" وفي مجال واحد: السياسة، وكانا يجب أن يلتقيا في القاهرة المحروسة تحية بنت الإسماعيلية في الشمال التي ترقصبالسياسة وتحلم بالفدائية في القناة، وفايز حلاوة ابن الجنوب الذي يكتب عن السياسة بعهر الراقصات وصاجاتها، ولأول مرة لا تختار تحية "إنما تُختار". رآها وهي ترقص، ورآها وهي تمثل.. واتبع طريقتها أو هي طريقة برج الدلو "في العشق، لا بد أن يفوز بها، بالجرأة، بالوقاحة، بالصلابة، بالكلاحة..

"إن أنيس منصور يقول عن فايز حلاوة "سحابة قدرية محملة بالأمطار لا يستطيع أحد أن يوقف هبوطها أو هطولها" أن أنيس منصور لم يستطع أن يوقف سحابة فايز حلاوة حينما قرر أن يكتب "حلويات" نسبة إليه في مجلة أكتوبر!

ولم تستطع أيضاً تحية كاريوكا أن تمنع هطوله حينما قرر أن يتزوجها رغم أنها سبق وأن تزوجت أساطير الرجال: مُحَمَّد سلطان باشا _ الضابط الأمريكي جلبرت الذي أشهر إسلامه عشان خاطر عيونها!! _ رشدي أباظة _ أحمد سالم _ مصطفى كمال صدقي والذي عليه حسدتها نادية رشاد أشهر امرأة في بلاط الملك فاروق وأول مصرييحصل على جائزة في التزحلق على الجليد وأعتقد أنه آخر مصري!!

جاء هذا الحرفوش فايز حلاوة وسط الملوك ليكون جوكر حياة تحية كاريوكا وأطول زواج من ١٩٦٢ ولمدة ٢٣ سنة حيث وقع أسوأ طلاق

بعد مجموعة كبيرة من القضايا والاتهامات!! وكالمسرح الذي أحباه معاً احتوى غرامهما على ثلاثة مشاهد زواج ومثلها طلاق.. وفي المرة الأخيرة سجلا الرقم القياسي لأقصر طلاق بعد خمس ساعات من عقد القران.. أما مشهد النيابة فهو شيك بـ ٧٠ ألف جنيها أعطاه فايز حلاوة في ١٩ مايو سنة ١٩٩٣ لتحية وكان بدون رصيد!! لم يعد عندهما رصيد لبعضهما حباً ولا مالاً!!

أما هذه السنوات الثلاث والعشرون فقد كان فيها ١٦ سنة مسرح "تحية كاريوكا" كتبه فايز حلاوة فجر الدنيا حوله وأول من ألقى بالكراسي في المجتمع السياسي.

رغم أن فايز حلاوة كان يخرج بتحية كاريوكا من ثوب العوالم لثوب الثوار، وكان يجعلها تهز الناس بوجودها وصوتها وحضورها لا بجسدها الذي يستطيع أن يبرز كل مفاتن الدنيا في مساحه لا تزيد عن متر مربع واحد، وكما كان لتحية كاريوكا فضل تكوين شخصية الراقصة الشرقية المصرية وسط رهط الراقصات الأجنبيات واللبنانيات والأرمن.

استطاعت أن تصنع لبنة المسرح الانتقادي السياسي والموسيقار مُحَمَّد عبد الوهاب يقول "الرقص قبل كاريوكا كان سوتيه مسلوقاً وبعدها أصبح مسبكاً".

أصبح المشاهد يحب هذا النوع الذي اعتبره شريف حتاتة نوعاً من السياسة الذي تحتاجه مصر "التركيز التشتيت اللوحة الثمينة تشاهدها دائماً وهي معلقة، ثابتة، تتأملها وتستطيع أن تكتشف أصالتها من زيفها"

وقدم فايز حلاوة مسرحية "الثعلب فات" وانتقدت تصرفات وحياة "صلاح نصر" واستخدم النساء لعبه المخابرات وقابل صلاح نصر تحية كاريوكا وقال لها: يظهر أنك كبرتي وخرفتي، تحبي تروحي المستشفى يا تحية؟!.. وكسرت زجاجة على طريقة شبيحة روض الفرج والبودي جارد وجرت وراءه حافية حتى الشارع وشكاها للمشير عبد الحكيم عامر وقال له: دي مفترسة.. مش عارف الغوازي.. وانتهى الأمر!!

ثم جاءت رواية "البغل في الإبريق" واستخدم مشاهد وعبارات منها الطلاب في مظاهرات ١٩٩٨ ووصل ذلك لجمال عبد الناصر، وتقول تحية كاريوكا نفسها عن ذلك في لقاء لها مع نجوى إبراهيم: إن جمال عبد الناصر بعد أن وصل له تقرير مفصل قال الراقصة بنت الكلب دي حتضيع اللي عملته في ١٧ سنه برواية!!ومنعت الرواية، واستمرت المظاهرات، وزاد الطينة بلة أن تحية كاريوكا ذهبت للطلبة المعتصمين بميدان التحرير بالطعام وسيناريو مسرحية "البغل في الإبريق".

وجاء وزير الداخلية وقتها "شعراوي جمعة" وقال لها الرئيس ذهب للاتحاد السوفييتي وقال: "راضوها" ومحبش يأخذ قرار بالنسبة لك إلا بعد أن يعود وحزنت جداً تحية كاريوكا لأن الأمر بدأ كأنها تستغل غيابه وقررت

ألا تفتح المسرح رغم السماح لها إلا بعد عودته.. وحينما عاد كانت أشياء كثيرة تغيرت؛ ففتح المسرح مسرحية "روبابيكيا" ولا يستطيع أحد أن ينكر أن فايز حلاوة استطاع أن يروض الفرسة الشهيرة الصهيل تحية كاريوكا أحبته ووثقت فيه وسلمت له نفسها وأموالها، وحينما كان يتفقان في المسرحية في مشهد معاً، كان فايز حلاوة حريصاً على أن ينسى الناس أن تحية كاريوكا بدأت راقصة. كان يقول أنها تمثل حين ترقص!!

وكل مرة كان فايز حلاوة الذي يكتب النص يضيف إليه ويخرج منه ويقول "ده أنا اللي كتبه يا بيه"!! ومعروف أن مشهد زيارته لصديقه عمر الخيام حيث خدعه شخص باعتباره صعيدي بلدياته وأخذ منه تحويشة العمر وقال تنزل الزمالك وتسأل عن عمر الخيام ألف من يدلك وذهب إلى فندق عمر الخيام معتقداً أنه منزل بلدياته وفي كل يوم يعمل فايز حلاوة شيئاً جديداً في المشهد!!

وفي إحدى المرات بدأ فايز حلاوة يحكي لتحية كاريوكا أنه وجد على الباب يافطة عمر الخيام والكوبيات عليها عمر الخيام وهو يحكي وتحية كاريوكا تقول: عمر الخيام، وفجأة قال بضحك وجئت وجاء الأكل بيض، وقالت تحية كاريوكا بعفوية: "بيض عمر الخيام" واستطاع فايز حلاوة بحركة مسرحية أن يوصل معنى جنسيا في العبارة للصالة فانفجرت بالضحك.. وشعرت بالأمر تحية كاريوكا فضربته بكوباية وقالت له: آه يا بن الكلب!! ونزلت الستارة وعادوا للتمثيل بعد خمس دقائق والصالة لا تزال تضحك،وكان مشهدا غريبا أن يطالب الجمهور بإعادة مشهد من المسرحية.. أول وآخر مرة نراها، وقالوا: "عايزين بيض عمر الخيام"،

سامية جمال راقصة الملك فاروق

كانوا يسمونها «راقصة مصر» لأنها رقصت أمام الملك فاروق في (دوفيل) على شاطئ الريفير الفرنسية! وكانوا يسمونها «الراقصة الحافية» لأنها خرجت عن المألوف ورقصت حافية في الحفلات والأفلام ومشيت وراءها بعد ذلك جميع الراقصات!أما لقب «راقصة مصر الرسمية» فقد منحه لها فاروق بنفسه، ومن يومها صارت الراقصة الوحيدة التي تدخل قصر عابدين وترقص في حفلات الملك الخاصة والعامة! ومع أن تحية كاريوكا سبق ورقصت في قصر عابدين في زواج الملك فاروق من الملكة فريدة.

إنها سامية جمال.. الفراشة الفرعونية للرقص الشرقي، فلاحة من قرية (ونا) بمركز الواسطة ببني سويف، وُلِدَتْ في ٢٧ مايو ١٩٢٤ وهي أحد مواليد برج الثور الذي تحكمه الزهراء وكل مواليده من أصحاب المواهب في الأدب والفن وحب الحياة.وفي بداية الخمسينات عادت إلى مصر، في وقت جاءت فيه الثورة وخرج الملك، لتجد سؤال على لسان الجميع يُقابلها: ما هي قصتك مع الملك فاروق؟! هل تزوجت من الأمريكي عبد الله كينج لتهربي منه؟! لماذا لم تتزوجي من «فريد الأطرش»؟! من الراقصات اللاتي كُن معك في قصر عابدين؟!

وفي سنة ١٩٥٤ توجه الصحفي الكبير «م. ص» موسى صبري إلى شقتها في عمارة (ليون) بالزمالك وقدَّم لها قلما فاخرا ومجموعة أوراق وقال

لها: ياريت تكتبي مُذكراتكِ وضعي شروطك ولن نختلف، وقاطعته قائلة: لكني يا أستاذ لا أعرف القراءة والكتابة مع أنني أجيد الإنجليزية والفرنسية جيدًا، وأضافت من خلال ضحكتها العالية لا تندهش أو تتعجب فإن حياتي مليئة بما هو أعجب وأكثر غرابة.وتألق وجه الصحفي الكبير لا بأس لتحكي هي ويكتب هو.. قولي يا سامية هانم؟! وقالت: ولكني ليس عندي ما أقوله عن جلالة الملك فاروق!

وأرسل لها في اليوم الثاني أحد الصحفيين الصغار، فأهم ما عندها لا تريد أن تقوله (الملك فاروق!)وبدأت تروي حكايتها مُنذ البداية.. ولكنها حكاية البنت الفلاحة، التي استطاعت أن تنقل اسمها من دفاتر الأحوال المدنية إلى أفيشات شوارع الفن في الأربعينات والخمسينات من (زينب مُحَمَّد خليل) وهو اسمها إلى سامية جمال، ونشرت الصحف والمجلات الفنية حكايتها على لسانها:

«أبي نزح من بني سويف إلى القاهرة بعد ولادتي بأسبوع واحد، وأقمنا في بيت قديم بجوار جامع سيدي الحسين، ووالدي تزوج من اثنتين: الأولى فلاحة من الشرقية وأنجب منها أربعة صبيان وبنت، أما الزوجة الثانية فكانت أُمي مغربية الأصل ورزقت هي الأخرى بولد واحد وبنتين أنا أصغرهما، فأنا آخر العنقود».

«ماتت أُمي.. السياج الذي كان يحميني من مُؤامرات زوجة أبي الأُولى التي أصبحت هي الآمر الناهي في البيت أثناء غياب أبي، أما في

وجوده فهي تتفنن في إثارته ضدي ثم ينهال على جسدي النحيل ضربًا بالعصا حتى أفقد الوعي، هربت من البيت إلى أختي المتزوجة وعشت معها أعوامًا طويلة ثم انتقلت إلى الحياة مع جارة لنا كانت تسكن في نفس الشارع.. كان واحد من أقاربها يعمل بفرقة الراقصة «بديعة مصابني» وعندما رآني شعر بأنني أمتلك مواهب كثيرة ترشحني وتُؤهلني للعمل بالفرقة، وبالفعل كان أول ظهوري في رأس السنة لعام **١٩٣٩**».

«أصبحت تسليتي الوحيدة الجلوس في الشباك المطل على المقهى أستمع للراديو إلى أن خطف أُذني صوت جديد هز كل كياني كان هو صوت فريد الأطرش في أُغنية (بحب من غير أمل) وتمر الأيام ويزداد حبي لصوته الجميل وعشقي لأنغامه حتى اشتريت مجلة فنية وجدت صورته فيها فاحتفظت بها وأخفيتها في مكان أمين لأراها كل يوم. وهكذا تعلقت بفريد قبل أن أراه أو أعمل معه!! وفي فيلم (انتصار الشباب) غمرتني فرحة غامرة لأني اشتركت في رقصة جماعية ورأيت فريد الأطرش، وتنبه فريد لي بعد فيلم (تاكسي حنطور) ومثلت معه فيلم «حبيب العمر» وفيه كان مولد حبنا الذي عاش واستمر سنوات عديدة، ولكن شاءت الأقدار أن ننفصل في هدوء».

وسألها الصحفي الصغير قاطعًا الاتفاق الذي تم بينها وبين (م. ص) أن تقول ما عندها ولا يسألها أحد: لماذا لم تتزوجي فريد الأطرش؟! وردت بلا اعتراض: لقد عشت مع فريد الأطرش ٨ سنوات لا يربطنا إلا الحب،

فقلت له أعتقد أن الأوان قد جاء لنتزوج، فرماني بكلمة أصابت قلبي.. وأقفلته، قال: لن أتزوج من راقصة!

«وسارت بي الحياة من نجاح إلى شهرة إلى نجومية وعرفت خلال المشوار الطويل شخصيات عظيمة وأمراء وباشوات وكبراء، لكني لم أشعر بالحب نحو أحدهم حتى تعرفت إلى زوجي الأول وكان أمريكيًا اسمه «شبردكينج» أسلم وتزوجنا وسافرت معه في رحلة زواج إلى أمريكا، ولكن زواجي لم يستمر طويلًا (سنتين) عُدت بعدها لبلدي لأستأنف حياتي الفنية"

ويذهب (مُحَمَّد وجدي) لها والغريبة أنها تفتح قلبها وذكرياتها له، لقد سألها: هل فاروق هو السبب في أن يتركها فريد؟! هل هي التي فضلت الملك على الموسيقار؟! قالت له: لقد كان هُناك عمدة ثري زبونًا في نفس الوقت بصالة بديعة أُعجب بها وعرض عليها الزواج رسميًا وليس العرفي، ولكن قلبها كان وقتها مع (فريد الأطرش)، ولكن اللي يحب ما يكرهش زي ما بيقولوا.. فقد وقفت هذا العمدة معي وكان يحضر ومعه زبائن كثيرة من أصحابه ويهللون ويصيحون يطلبونني، ولما كانوا يُمثلون موردًا ماليًا للصالة فقد قررت بديعة مصابني أن أرقص يوميًا (رقصة مُنفردة) وكان للقرار أثره السيء في نفوس الزميلات، حتى أني ذهبت يومًا لمنزل الست بديعة وطلبت منها أن تقبل اعتذاري عن الاستمرار معها من كثرة مقالب الزميلات، حتى أن تحية كاريوكا اشتركت مرة في أحد هذه المقالب وقطعت

أجزاءً من بدلة الرقص قبل نمرتي بلحظات! ولكنها رفضت وضاعفت أجري.

المهم أنه عندما فكر فريد في فيلم «حبيب العمر» واحتاج لفلوس، تقدم العمدة وعرض عليه الدخول شريكًا في الإنتاج بشرط واحد (أن أكون أنا بطلة كل أفلام الشركة) ولكن الشركة انفصلت بعد ثلاثة أفلام!! بسبب دسائس فؤاد الأطرش أخو فريد عن (العمدة)، ولم يقف فؤاد عند هذا الحد بل تدخل فيما بيني وبين فريد عاطفيًا، وجاءني وقال لي أنت فين مكانك من أمير من أسرة الأطرش. وأعتقد أنه هو السبب في عدم زواجنا، فقد كان مُؤثرًا جدًا على فريد وأخته أسمهان.

يعني ولا كلمة ولا حرف.. عن فاروق!!

ويكتب مُحَمَّد وجدي ذكرياته التي نشرها مُؤخرًا في مجلة "كلام الناس" «ورغم صداقتنا كانت تصر على الصمت والاعتذار عن كتابة مُذكراتها. وعندما كانت في أمريكا – خلال فترة إقامتها – سجلت خواطر، ولأنها تجهل القراءة والكتابة فقد طلبت سكرتيرة تجيد اللغة العربية وقامت بإملاء صفحات من خواطرها بعنوان «زوجي العزيز» وتحدثت عن الرجال الذين عرفتهم في حياتها، ولكنها بعد عودتها احتفظت بهذه الخواطر في دولابها الخاص ورفضت نشرها، ورغم أن السكرتيرة سربت اسم ١٧ شخصية عرفتها سامية جمال، إلا أنه لم يكن من بينها فاروق ولا بليغ حمدي ولا رشدي أباظة، وإذا كان من المُمكن أن يفهم سبب عدم ذكر الآخرين لأنها

لم تكن عرفتهم بعد، فإن عدم ذكر فاروق يعني أنها لم يكن بينها وبينه علاقة واضحة مُحددة».

أما الفنانة تحية كاريوكا والتي عرفت الفنانة سامية جمال مُنذ ٥٥ سنة أي مُنذ ١٩٣٩ بكازينو بديعة مصابني فتقول: أنا وسامية اشتركنا في حاجات كتير، فقد طورنا الرقص الشرقي وهربنا بالزواج في أمريكا وتزوجنا معًا رشدي أباظة (بالطبع لم تذكر أنهما أيضًا ارتبطا بالملك فاروق).

ثم تذكر أن سامية كانت مُختلفة عن مُعظم الراقصات، فهي ترقص بشياكة ولها طلعة مُميزة على المسرح، ثم أنها أدخلت الكثير من التعديل على بدلة الرقص فجعلتها بألوان قوس قزح وأضافت إليها (السيرما) – تطريز مُعين – وأذكر أننا ومعنا رشدي أباظة سافرنا لمدة شهر معًا إلى لبنان والناس كانت تستغرب أنه لا يوجد بيننا إحساس بالضغينة أو الحرج.. لقد كُنا أخوات وأكثر"

ثم تذكر شهادة على درجة من الأهمية «كانت سامية عاطفية جدًا وأذكر أنها تألمت وكانت صدمتها بالغة حينما صدق فريد الأطرش كلام أخيه عنها وكانت النتيجة أنهما تركا بعضهما بعد قصة حب وسنوات طويلة من العمل سويًا» أي أنها تُؤكد ما قالته سامية نفسها لم يكن فاروق سببًا في الهجر بينهما!!

وحينما توفيت سامية جمال بعد أن أجريت لها جراحة في مستشفى مصر الدولي ثم استئصال تسعين في المائة من أمعائها خلالها، كان هناك

تلغراف عزاء من «أمين مُحَّد فهيم» سكرتير الملك فاروق السابق، وتذكرت الصحافة الرجل وذهبت تسأله وإذا به يُؤكد (أنه لم تكن هُناك علاقة من أي نوع بين الملك وسامية، وأن ما أشيع عن أن الملك أعجب بسامية لم يكن صحيحًا. وكل ما حدث أن فاروق كان يقضي الصيف في جزيرة كابري، وكان يتناول العشاء في أحد الملاهي الليلية التي تُصادف أن كانت سامية جمال ترقص فيه، وقد صفق الملك لها الجمهور بشكل عادي، ولم يُعاملها بشكل خاص. ومن المعروف أن الملك فاروق حين ظهرت سامية جمال على المسرح الفني في الأربعينات كان مُرتبطًا بفتاة فرنسية اسمها «سيمون دي لامار» وحينما غنت أمامه في كابري كانت علاقته متوطدة مع أني كريبه).

وقد استضافت مجلة فنية لبنانية،سمير صبري صديقها المُقرب ليتحدث عن ذكرياته معها فقال: «أصيبت بصدمة بالغة حينما قال لها أحد أفراد أُسرة فريد أنت فين مكانك من أمير من أسرة الأطرش؟! وقررت ان تنجح عالميًا وذهبت إلى فرنسا وكانت هي الفنانة المصرية الوحيدة التي قدمت استعراضات هناك، وكان يحضر هذه الاستعراضات الملك فاروق الذي أطلق عليها «راقصة مصر الأُولى»، وبالمناسبة هي لم يربطها بالملك فاروق آية علاقة سوى أنها كانت ترقص في الاحتفالات والمهرجانات التي يحضرها».

ولكن (مصطفى أمين) هو الذي كتب (٢٥) صفحة كاملة عنها وعن علاقة جسدية بينها وبين الملك فاروق في كتابه الجميل (ليالي

فاروق).. وهو المرجع الوحيد لهذه الحدوتة التي تعتمد عليه الكتب الصفراء التي تكتب عن فضائح فاروق والكُتب الحمراء التي يهمها حجرة نوم الملك!وقد كتبها بطريقة روائية اشتهر بها، ولكنه لم يقل شاهدت أو تأكدت، وإنما قال سمعت من فريد الأطرش؛ أي أنه نقل رواية من لسان فريد.

أما فريد فيقول: لقد قالت لي سامية نفسها! مع أن سامية جمال ولا كلمة ولا حرف عن فاروق!!

ولهذا وضع الرواية بين قوسين ونحن نفعل مثله وننقل عنه، وللقارئ حرية التفكير.

يقول مصطفى أمين:ذات يوم دخل «فريد الأطرش» إلى مكتبي شاحبًا أصفر الوجه، كرجل لم ينم مُنذ عدة أعوام، وكان يرتجف كالخائف، وكان أشبه بجثة هامدة تجلس على كرسي.

قلت له: مالك يا فريد؟

قال: خطفها.

قلت: مين خطف مين؟

قال وهو ينظر حواليه في رعب: الملك خطف سامية جمال!!

وأردت أن أعرف منه التفصيلات، وأفهمته أن الصحف كالقسيس، وأنه يستطيع أن يعترف للصحف مُطمئنًا إلى أن الاعتراف سر مُقدس، لن يخرج من فم الصحفي.. وقلت له:

– إني أعطيه كلمة شرف ألا أقول شيئًا مادام فاروق ملكًا.

قال فريد الأطرش: يعني إلى الأبد؟!

قلت: من يعرف ما تحسبه مستحيلًا اليوم، قد يبدو مُمكنًا بعد أيام.

وقام «فريد الأطرش» إلى الأبواب فأغلقها جيدًا، ثم اقترب مني وراح يهمس في أُذني بسره الخطير وكانت قصة مروعة، كان ذلك في عام ١٩٤٩.

ولأن القصة تستغرق ٢٥ صفحة من الكتاب بهذا الأسلوب الروائي الجميل، فأنا بعد هذه البداية أُلخصها.

الزواج المستحيل:

سامية: اسمع يا فريد أنا جئت لأطلب إليك أن تجيبني بصراحة هل سنتزوج أم لا؟!

فريد: لماذا هذا الموضوع الأن؟ إننا نحب بعضنا، ونحن أسعد حالًا من جميع المتزوجين الذين نعرفهم.

سامية: لقد أعطيتك مهلة عدة سنوات، وانتهت المهلة ويجب أن تقرر.

ثم التفتت إلى فريد فجأة وقالت: باي.. سأرقص الليل في قصر عابدين.

وبقي (فريد الأطرش) ينتظر عودتها، ولكنها لم تعد، وبدأ نور الفجر يشقشق.. وكانت سامية تقيم في بيت فريد الأطرش، وكانت لها شقة أُخرى استأجرها لها فريد في الزمالك، وذهب فريد إلى بيتها في الزمالك، ووقف في نافذة البيت ينتظرها، وحوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا وقفت سيارة زرقاء، ونزلت منها سامية جمال.

ولمح فريد قائد السيارة فإذا هو (أنطونيو بوللي) مدير الشئون الخصوصية في القصر الملكي.

صرخ فريد الأطرش وأمسك يدها يضغطها ويلوي ذراعها ويقول لها: قولي، ماذا فعلتِ مع الملك؟

وجلست سامية تروي قصتها: كانت الحفلة الساهرة في القصر، وكان «فاروق» جالسًا بين حاشيته يضحك ويلعب ويقهقه، وكان في كل يد كأس، وكان في يد «فاروق» كأس من شراب أخضر قال لسامية إنه نعناع.. وكان حول «فاروق» بضع نساء يتطلعن إلى بعض في غيره باسمه، يتبادلن القبلات وكأنهن يتبادلن الصفعات، وكان فيهن الجميلات وفيهن

الدميمات، وكانت أثوابهن جميلة وغالية، ولكن سامية لم تلبث أن رأت ثوبها العادي أكثر جمالًا وأغلى ثمنًا.

وما لبثت «سامية» أن شعرت أنها الخيار المخلل الذي سوف يفتح شهية «فاروق»، رأته بعينيه وهي ترقص، فإذا التقت عيناه بعينيها تظاهر بأنه غافل عنها وهو يراها، وأحسست سامية بسعادة لأنها تنتزع الملك السابق من كل هؤلاء وفجأة مال عليها «فاروق»، وقال:

– هل سترقصين ثانية؟

قالت سامية: كما تأمر..

وفوجئت «سامية» بفاروق يقول لها:

– لا أريد أن ترقصي..

ثم أشار إلى الخدم وقال:

– اطلبوا من التخت أن ينصرف!

وظنت «سامية» أن هذا إيذانا لها بالانصراف، وتهيأت لتقوم! وكان يبدو عليها التعاسة، أنها لن ترقص مرة أُخرى.

ولكن «فاروق» مد يده إليها، وأمسكها في يده وقال:

– التخت يذهب فقط، أما أنتِ فسوف تبقين.

ثم مال «فاروق» عليها وقال لها:

– سأتركك الآن، وسيخبرك «بوللي» بما يجب أن تفعليه.

وأقبل بوللي على سامية، يدعوها إلى الركوب في سيارة «فاروق» ورأت «فاروق» يجلس إلى عجلة القيادة، ويفتح لها الباب.. وأسرعت تجلس إلى جواره في المقعد الأمامي وكأنها تحلم.

واقتربت السيارة من مدينة حلوان فأشار لها «فاروق» إلى بيت على شاطئ النهر، وقال لها:

– هذا ركن فاروق.. سأصحبك إلى كل السهرات، سأجلسك بجواري في المجالس، سأجعلك راقصتي الرسمية، سأجبر باشوات هذا البلد أن يحنوا رءوسهم لك، سأجعلك تشعرين أنك أحسن من أي سيدة في مصر.. ولكن بشرط..

سامية: ماذا تطلب؟

فاروق: أن تقولي لي كل شيء بصراحة، ألا تكذبي عليَّ، أن تقولي لي أنك تحبيني عندما تحبيني، وأنك تكرهينني عندما تكرهينني.

سامية: أعدك بذلك..

فاروق: إذن، لماذا تشاجرتِ مع «فريد الأطرش»؟

سامية: لأنه رفض أن يتزوجني.

فاروق: إنني مستعد أن أرسل لفريد الأطرش من يطلب منه أن يتزوجك بأمري، فإذا رفض فسوف أسجنه، وأنفيه من مصر، أو أقطع رقبته

جذبها فاروق من يدها داخل ركن «فاروق» وقال:

- إن الجو بارد هنا!! تعالي نعود إلى القاهرة.

وسار «فاروق» أمامها..

وسارت «سامية» وراءه..

ثم توقف «فاروق» قليلًا:

- ما رأيك في أن نمضي الليلة هنا؟ إنك ستنامين في غرفة الملكة.

وأمضت «سامية جمال» الليلة في غرفة الملكة في ركن فاروق، استيقظت في الصباح فلم تجد «فاروق»، وإنما وجدت «بوللي» يدعوها إلى أن يوصلها بسيارته إلى دارها، وقد شعرت «سامية» بخيبة أمل، إن «فاروق» اختفى دون أن يودعها، وبغير أن يحدد موعد لقاء جديد، ولم تفهم كيف يحدث هذا..

لقد أمضى «فاروق» الساعات الطويلة يُناجيها ويُناغيها، اعترف لها بحبه، وركع على قدميه في محراب غرامها، فأغمضت عينيها، لتدخل فردوسه الموعود، ولما فتحت عينيها لم تجده.وبحثت «سامية» بعينيها في أرجاء الغرفة عن العاشق الملكي فلم تجده.وسألت بوللي: "أين ذهب؟ ومتى يعود؟"، وقال «بوللي»: "إنه إذا ذهب لا يعود"..

ولا ينسى (مصطفى أمين) أن يحبش روايته فينهيها بمفاجأة:ثم مضت الأيام، وظن الذين حول «فاروق» أنه نسي «سامية جمال»، ثم قامت ثورة الجيش وخلع الشعب فاروق عن العرش، ودخلت لجنة القصور الملكية مخدع «فاروق» لتبحث فيه عن مُستندات وأسرار فاروق، وفتحت اللجنة الدرج المُجاور للمخدع الملكي فوجدت فيه مجموعة صور «سامية جمال» وبجوارها أسطوانة مُحطمة: أسطوانة الأغنية المشهورة: «إنك الإغراء.. إنك الإغراء»[1].

المهم أن هناك عدة صدف غريبة في حياة سامية جمال، فكل منهما هي وفاروق أحب حرف (الفاء) وكانت معها ميدالية مفاتيحه فضية عليها الحرف (F) وقيل أنها تقصد فريد الأطرش، أما الناحية الأُخرى من الميدالية ففيها قلب!!ثم أنها في يوم زواجها رزق الملك فاروق بحلمه الذي كان ينتظره من الملكة ناريمان، رزق بابنه (أحمد فؤاد الثاني) كان ذلك في

[1] أُغنية فرنسية تقول كلماتها «أنت جئت لي.. وكنت وحيدًا.. كان يجب أن أعرف، إنك الإغراء.. إنك الإغراء.. هاك قلبي خذيه وقولي لن نفترق أبدًا.. فأنا عبدك.. عبد أنت.. إنك الإغراء.. إنك الإغراء».

صباح الأربعاء ١٦ يناير ١٩٥٢ بينما كانت هي تعقد قرانها على المسيحي شبرد كينج الذي أعلن إسلامه عند زواجها

وقال: ليس أسهل من ذلك في مصر.. أشرب فنجان قهوة تركي مع شيخ من رجال الدين وأوقع قسيمة، وحينئذ أصبح مُسلمًا!!

وبينما كانت الطائرة تأخذها إلى أمريكا، كانت مسرحية (لزقة إنجليزي) تعرض على مسرح الريحاني والناس تقف طوابير لترى فيلم (النمر) بطولة أنور وجدي ونعيمة عاكف، وكانت جوارب النايلون معجزة نسائية في شوارع القاهرة، وسمسون إكسترا أشهر أنواع السجائر، والفيلم الأجنبي «خذني بعاري» يجد إقبالًا من الطبقة الأرستقراطية!!

ورغم أني من المُتسامحين مع سامية جمال والمُشككين في قصة غرامها بالملك فاروق من كل ما سبق، إلا أنه قد جد جديد في الأمر قلب الشك ١٨٠ درجة ليصبح يقينا؛ فقد نشر في باب (آخر لحظة) بمجلة آخر ساعة أنه اكتشف بعد وفاة سامية جمال أنها تركت في أحد البنوك مجوهرات ثمينة قُدِرَتْ بحوالي ٨ مليون جنيها، وأن هذه المجوهرات لا تزال داخل مصر في فرع من فروع بنك مصر، وأنه تُجرى محاولات لتهريبها من البلاد وبيعها خارج مصر، وأعلن الورثة أنهم لا يعلمون شيئا عن المجوهرات.

واتجه (ماجد الشربيني) محامي الورثة لإثبات أحقيتهم في المجوهرات، ولكن سرعان ما قلبت الكراسي بين الورثة وتقدموا ببلاغ للنائب العالم

مُطالبين بالتحقيق لمعرفة حقيقة المحاولات المشبوهة لتهريب المجوهرات وبخاصة أن هناك صعوبات بنكية وقانونية لاستلام المجوهرات، في نفس الوقت الذي ظهر فيه شريط فيديو يعرض هذه المجوهرات وهي مكونة من ٩٦ قطعة، وقد روج لها رجل أعمال لبناني يقيم في مصر..

وبالرغم من أن القصة تثير نهاية مُفزعة في حياة سامية جمال حول من هو الشخص الذي توجد المجوهرات باسمه في خزائن البنك الآن؟! وما هي صفته التي جعلته يدعي أنه الوريث الوحيد الذي له حق التصرف فيها؟! وهذا يعني أنه زوجها!! وما هي حقيقة الدور الذي يلعبه البنك في إتمام الصفقة؟! ثم ما هو تاريخ إيداع هذه المجوهرات في خزائن البنك هل قبل وفاتها أم بعد الوفاة؟!

فإن ما يهمنا هو أن الفيلم الذي ظهر جعل أهل الخبرة يُؤكدون أن ضمن الـ ٩٦ قطعة ثلاث قطع نادرة إحداها بها الطابع الإيراني، ويُرجح أن تكون للاميرة فوزية الأخت الكبرى لفاروق وبروشين كانا ضمن ممتلكات الأُسرة الملكية!!وتنشر جريدة "فران تيرون" ١٩٩٤نبأ شراء الملك لبعض المجوهرات الثمينة من محلات "فان كليف" ثم تقول الجريدة فمن ستكون المحظوظة :سامية جمال؟ أم الراقصة سيرين أوجيمونا؟ أم آنى بربيه؟

وحتى يتم إنهاء الأمر تبقى (قصة مصطفى أمين)أقرب القصص لتفسير حكاية الثلاث مجوهرات الملكية والبروشين

أكان لابد يا لي لي أن تضييء النور.

"بعد دقيقتين من مغادرة غسان ولميس _ابنة أخته_ سمعنا انفجاراً رهيباً.. تحطمت كل نوافذ البيت.. نزلت السلم راكضة لكي أجد البقايا المحترقة لسيارته.. وجدنا لميس على بعد بضعة أمتار، ولم نجد غسان.. ناديت عليه، ثم اكتشفت ساقه اليسرى.. وقفت بلا حراك.. في حين أخذ فايز _ ابنه _ يدق رأسه بالحائط، وليلى ابنتناتصرخ: بابا .. بابا .. لقد قتلوك"...بقي أن نذكر أن المحققين وجدوا إلى جانب السيارة المنسوفة ورقة تقول: "مع تحيات سفارة إسرائيل بكوبنهاجن". هذه الورقة لها معناها المحدد وهي تكشف عن جانب مهم من جوانب نضاله السياسي فماذا تعني هذه الرسالة الغامضة؟

في سنه ١٩٧١ أصدر أنيس منصور كتابه "يسقط الحائط الرابع"، وكان أول ناقد يكتب عن غادة السمان، وقال عنها أنها مثل كرة من القطن المشتعل تنطلق في كل مكان، إنها تبحث عن ماء يخمدها فإذا وجدت الماء رفضت وصرخت: ما الذي تريده؟! إنها تريد أن تظل مشتعلة وأن تحلم بالماء، وحينما كتب عن أعمالها "دليل الغرباء" و"عيناكقدري" و"البحر في بيروت" وصفها بأنها أديبة غير منتمية، وتريد أن تنتمي، وحينما نقل بعض عبارات من كتبها مثل

"قال لي انصهري فانصهرت، قال انسكبي فانسكبت"

"طالما بكيت لأنني سقطت وحدي ولم يرفعني أحد.. حتى أبي لم يرفعني لأنه هرب مع امرأة ضائعة مثلي!"

"صوت حبيبي آت من الجبال إلى التلال على فراشي طلبت حبيبي فما وجدته"

قال عبارته التي اشتهرت: "جاء أدب الأظافر الطويلة من لبنان!! أي جاء على يد غادة السمان وليلى بعلبكي، وكوليت سهيل.. الأظافر عليها طلاء وبرفان ولكن احذر إنها طويلة!، والمعنى جاء الأدب النسوي أو النسائي"

ولكن د. غالي شكرى جاء بعده واهتم فقط بغادة السمان وأصدر عنها عن دار الطليعة في بيروت سنه ١٩٧٧ كتابه الجميل "غادة السمان بلا أجنحة" وقال وقتها الإخوة في الشام عبارة جميلة لها معان: "قوصته السمان" أي قتلته باللهجة الشامية، والمعنى إشاعة حب بينهما، فلا يمكن أن يخصها وحدها بكتاب من غير الأخريات وبخاصة ليلى بعلبكي!! مع أنه عرف باقي أديبات بيروت ودمشق قبلها في كتابه "أزمة الجنس في القصة العربية" سنة ١٩٩١م

المهم اعترفت غادة بعلاقة حب بينها وبين غسان كنفاني..هذا الاعتراف قلب الدنيا أنها قالت فيه "لا أستطيع الادعاء، دون أن أكذبأن غسان كان أحب "رجالي" إلى قلبي كامرأة كي لا أخون حقيقتي الداخلية مع آخرين سيأتي الاعتراف بهم بعد الموت"

إذن فأنت الفتاة الجالسة على حجر العفريت في ألف ليلة وليلة، والتي قابلت شهريار وأخاه ومارست الهوى معهما، وأظهرت لهما خيطاً من الخواتم لرجال آخرين فأعطاها كل منهم خاتمه.

إنها قصة حب بدأت بمعرفة عابرة في الجامعة حتى وصلت إلى ذروة الجوى –هو أعلى مراتب الحب– المستحيل، فكان الروائي غسان كنفاني يكن الحب للأديبة غادة السمان،ولكنه بات حبا من طرف واحد..كانت غادة امرأة غير اعتيادية في عيون كنفاني، فعلى الرغم من زواجه بامرأة أخرى، إلا أن عاصفة الحب أبت إلا أن تخيم في قلبه، وتجعل منه بيتًا لعذابها وغرامها،فرسائله إلى غادة توضح كيف كان عشقه معذبًا من طرف واحد، فهي المرأة التي ملأت حياته بالفرح والحزن والألم.

ولدت قصة حبهما على أعتاب الجامعة الدمشقية في سوريا، إلا أنها كانت معرفة عابرة لم تترك أثرها الواضح في قلبيهما،ليعاود العشق مغازلتهما في لقائهما الثاني بالقاهرة، حيث التقيا في المحروسة في سهرة أدبية، فجاءها غسان يقول: "مالكِ كطفلة ريفية تدخل المدينة أول مرة". لم تشأ الظروف لهذا الحب أن يكتمل إلا على الورق، فحبر غسان كان يصل غادة عبر رسائل العشق التي كان يراسلها إياها رغم بعد المسافة وكثرة تنقلاته بين القاهرة ولبنان والكويت، ليكون ختام رسائلهما هو الدم الذي أريق في اغتيال كنفاني بالكويت على يد إسرائيل..وبقي حبهما سرًا لما قد يلاقيه من متاعب دينية وسياسية إذا تم الإعلان عنه.

المهم هذا الاعتراف هز الوسط الأدبي كله رجالاً ونساءً.. ماذا لو فعلها باقي الكتاب أو لو استهوت اللعبة الأدب النسائي؟! ولهذا قالت لها سناء البيسي: "أعترف بأنك ملكة الرواية بعد رواية "ليلة المليار" وكان هذا يكفي لماذا الآن وله زوجة وأولاد؟!وقالت لها عبلة الرويني:"غادة تشعل سيجارتها" إنها تذكرها بصداقتها لنزار قباني، وبأنها فعلت فعلة إحدى بطلات قصائده، أو أنها هي صاحبة هذه القصيدة، والقصيدة عنوانها "حارقة روما" وتقول:

كفي عن الكلام يا ثرثارة

كفي عن المشي على أعصابي المنهارة

ماذا أسمي كل ما فعلته

قرصنة. حقارة

ماذا أسمي كل ما فعلته

يا من مزجت الحب بالتجارة

والطهر بالدعارة

ماذا أسمي كل ما فعلته

فإنني لا أجد العبارة

أحرقت روما كلها

لتشعلي سيجارة

الذي رحل ككاتب، عاد كعاشق في ذكراه ليثير سجالاً من نوع آخر حول صورته الرمزية ككاتب وناشط سياسي وتساءل البعض في غضبٍ: هل يصلح المناضل عاشقاً؟ بالنسبة إلى هؤلاء بدا أمراً ممجوجاً وغير أخلاقي أن يتزوج المناضل بغير القضية، فكيف إذا أحب على القضية وعلى زوجته الفعلية؟ لم يستطع هؤلاء استيعاب فكرة أن غسان في النهاية بشر،من لحم ودم ومشاعر. ولم يتمكن هذا الفريق من تقبل فكرة الجانب الهش داخل كيان هذا الأديب والناشط السياسي الذي كان الحب الخاص والعام يملأ شرايين قلبه.

ولكن غادة السمان اختارت أن تصدر"رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان" عن دار الطليعة في بيروت مكتبة زوجها،يبدو أنها تعمدت نشره عن دار الطليعة البيروتية التي يملكها زوجها الدكتور بشير الداعوق مع أن غادة تملك دار نشر باسمها!؟راصدة ريع الكتاب لمؤسسة غسان كنفاني، وهو ما رفضته زوجته وأولاده

نشرت غادة السمان رسائل غسان العاطفية إليها، دون نشر رسائلها هي إليه، ليظل الكتاب ناقصاً ومخالفاً لوجه الحقيقة.. تقول غادة إن رسائلها ليست في حوزتها،ولكن كانت فى حوزته هو؟ ربما لكن تبقى حقيقة العلاقة في وجدانهالكنها التزمت الصمت والموقف الحيادي، فلم

تعلق على رسالة واحدة.. لم تضف هامشاً، لم تفصح عن صورتها أو ملامحها يوم كانت، لتتيح أمام القارئ اكتمال المشهد..

"ثمة رجل يدعى غسان كنفاني" هكذا انتقت بحيادية تامة عباراتها وهي تشاهد الحريق، وعلى حين تصورت غادة أن كتابها جريء جداً يتحدى مؤسسات الرياء الاجتماعي "وتطييب خاطره"، ويرفض الخضوع لزمن الغبار الذي يتكدس في الحناجر، ولا يمتلك جرأة المجابهة لأن فعله الحقيقي هو "فعل" غسان، وموقفه الحقيقي هو موقف "غسان" وجرأته الحقيقية هي "جرأة" غسان، بينما تتوارى غادة دون فعل، دون موقف دون جرأة.

ومن المعروف أن "غسان كنفاني" كان متزوجاً من فتاة دانمركية اسمها "أني" هذه الفتاة كان لها دور كبير في حياة غسان وفي نضاله السياسي ونشاطه الثوري. وقد اعتمد عليها غسان في توثيق صلاته بكثير من الأوساط الأوربية، بل واعتمد على مساعدتها له في الحصول على كثير من الوثائق المتصلة بواقع العرب في الأرض المحتلة. هؤلاء الذين أصبحوا أكثر من مليون ونصف مليون مواطنا، بعد أن وقعت الضفة الغربية لنهر الأردن تحت سيطرة الإسرائيليين، لذلك فإن هذه الورقة التي عثر عليها المحققون بمكان الانفجار تعني إشارة واضحة للدور الذي لعبه غسان من خلال هذه الزوجة المثقفة الوفية لزوجها، ولشعب فلسطين العربي، وتجدر الإشارة إلى أنغسان التقى مع "آني" لأول مرة وهي تقوم بزيارة لبعض الدول العربية لإعداد دراسة عن "اللاجئين الفلسطينيين"، وقد تعرفت على غسان

باعتباره كاتباً فلسطينياً يمكن أن يساعدها في إعداد البحث وتقصي الحقائق، وانتهت هذه المعرفة إلى الزواج.

وبعد أكثر من عشرين سنة تفتح غادة السمان خزانة أوراقها الخاصة وتفض الغبار عن رسائل غسان إليها وتدفع بها للنشر.نعم.. يعرف كثيرون أن غسان كان يحبها، وأنه وقع في هواها في سنة ٦٦_ على الأرجح _ حين كانا يعيشان في بيروت "هل يذكر أحد بيروت منتصف الستينات قبل أن تدهمها غاشية الحرب التي لم تبق على أحد أو شيء؟" ثم رحلت هي إلى لندن وبقي هو يكتب لها الرسائل من حيث يكون.. من تلك الرسائل اختارت غادة اثنتي عشرة رسالة فيما بين ٦٦و ٦٨ ونشرتهامع صور خطية لها، ومقدمتين.

في المقدمة الثانية – دعك من الأولى التي ليست سوى اقتباسات من الرسائل ذاتها – تورد السيدة مبرراتها لنشرها هي ليست فقط وفاءلعاطفتهاالغابرةوالمتجددة نحوه بل وفاء لمبدع من بلادها اكتمل بالموتولاتنسى أن تضيفحرصاً منها على علاقات أخرى في الماضي والحاضر

"لا أستطيع الادعاء _ دون أن أكذب _ أن غسان كان أحب الرجال إلى قلبي كامرأة، كي لا أخون حقيقتي الداخلية مع آخرين سيأتي دور الاعتراف بهم"

وهي تنشر الرسائل دون حذف أو تعديل باعتبارها طلقة في معركتها التي لن تهدأ يوماً ضد مؤسسات الرياء الاجتماعي، ثم لكي تضيف بعداً

إنسانياً جميلاً لصورة المناضل من الداخل قبل أن تدخل في سجن الأسطورة،لكن قارئ تلك الرسائل "المنتقاة" تذكره غادة أنها ليست كل الرسائل،فثمة أخرى قد احترقت في بيتها في ٧٩

وأخيراً تمارس السيدة غادة، لحظة صدق، فتضبط نفسها وهي "تكاد تتستر على عامل نرجسي لا يستهان به: الفخر بحب رجل كهذاأهدى روحه لوطنه وانشد لي يوماً ما معناه: "مولاي وروحي في يده.. إن ضيعها سلمت يده".إن هذا الدافع النرجسي هو أهم الدوافع كلها، فصورة العلاقة بينهما _كما تعكسها الرسائل _ هي صورة تعلق جارف من طرف واحد، نراه ونسمع لهاثه ونقرأ كلماته الشاكية الضارعة الغاضبة الآملة، ونحس عذابه الجارف والطاغي للطرف الآخر.

بعبارة ثانية: إن صورة غادة _ كما تبدو في تلك الرسائل _ هي صورة فتاة طاغية الأنوثة، مرحة لعوب..في إحدى الرسائل يقول لها: "أنت صبية وفاتنة وموهوبة"، وأكثر الأوصاف التي يصفها بها تردداً هي "يا شقية" "تعبث بالرجل الذي أيقنت – من رسالته الأولى – أنه يحبها، والذي تعرف عنه أنه _ كما يصف نفسه في رسالته الأخيرة هنا _ "كرة متشابكة من الأعصاب والجروح" وهي في هذا العبث ليست عادلة تستخدم سلاحاً موجعاً.

كان غسان زوجاً وأباً، وكانت هي حرة طليقةفي إحدى رسائله يحلل غسان علاقتهما مشيراً لهذه النقطة بالتحديد: "لقد استسلمنا للعلاقة

بصورتها الفاجعة والحلوة، ومصيرها المعتم والمضيء.وتبادلنا خطأ الجبن: أما أنا فقد كنت جباناً في سبيل غيري، لم أكن أريد أن أطوح بالفضاء بطفلين وامرأة لم يسيئوا إلي قط، مثلما طرح بي العالم القاسي قبل عشرين سنة، أما أنت فقد كان كل ما يهمك نفسك فقط".

وفي أكثر تلك الرسائل حميمية وسخونة وامتلاء بنزف القلب، تلك التي وجهها غسان لأخته الكبرى فايزة، وهي يعني غادة في كل كلمة من كلماتها يحاول غسان تحليل دوافعه الذاتية العميقة _ قدر ما استطاع الغوص والنفاذ _ التي تدفعه إلى التعليق بمن تهينه وتذله وتعبث به، وفيها يروي واقعة صغيرة من وقائع هذا الإذلال: وقالت له في الصباح أنها ستأوي إلى فراشها في العاشرة من المساء، ولذلك "اذهب لبيتك باكراً اليوم" لكنها حتى منتصف الليل لم تكن هناك، ولا في الواحدة، ولا في الثالثة.."ثم هتفت لها فأبلغتني أنها كانت تشرب نبيذاً وأنها سهرت مع صديق.. وهذا ما كانت تريد أن تقوله هل تتصورين؟ .. "كانت تجهد لتنال أذني كي تصب فيها اللعنة، تربما الذي يذكر هذه الإنسانة إلا الذل؟"

ولم يكن غسان ظالماً لها بل كان _ شأن العشاق الكبار _ يتلمس لها الأعذار والمبررات فهي وحيدة "لا تستطيع أن تردم الهوة بينها وبين العالم إلا بالرجال"

وهي تفضل التفاهة والمشاعر التي تمر على السطح. وأنا أعرف أن الحياة قد خدشتها بما فيه الكفاية لترفض مبدأ من "الأخداش"ولكنلماذا يتعين علي أن أدفع الثمن؟ (...) أمس صعقتني مثلاً حين قلت لها أنني أرغب في رؤيتها فصاحت: أتحسبني بنت شارع؟ كانت ترد على غيري، وكنت أعرف ذلك، ولكن.. ما هو ذنبي أنا؟"

ذنبك الوحيد، أيها العزيز غسان، أنك سقطت في هوى أنثى جميلة طاغية مشتهاة تجيد اللعب ويلذ لها أن تعبث بمن يحبها، كنت في حبك لها مستجيباً لأعمق ما في ذاتك وأنبل ما فيها: حين وجدتها في مأزق حقيقي قدمت لها جواز سفر وسعيت لها في عمل فكافأتك مكافأة رائعة: وكتبت لك رسالة بيضاء. اسمك في أولها: واسمها في آخرها، وتركت لك أن تملأ المساحة الفارغة كما تهوى!

لقد أحب غسان كنفاني هذه المرأة حباً زلزل كيانه، إلى الحد الذي يقول لها فيه:

(لم أعرف أحدا في حياتي مثلك، أبداً أبداً. لم أقترب من أحد كما اقتربت منك أبداً أبداً ولذلك لن أنساكِ، لا..إنك شيء نادر في حياتي. بدأت معكِ ويبدو لي أنني سأنتهي معكِ)

(إنني على عتبة جنون ولكنني أعرف قبل أي إنسان آخر أن وجودكِ معي جنونٌ آخر له طعم اللذة، ولكنه– لأنك أنتِ، التي لا يمكن أن تُصلح في قالبٍ أريده أنا–جنون تنتهي حافته إلى الموت!)

(أمس رن الهاتف في المنزل، ورفعت السماعة..لم يكن ثمة أحد يتكلم على الطرف الآخر وهمست، بعد لحظةٍ، بصوت جبان:غادة؟)

(وهذا كله لا يهمك.أنت صبيّة وفاتنة وموهوبة، وبسهولة تستطيعين أن تدرجي اسمي في قائمة التافهين، وتدوسي عليه وأنت تصعدين إلى ما تريدين،ولكنني أقبل..إنني أقبل حتى هذه النهاية التعيسة!)

ومن سياق الرسائل أيضاً تفهم أن ثمة صراعاً كان ناشباً بين الأنثى والكاتبة فيها "كان يصفها بأنها امرأة حتى كعب حذائها"، ويخاطبها: "أيتها المرأة قبل ألف مرة من أن تكوني أديبة أو كاتبة".

وكان غسان يحاول أن يدفع صاحبته نحو الانحياز للكاتبة فيها، نحو النصف الأعلى لا الأسفل، يكتب لها مرة ضارعاً إليها أن تكتب له:

"اكتبي أيتها الحلوة الذكية.. تمسكي بهذا الشيء الذي يستطيع إلى الأبد أن يكون درعك أكثر مما يستطيع أي رداء مبتكر "وقصير" أن يفعل بالنسبة لك الحياة ملحمة انتصار تبدأ من العنق فوق، فتجعلي همك هناك.اطرحي،مرة وإلى الأبد،حيرتك الأنثويةالمغيظة بين رأسك وركبتيك فتكسبي رأسك ورؤوس الآخرين وعظمة أنوثتك"

أوهمتنا غادة أنها متلبسة بغسان،وفتحنا كتابها بنية بوليسية،لنجدها متلبسةبألف غيره، مع سبق الإصرار والترصد،غسان لاهو الاول ولا الأخير ولكنه واحد فى الطابور، ففي جعبة غادة عشرات الرسائل، من

أشخاص آخرين غير غسان كنفاني،ربما كانت تنتظر استشهادهم أو بروزهم ررسائلهم..إن في حياة غادة السمان رجالا كثيرين،أدباء وشعراء وصحفيين وسياسيين وأناسا عاديين، عرفتهم وعرفوها بطريقة أو بأخرى، قبل غسان كنفاني وبعده..وهذا الأمر ليس سرا، لأن غادة نفسها تحدثت وتتحدث عن شيء من ذلكبأسلوبها الخاص وضمن حساباتها الذكية، في أحاديثها الصحفية الكثيرةوهي– في هذه الأحاديث – تعودت أن تطري كل من كان معها هينا لينا، أو مستسلما أوعاجزا، أو شخصا لا تستطيع تجاهله والقفز عنه. كما تعودت – في الوقت نفسه – أن تتجاهل ذكر أولئك الذين لم تنجح في العبث بهم والطغيان عليهم.

ومن هؤلاء الرجال الذين عرفتهم غادة السمان وتركوا بصمات أو آثارا في نفسها– إيجابا أو سلبا – الصحفي السوري "نشأت التغلبي" (وهو صاحب فضل كبير عن انطلاقتها الصحفية الأولى) "وياسين رفاعية" و"عبداللهالشيتي" (حب من طرف واحد) و"راضي صدوق" (الشاعر والإعلامي الفلسطيني) و"ياسر هواري" (رئيس تحرير مجلة الأسبوع العربي اللبنانية الأسبق) وقد تطورت علاقة غادة بياسر إلى إعلان الخطبة بينهما. ثم جاء بعد ذلك دور المناضل الشهيد غسان كنفاني وتلاه آخرون كثيرون.منهم الملحن المصرى "بليغ حمدى"وكان مابينهما متجه للزواج وحضرت للخطوبة فبيته،ووجدته فى حياة فوضوية لاتطيقها فنسيت الموضوع، وعاودت السفر.. تركها بليغ بعد وصولها للقاهرة ٣ ايام بلا اتصال؟!

وللحقيقة والتاريخ فقد استفادت غادة من كل واحد من هؤلاء الأدباء والصحفيين بذكاء،وكثيرون منهم كتبوا عنها مقالات ساعدت على ظهورها وبروزها في أول حياتها الأدبية، كما أن بعضهم فتحوا لها أبواب النشر على مصاريعها في المجلات التي كانوا يرأسون تحريرها.

إن هناك كثيرين من الأدباء والصحفيين والسياسيين،في بلدان عربيةعديدةيحتفظون برسائل من غادة السمان تنطوي على الكثير مما يمكن أن يكشف عن حقائق أدبية وشخصية خافية برغم ما تتسم به هذه الرسائل من حذر محسوب؛ ولذا حين أرسلت نسخة من كتاب الرسائل لصديقها يوسف إدريس، أرسل لها يقول (أكان لابد يا لي لي أن تضيىء النور) وكان ذلك آخر عهد صداقتهما، فلقد مات إدريس بعد شهر من صدور الكتاب.

وحين أرسلت نسخة لصديقها "ناصر النشاشيبي" الصحفي الفلسطيني أرسل يقول لها "شرفتني بكتابك كما شرفتنيمن قبل بزيارة منزلي بجنيف وأقمت معي بضع ليال أسعدت جنيف كلها !"وكشف عن وجود رسائل عاطفية،موجهة له من غادة فى أواسط الستيناات وعلق:"نخوة الرجال لا تنشر أسرار النساء؟!" وقال:"لنعترف أن غادة كانت نجمة فى سماء بيروت الثقافية فى الستينات، كانت "ألفة" المبدعات فى الصحافة والأدب،ولكن لا يصح منها هذا وهي في الخمسين ومتزوجة ولها أسرة" وكان ذلك وقت صدور الكتاب فى ١٩٩١فهي من مواليد ١٩٤٢!

من لا يجد الخبز يأكل الجاتوة؟!

أصبحت ماري إنطوانيت ملكة إلى جانب زوجها ملك فرنسا لويس السادس عشر، ولم تكن جاوزت التسعة عشر عامًا من عمرها، شابة جميلة رقيقة، عينان زرقاوان تشعان بالحياة في وجه أبيض ينبض بالحيوية.. وجسد بض لين، وشعر أشقر وفير، إضافة إلى أنوثة جد طاغية، وقد قال فيها الشاعر «هوراس والبول» الإنجليزي رغم بروده وشيخوخته (إن ماري إنطوانيت حينما تقف فهي تمثال الجمال، وحين تمشي فهي الأناقة مجسمة)

وقد سجل التاريخ مقارنة بين ماري أنطوانيت ومدام دي باري عشيقة ملك فرنسا لويس الخامس عشر،ذلك لأن ماري إنطوانيت لم تكن بأي حال أفضل من مدام دي باري فيما يتعلق بالسلوك والعلاقات، فإن كانت مدام دي باري زوجة لرجل غاب عن الحياة غيبة غامضة واختارت أن تكون عشيقة ملك فرنسا – لويس الخامس عشر – فإن ماري أنطوانيت كانت زوجة لرجل حاضر هو– لويس السادس عشر – ومع ذلك عشقت في حضوره.ولعل أبرز حكايات عشقها كانت تلك التي ارتبطت فيها مع الكونت «اكسيل دوفيرزن» بعلاقة خاصة جدًا حميمة وممتدة.وقد بدأت هذه العلاقة أثناء إحدى الحفلات التنكرية، إذ أُقيم في الأوبرا مساء يوم الأحد الموافق ٣ كانون الثاني عام ١٧٧٤ واحد من تلك الاحتفالات التنكرية التي يتزاحم فيها المدعوون، وفي تلك السهرة حضر إلى قاعة الاحتفال فريق من عدة أشخاص يحيطون بامرأة حسنة المشية،

تضع قناعًا من الحرير وتلتف بتلك العباءة الفضفاضة الحريرية التي تُسمى «الدومينو».وأثناء الحفل اقتربت هذه السيدة ذات القناع من شاب في التاسعة عشرة من عمره، وهو سويدي الأصل، ويُدعى «ركسيل دو فيرزن».

ونشأ بين السيدة والشاب حوار طويل احتوى على الكثير من العبارات الغامضة والماكرة، وبعد فترة تركت السيدة الشاب كي تتجاذب أطراف الحديث مع بعض الحاضرين وقد كشف هذا الحديث على الفور عن شخصية السيدة.. إنها ولية العرش «ماري أنطوانيت»وكان هذا اللقاء بمثابة الشرارة التي أطلقت على قصة العشق التي اتخذت فيما بعد أبعادًا أسطورية، فلم يكن هذا اللقاء هو اللقاء الأخير، وإنما أصبحت هناك دعوات كثيرة توجه إلى فيرزن لحضور الحفلات الراقصة المُقامة في قصر فرساي وهكذا أصبح «دو فيرزن» من المقربين إلى الملكة ماري إنطوانيت – التي انتقلت من موقعها كأميرة مع زوجها ولي العرش إلى ملكة بعد وفاة الملك والد زوجها في ذات الفترة التي بدأ فيها غرامها بـ «فيرزن» – فهو من بين الذين يُشاركونها اللعب، والذين تدعوهم إلى سهراتها الخاصة.

ولكن لم تلبث الإشاعات أن انتشرت لأن شغف الملكة أصبح ظاهرًا، ولم يترد كثيرون في التأكيد على أنها عشيقة السويد، وحرص فيرزن على القضاء على حملة النميمة التي أُثيرت حوله وحول الملكة، لذلك عمد الإبحار إلى أمريكا ضمن حملة عسكرية يقودها الكونت «دور رو شامبو» وفعلًا رحل فيرزن إلى نيويورك كمعاون لرو شامبو، وبعدما عادت الحملة،

فكر فيرزن في الاستقرار بفرنسا، ولكي ينال موافقة أبيه الذي عارض الفكرة، أخذ يلوح له بفكرة الزواج من «جيرمين» الفائقة الثراء، أو من الآنسة «ليبل».. ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث.

أما الملكة ماري أنطوانيت فقد وضعت عام ١٧٨١ وأثناء سفر فيرزن إلى أمريكا مولودها الأول والثاني وسط ابتهاج عام، ولم تلتق الملكة بفارسها ثانية إلا في شهر مايو ١٧٨٣ حيث كانت ماري أنطوانيت جالسة في الصالون الذهبي تعزف على القيثارة فبلغها أن الكونت دو فيرزن جاء، عندئذ لم تتمكن من إخفاء انفعالها أمام الحضور إلا بمشقة بالغة ولكن لقد تغير فيرزن كثيرًا، إنه الآن رجل مكتمل الرجولة، فقد كبر عشر سنين إلا أنه قد ازداد سحرًا وإغراءً، أما الملكة فقد أصبحت في أوج جمالها بعد أن زادتها الأمومة تألقًا، ولقد كتبت رسامتها الخاصة مدام «فيجين لوبرين» تقول: كانت ماري أنطوانيت طويلة مشرقة رائعة التناسق، مُمتلئة دون ميل نحو البدانة، وكانت ذات ذراعين بديعين، وكفين صغيرين كاملي التناسق وقدمين جميلتين، وكانت صاحبة أجمل مشية بين نساء فرنسا، فهي تسير رافعة الرأس بشموخ وجلال فتجعلك تميزها من بين جميع سيدات البلاط والحاشية، أما الذي يلفت النظر في محياها فهو ذلك التألق المدهش في لون بشرتها.

وكان لا بُد من الفراق بين الملكة والكونت الشاب، فقد عجز فيرزن عن إقناع والده بما يحتاج إليه من مال، فذهب إلى مليكه «غوستاف الثالث» الذي كان راضيًا عنه، فمنحه رتبة عسكرية ثم اصطحبه معه إلى

إيطاليا.. وكان الفراق قاسيًا، فما يربط بين الملكة وفيرزن هو الغرام الحقيقي.وعاد فيرزن إلى باريس ضمن أعضاء الوفد الملكي المُرافق لغوستاف الثالث في زيارته الرسمية لفرنسا، وأقامت الملكة على شرفه احتفالًا رائعًا في قصر تريانون، وكان من شأن ذلك الاحتفال أن أسبغ طابعًا رسميًا على حبهما.

عاد فيرزن أخيرًا مع نهاية عام ١٧٨٨ كان الغليان قد بدأ في جوانب الحياة الفرنسية، وكانت الملكة في تلك الآونة في أشد الحاجة إليه أكثر من أي وقت مضي.وكان الخطر الأكبر على ماري أنطوانيت قد بدأ عندما نشأت بالبلاد طبقة من الشعب ذات تيارات فكرية جديدة استمدت أفكارها من مؤلفات "جان جاك روسو" فتبصروا بحقوقهم وغاروا على مصلحة بلادهم ووطنهم بعد أن أصبحت الحالة الاقتصادية في فرنسا تزداد سوءًا بسبب الإسراف الزائد في البلاط الملكي والمحسوبيات القذرة التي خلقتها الملكة ماري أنطوانيت.وزاد السخط أكثر وأكثر بعد أن ارتفعت الديون وانهار الجيش وضاعت المستعمرات، وغير ذلك من مظاهر الفوضى والفساد، في حين أن الدول الأُخرى المُجاورة تتقدم وتزداد قوة ورقي، وكان هذا السخط العام كله يتجه صوب الملكة الفاسدة وحدها، فقد كان الشعب يعرف ويوقن أن السلطة كلها بيدها، فالملك رجل ضعيف بليد لا حول له ولا قوة.

ويومًا بعد يوم ازدادت الحالة سوءًا وازداد السخط، فكان يجتمع كل يوم عشرات الأحرار وأنصار الدستور وأتباع «فولتير» وعديد من المثقفين

ورجال الصحافة والأدباء والفنانين، كما كان الكونت «دوبروفينس» شقيق الملك من أكبر المعارضين الذين يعملون في الخفاء على أمل أن يجلس يومًا ما على عرش فرنسا.ولما بدأت الثورة على الملك والملكة تأخذ طريقها في الظهور بدأ الكونت «دوبرفنس» يعمل جهرًا ضد أخيه الملك، فأخذ يوزع المنشورات المثيرة ضده وضد زوجته ماري أنطوانيت، حتى أن هذه المنشورات جاوزت حدود فرنسا، وازداد عددها بكثرة وبطريقة مثيرة، ولم تكن من عمل الكونت دوبروفنس فقط، بل أن كل الطوائف المُعادية المُطالبة بالثورة اشتركت في نشر وتوزيع المنشورات، ووصلت إلى الملكة نفسها، فقد كانت طوائف المعارضة الثورية تتشعب في كل أرجاء البلاد.

وهكذا وجدت ماري أنطوانيتنفسها مُحاصرة من كل جانب بالأعداء، فقد كان لا بُد أن يستيقظ الشعب المسكين الذي رضخ تحت وطأة النظام الملكي الظالم سنين طويلة، بل حقبة من الزمن بالقصيرة امتدت على مدى أكثر من لويس! كان آخرهم تعيس الحظ الذي جاءت بجواره على العرش امرأة مثل ماري أنطوانيت، فكانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى يقظة الشعب الفرنسي وثورته.

لهذا كله كان لا بُد أن يثور الشعب ويُطالب بالحرية، فقد أقبل الجميع على قراءة «العقد الاجتماعي» لجان جاك روسو، ومؤلفات فولتير وديدور التي تقول أن النظام الملكي ليس أفضل الأنظمة، وليس النظام الوحيد الذي أراده الله، كما ظهرت في هذه الأثناء بعض الشخصيات المُتحمسة للثورة سواء كان هذا نابعًا من مطامع شخصية أو دوافع وطنية،

فقد ظهر «سميرابو» الذي لُقِّبَ «خطيب الثورة»، كما ظهر «لافاييت، وروبسبير، ودانتون، ومارا».

وقد كانت أول مظاهر الثورة الإيجابية هي الاستيلاء على سجن الباستيل في ١٤ يوليو ١٧٨٩، فقد خرج عشرون ألف رجل صوب هذه القلعة التي كانت بمثابة سجن يُسجن فيه الأحرار والأبرياء،فاستولى عليها المُتظاهرون وعلقوا رأس حاكمها على قمة حربة وراحوا يطوفون به أنحاء باريس، وكانت تلك هي الشرارة الدموية الأولى للثورة.

وفي يوم ٤ أكتوبر – في باريس – زحفت جموع الشعب الغاضبة رجال ونساء قاصدين قصر فرساي حتى بلغوه بعد مسيرة ست ساعات، وظلت هذه الجموع الهائجة حول القصر طوال هذه الليلة إلى أن دقت الساعة الخامسة صباحًا، فانطلقت فجأة رصاصة من بندقية كانت إيذانًا ببدء الهجوم، فهرع الثوار نحو القصر من كل صوب بالمئات والألوف مُسلحين بالبنادق والحراب والفئوس.وكان هدف الجميع جناح الملكة، فقتلوا الحراس الذين قاوموهم، وحملوا رؤوسهم على الحراب، وهرعت إحدى الوصيفات إلى الملكة تحثها على الإسراع بالهرب، ولم تجد الملكة وقتًا لارتداء جوارب أو حذاء فجرت حافية القدمين وبيدها جواربها إلى جناح الملك.

وفي خارج القصر كان يقف عشرة آلاف ثائر، صيحاتهم ترتج لها كل جدران القصر تُطالب بانتقال الملك والملكة إلى باريس، وبالفعل بدأ

الموكب الملكي الحزين، فخرجت من القصر عربة ضخمة تجرها ستة جياد كانت تقل الملك والملكة وجميع أفراد الأُسرة المالكة الذين تركوا قصر فرساي بلا رجعة وإلى الأبد.وأخيرًا وصل الموكب إلى باريس وتم السماح للملك والملكة بأن يقيما في قصر التوليري، ذلك القصر القديم المهجور الذي كان فيما مضى مقر الملوك، ولكنه مُنذ عهد لويس الرابع عشر لم يسكنه أحد.وأوى الملك والملكة في غرفة مهملة ليس بها أثاث ولا شمعدانات وأبوابها لا تُغلق ونوافذها مُهشمة، ولكن الخدم أعدوها سريعًا على ضوء الشموع، ومُنذ ذلك الحين أصبح الملك والملكة صورة فقط ليس لهما أي سلطة فالسلطة كلها قد أصبحت في يد الثورة.

ونعود لدور العشيق «فيرزن» فلما كان القصر قد أُحيط بالحرس الوطني حتى لا يهرب الملك والملكة، وكان كل الخدم تقريبًا من الجواسيس، ورغم ذلك ظلت ماري أنطوانيت على صلتها بعشيقها فيرزن، فهو الوحيد الذي كان يملك مفتاح الباب السري المُؤدي لغرفة ماري أنطوانيت في قصر التوليري، وقد تسلل إليها ذات يوم وقضى معها الليل بطوله وحدهما، كما قام بمساعدتها هي والملك والأسرة المالكة على الفرار من قصر التويلري إلى خارج باريس ثم خارج الحدود.

وقد بذل فيرزن في هذا أقصى ما يستطيع من جهد من أجل غرامه وعشقه للملكة ماري أنطوانيت، ولكن مشروع هذا الفرار فشل في النهاية بعد أن تم تنفيذ الجزء الأكبر منه، ولم يلتق العاشقان بعد ذلك، إذ بقي فيرزن خارج فرنسا يتتبع الأخبار، فقد أُعدم الملك، وجاء الدور على

الملكة لتلتقي مصيرها.دخلت السجانة في صباح ذلك اليوم على ماري أنطوانيتفي زنزانتها وجدت الشمعتين تضيئان بضعف وضمور وشعلتهما تترنح في النفس الأخير ويخبو ضوؤهما شيئًا فشيئًا، فبدت الرؤية للقادم من الخارج ضعيفة برهة من الوقت. كان الشرطي قابعًا في ركن من الغرفة وماري أنطوانيت منطرحة على فراشها في ثيابها السوداء كاملة، لكنها لم تكن نائمة، بل كانت عيناها مُعلقتين على سقف الحجرة تنظر إلى نقطة واحدة لا تحيد عنها، فقد كان هذا اليوم هو أطول يوم في حياة ماري أنطوانيت.قدمت لها السجانة حساء الإفطار فاعتذرت ماري أنطوانيت في هدوء، إلا أنها تحت إلحاح السجانة التي أشفقت عليها، تناولت بضع ملاعق صغيرة، ثم ساعدتها السجانة في تغيير ملابسها، فقد كانت التعليمات ألا تذهب ماري أنطوانيت إلى المقصلة بثوب الحداد خوفًا من إثارة الشعب.

ورأت ماري أنطوانيت أن تلبس ثوبًا أبيض خفيفًا، وكانت أقسى مظاهر الذل والهوان تلك الواقعة التي حدثت في هذا الصباح، فقد كانت ماريأنطوانيت تُعاني في الأيام الأخيرة من نزيف مُستمر، فأرادت أن تُغير قميصها، فطلبت من الشرطي القابع في الحجرة معها أن ينسحب لحظة، غير أنه رفض بناء على الأوامر الصادرة إليه بألا يتركها دقيقة واحدة، فلم تجد ماري أنطوانيت أمامها سوى أن تجثو على ركبتها في ركن من الغرفة بين السرير والحائط، ووقفت السجانة أمامها.. لتسترها حين تتجرد من ملابسها، ولما انتهت ماري أنطوانيت أمسكت بالقميص الملوث بالدماء فكومته ودسته في فوهة بالحائط خلف السرير! انتهت ماري أنطوانيت من

ارتداء ملابسها بعناية، فهي حريصة على أناقتها ومظهرها حتى آخر لحظة من حياتها..في الساعة الثامنة حضر القسيس ليأخذ اعترافها، إلا أنها رفضت في أدب أن تعترف له.. ولما سألها: هل يصحبها إلى حيث التنفيذ؟ أجابت في هدوء «كما تشاء».

وفي الساعة العاشرة صباحًا جاء الجلاد «سمسون» وهو شاب مارد ضخم الجثة، استسلمت له ماري أنطوانيت وهو يقيد يديها خلف ظهرها فلم تبد أي مقاومة.

وفي الساعة الحادية عشر صباحًا فتحت أبواب السجن على مصراعيها وبدأت مراسم تنفيذ حكم الإعدام كانت اللحظات التاريخية العصبية تمر بطيئة متثاقلة جاءت عربة مكشوفة ذات حواجز يجرها جواد كبير أعد في وسط العربة لوح من الخشب كمقعد تجلس عليه ماري أنطوانيت.وقفت العربة أمام باب السجن،خرج الضباط أولًا يليهم فرقة كاملة من الحراس فوق ظهورهم البنادق ثم تبعهم المارد سمسون وهو يسير بوجه متجهم في خُطى ثابتة، صدره عاري تلمع في وهع الشمس، يمسك في يده بطرف حبل، طرفه الآخر على مسافة مترين يسحب به ماري أنطوانيت،كان القسيس في ملابسه السوداء والصليب يتدلى على صدره والقبعة تُغطي بعض عينيه، يسير ببطء بجوار ماري أنطوانيت، واستمر هذا الموكب المهيب من داخل السجن حتى خارج البوابة حيث كانت تقف تلك العربة المكشوفة بجوادها الثقيل وعليها المقعد الخشبي الذي ستجلس عليه ماري أنطوانيت.

كانت الجماهير واجمة في ذهول وهي تصطف على جانبي الطريق لترى هذا المشهد الفريد في تاريخ فرنسا،ورغم ضخامة وكثرة ازدحام الجماهير إلا أنهم كانوا صامتين عيونهم شاخصة على الموكب وكأن على رؤوسهم الطير أو أن أنفاسهم قد حبست، فإن رهبة هذا المشهد المهيب كانت أقوى من أي شيء.

كانت ماري أنطوانيت تتقدم وسط هذا السكون بخُطى بطيئة نحو العربة، ثم وقف سمسون خلف العربة وصعد عليها واستدار في هدوء وهو يمد يده لماري أنطوانيت ليساعدها على الصعود.جلست ماري أنطوانيت على المقعد الخشبي وإلى جوارها القسيس في ملابسه السوداء، ووقف سمسون العملاق بصدره العاري فوق العربة فارجًا قدميه على وجهه جمود لا ينم عن أي شعور، ومازال طرف الحبل في يده.

سارت العربة ببطء بين جماهير الشعب التي جاءت لترى هذا المشهد الخارجي، وكانت ماري أنطوانيت وهي جالسة على مقعدها الخشبي تهتز مع كل درجة للعربة وعيناها محمرتان تنظران إلى أعلى، وكأنها تنتظران أن تأتي لها السماء بمعجزة تنقذها من مصيرها المُؤلم ومن سيف الجلاد سمسون.

كان جسدها كله يختلج وكل نقطة دم في عروقها تصرخ وتستغيث وقد بدت وكأنها امرأة هرمة عجوز ووجهها شاحب هزيل، ورغم هذا كانت تُحاول جاهدة أن تضبط زمام مشاعرها وألا تلتقي عينيها بعيون الشعب.وترامت إلى أسماعها الشتائم وعبارات الاستهزاء، فكانت وكأنها لا

تسمع ولا ترى، بل أنها ظلت تنظر إلى أعلى في استسلام، وكان ميدان الجمهورية الفسيح الذي تتوسطه منصة المقصلة يعج بالآلاف الذين جاءوا منذ الفجر حتى لا يفوتهم ذلك المشهد الفريد، مشهد إعدام ملكة.

وقفت العربة أمام المنصة ورأت ماري أنطوانيت المقصلة ونصلها الحاد، فنظرت إليها برهة في شرود وهي جالسة على مقعدها الخشبي، فبدت وكأن الدنيا تميد بها، وما هي إلا لحظات حتى بدأت المراسم الأخيرة.هبطت ماري أنطوانيت من العربة في بطء وتثاقل،تقدمت خطوتين..صعدت درجات المنصة بصعوبة، أمسكها الجلاد ولمع للسلاح بريق وهو يهوي على رقبتها،اصطبغت المنصة بلون أحمر قاتم وساد الميدان صمت وسكوت، وأمسك سمسون برأسها ولوح به لأعين الجماهير التي صاحت (تحيا الجمهورية).

بعد أن تفرقت الجموع جيء بعربة نقلت جثمان ماري أنطوانيت، وقد وضع رأسها بين فخذيها، وكانت تلك هي نهاية ملكة انتقلت باستهتارها وغرورها من العزة والجاه إلى الذلة والمهانة، ومن العربة المذهبة الفاخرة إلى عربة الجلاد، ومن العرش إلى منصة المقصلة

ماتت المرأة التي سألهاالشعب: أين الخبر؟! فقالت لهم لماذا لا تأكلوا البسكويت أو الجاتوه؟!!

الفهرس